كتاب الانفصالات الاسلامية
وكشف شبه النصرانية
تأليف الشيخ الامام
العلامة شيخ الاسلام نجم الدين
الطوفي

وهو المطلق على الاناجيل الاربعة



من الله وله الحمد تملكا على عبد الغفور
الراجي رحمة ربه القدير ابراهيم بن
الحاج ... بن عبد الرحمن ... الكردي
الحلبي ... الحنفي عامله مولاه بلطفه
الخفي واجراه على عوائد بره الوفي
وذلك في شهر محرم الحرام الساج عام
تسع واربعين والف ... والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
اله وصحبه وسلم

٧٩٥

كتاب
الانفصالات الاسلامية
للعلامة الطوفي
مكتبة كوبريلي رقم ٧٩٥
١٤٨ ق
تاريخ النسخ القرن السابع تقريبا
المسطرة ٢٦×١٦,٥

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
قال الشيخ الفقيه الإمام العلامة نجم الدين سليمان بن عبد القوي الطوفي
أحمد الله الذي أرشدنا إلى الإسلام وهدانا بفضله سبل السلام
وجنبنا عبادة الأوثان والأصنام وشتات مذاهب الفرق اللئام
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ترغم أنف الكافر
أشد إرغام وتوجب لقائلها النعيم في دار المقام وأصلي على
رسوله محمد الداعي إلى أفضل دين بأشرف كلام الباقي معجزه على
ممر السنين وتعاقب الأيام وسلم تسليما كثيرا وبعد
فإني رأيت كتابا صنفه بعض النصارى يطعن به في دين الإسلام ويقدح
به في نبوة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فرأيت مناقضته إلى الله
ورسوله قربانا ورجوت بها من الله رضوانا حذرا من أن يستخف
ذلك بعض ضعفاء المسلمين فيورثه شكا في الدين ولقد رأيت بعض ذلك
عيانا وأسست عليه دليلا وبرهانا فأوردت مناقضته حرفا
من كلامه حرفا وأثبت عقيبه صد السؤال والجواب على وجه الاختصار
مع تلخيص العبارة جنبه الفحش والإملال وتخليص المعاني ونصوصيته
خشية الإخلال والاختلال وقدمت على ذلك مقدمات كلية
تتضمن مباحث جليلة عليها ينبني معظم الجواب وبها يتيسر طريق
الصواب وعلى الله توكلي وإليه مآب وتلك المقدمات ثلاث
الأولى أن هذا النصراني رأيته يعتمد في طعنه على الإسلام على التوراة
والإنجيل التي بيد اليهود والنصارى وعلى كتب الأنبياء الأوائل
كنبوة أشعيا وأرميا ودانيال والأنبياء الاثني عشر ومزامير
داود ونحوها واعلم أن هذه الكتب لا تقوم الحجة علينا بها
لأنها عندنا محرفة مبدلة بعض التبديل لم يأت على جميعها بل حصل في
الجملة فلهذا قال صلى الله عليه وسلم إذا حدثكم أهل الكتاب فلا
تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا
وإلهكم واحد ونحن له مسلمون فمنع من تصديقهم خشية أن يكون ما حدثوا
به مما حرف جزما ومن تكذيبهم خشية أن يكون مما لم يحرف عدلا منه
صلى الله عليه وسلم ولو لم يكن للعاقل دليل على صدقه عليه السلام إلا هذا
التعليق لكفاه فإن رأيته في التعليق على بعض كتب الأوائل بحق فهذا
عرف منه الكذب ولهذا كان علماء الحديث من المسلمين أن الراوي إذا
من اختلط ولم يتميز ما رواه قبل اختلاطه مما رواه بعده ترك

الكل احتياطا وحزما في الدين وإنصافا لأنهم لا يعدون كتابنا حجة عليهم
فكذلك نحن لا نعد كتبهم حجة علينا وأولى لأن كتبهم تقادم عهدها وتعاورتها
اللغات لفظا وكتابة بخلاف كتابنا إذ الأمة تلقت صحيحه عن النبي منهم
منا وأيضا فإن هذا النصراني في استدلاله بما لا تقوم به الحجة علينا إما
أن يكون مع العلم بذلك فهو مغالطة ومخاتلة وتغافل أو قصد إقامة
الحجة علينا وتحصيل الحاصل إن قصد إقامة الحجة للنصارى لأنهم
سواهم غنيون عن ذلك حتى لو أرادوا دينهم خلافه لما أطاعوه أو
مع عدم العلم فهو جهالة بمذهب الخصم والعلم بما يلزم الخصم وما لا يلزمه
ينبغي أن يكون مقدما على مناظرته وفائدة هذه المقدمة منع
الاستدلال علينا بكتب الأوائل مطلقا

المقدمة الثانية

أنه من المعلوم عندنا وعندهم أن الله سبحانه إنما خلق العباد ليعبدوه
وقد صرح بذلك في القرآن الكريم حيث يقول وما خلقت الجن والإنس
إلا ليعبدون ولكن لما كانت عبادة المعبود تستدعي تقدم معرفته
خلق لهم العقول ليعرفوه بها ويوطدوا بها قواعد العبادة ومقدماتها
وظهر من هذا التقرير ما قاله المحققون من أهل العلم بالأصول
وهو أن العقل نائب الشرع تقرر له القواعد من إثبات الصانع وتوحيده
الذي وافقنا عليه النصارى لفظا لا معنى وحدوث العالم وجواز
إرسال الرسل والدليل على صدقهم وهو المعجز الذي يثبت
النبوة فإذا ثبت الشرع وجب قبول ما جاء به مما أدركه
العقل فله الحمد وإن كان مما لا يدركه فهو المسمى تعبدا
فهذا الإسلام بعد وجب تسليمه وتقليد الشارع فيه وثبوت
الشرع يعزل العقل فلا يعزل بقدوم السلطان عن سفره بل
كان يستنيب في موضعه في بلده وسر هذه المقدمة ما فيه
في القواعد الصغرى وهو أن العقل داعية إلى التكليف بمسلميه
للمشقة على أهل التكليف لكن المشقة تارة تكون عملية كالصلاة
والصيام والحج والجهاد وتارة علمية كما في الإيمان بالغيب وهو
كلما غاب عن العيان كالله سبحانه وملائكته وأحكام الآخرة
وهذا أشق التكليفين ولهذا بدأ الله سبحانه وتعالى بذكره في صفة
المؤمنين حيث قال الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة
فلا يعلم ... علمي والثاني عملي ولذلك قوله فاعلم أنه لا إله
إلا الله واستغفر لذنبك ولذلك المسيح وغيره من الأنبياء

لما بدأنا بذا على الناس في الإيمان بهم وإيمانهم عند الله ووجه المسبقة في الإيمان بالغيب هو أن النفس الناطقة مطبوعة مفطورة على حب إدراك الأمور بحقائقها فإذا رأت ما لا تدرك حقيقته تألمت واضطربت كما يشاهد كل عاقل من غيره ويجد ذلك بنفسه حتى في أسرار الأشياء ولهذا يحدث للنفس التعجب وهو عرض يلحقها لخفاء سبب الأمر الحادث فإذا ظهر لها السبب بطل التعجب واستراحت فحاصل الأمر أن الإنسان مولع من قبل نفسه وأن التكليف واقع على جزئيته كلها على قبله عملا وعلى نفسه اعتقادا وعلمنا هذا كله مع اتفاق العقلاء على أن الشرع لم يأت بما ينافي العقل ولا يجوز فيه بل بما قد لا يدركه العقل مع إمكانه في نفسه ولهذا قالت الحكماء إن حالنا في عقولنا عند النظر إلى المبادئ الأولى كحال الخفاش عند النظر إلى الشمس أعني أن الشمس في غاية الظهور في نفسها وهي خفية عند الخفاش لضعف أبصاره وحكى هذا النصراني عن ابن رشد المالكي المتكلم أنه قال لم يبق أحد في العلوم إلا هذا قولا نعتقده ولم يعصم أحد من الخطأ فيها إلا من عصمه الله بأمر إلهي خارج عن طبيعة الإنسان وهم الأنبياء ع وحكى عن أرسطو أيضا أنه قال في كتاب الإنسان إنه قال العلة الأولى أعلى من أن توصف ولا تعجز الألسنة عن وصفها إلا لأنها فوق كل علة وحكى عن أبي حامد هو الغزالي سياق معنى ذلك عزاه إلى كيمياء السعادة وإلى المقصد الأسنى وقلب فالحاصل أن هذا الإدراك الشيء قد يمتنع في الأمور العقلية وإلا يتعقل تارة لضعف الفاعل كالسيف الكال وتارة لضعف القابل أو ملابسة مانع له كالجسم الصلب إذا ضرب بسيف ونحوه وتأمل هذه المقدمة أن يجلب عليها بالجواب عن كل ما يحيل أورده هذا السائل من السنة الإسلامية مما يعجز العقل عن إدراك مضمونه أو يدركه على بعض تأويل بعيد وقد شاهدنا هو على ذلك بما حكي عن الحكيم أرسطو فكان هذا الخصم كالجادع مارن أنفه بكفه والباحث عن حتفه بظلفه وأيضا فإن الطرق العامة التي لا يستغني عنها ذو شريعة أو في غالب الشرائع أن يقال فيما اشتمل عليه من التعبدات العملية أو العلمية هذا مما أخبر به الصادق وكل ما أخبر به الصادق فهو حق. واقع هذا المتشابه

أي أن أرسطو على ما حكى عنه هذا النصراني [illegible] هذا النص [illegible] مناقضة [illegible] ضرورة [illegible]

واقع

واقع والنزاع في هذا الدليل يقع في أمرين أحدهما كون الأمر المشار إليه ممكنا وقد بينا أن الشرع لم يأت بما ليس ممكنا والثاني في كون المخبر به صادقا وعلى أهل كل ملة بيانه بالدليل ونحن نثبت صدق محمد عليه السلام في أثناء هذا الكتاب حسب ما يناسب ذكره إن شاء الله تعالى على وجه يقبله كل منصف عاقل.

المقدمة الثالثة: إن الأحكام العقلية تجاوز الأحكام الحسية ولهذا إذا أشكل على العقلاء أمر عقلي ضربوا له مثالا حسيا ليتصور الفهم وصور ذلك كثيرة جدا في سائر العلوم يعرف ذلك من له أدنى نظر في العلم وإذا عرف ذلك فاعلم أن الأدلة الشرعية لها مراتب تختلف بحسب اختلاف مدلولاتها فيثبت بعضها فروع الشريعة دون أصولها كالخبر المستفيض وخبر الواحد والقياس الظني والاستحسان والاستصحاب وقول الصحابي ونحوه ولا تثبت أصول الشريعة إلا بقاطع كالبديهيات والنظريات والمتواترات ونحوها ووزانه من المحسوسات البناء فإنه يحتاط لأسه فيختار له الحجارة القوية الثابتة ما لا يحتاط لحشوه وأعلاه لأن ثبوت أعلاه بأسه وفائدة هذه المقدمة أن يستند لنا في أن كل ما أورده علينا من الأخبار التي حقها أن لا تثبت بمثلها الأصول لا يرد علينا ولا يلزمنا لأن تلك أخبار توجب العمل دون العلم لكونها مظنونة الثبوت وإن كانت في البخاري ومسلم لاحتمال وقوع علة قادحة في طريقها ولا تقوى على إثبات أصل ولا على أن يقدح في أصل خصوصا وقد دخلها تصرف الرواة في الرواية بالمعنى وقد أورث ذلك إشكالا عظيما في أحكام الفروع واختلافا جما بين أهل العلم فكيف يثبت مثل تلك الأحاديث هذه لا تثبت بها أصلا ولا ترد علينا نقضا وإنما المعتمد على ما يثبت به ذلك وإذا أحكمت فقه هذه المقدمات تيسر عليك الجواب فإن ما أورده هذا الخصم إن كان من شبههم كالتوراة والإنجيل ونحوها منعنا صحته لأن ذلك يحتج بما قررناه في المقدمة الأولى بمن يسلمه وإن كان من كتبنا فإن كان من جنس ما يصل العقل إلى فهمه أجبنا عنه أما بأنه مما لا يثبت بمثله أصل بناء على ما قررنا المقدمة الثالثة أو بتوجيهه وهو تيسير لطريق من طرق الأجوبة الجدلية

والذكي الفطن اذا افتصر في جواب كتاب هذا النصراني كله على هذه المقدمات
كفاه ذلك مع اني لا اقتصر عليه بل سأجيب عن كل ما امكن مفصلا
ان شاء الله تعالى وما كان فيه عبارة مطولة حققته مع الاتيان بحاصل
المعنى واعرضت عن ما فيه من سوء ادبه على النبي صلى الله عليه وسلم
بمثله لا اكرامًا له بل اهوانًا بقدره وتجهيله قوله
اول ما افتتح به كتابه ان قال احذروا من الانبياء الكذابين الذين
يأتونكم في لباس الضأن وهم في الباطن ذئاب خاطفة من ثمارهم
تعرفونهم قال وهذه الاية قول الله عز وجل في الانجيل الطاهر ذكرنا
عليها كلاما لا ضرورة لنا الى ذكره فيما نحن بصدده قلت
هذا من كلام المسيح بن مريم في الفصل الخامس من انجيل متى وقول
هذا المصنف هذه الاية قول الله في الانجيل الطاهر هو بناء على
معتقده ان المسيح هو الله وكفى بذلك شناعة وبشاعة على
ما قد قررته بحسب الامكان في التعليق على الاناجيل الاربعة
ولكن غرضه من تصدير كتابه بهذه الاية القدح في محمد
عليه السلام ونسبته الى الكذب ولا حجة فيها على ذلك فانها كلام
صحيح نحن نقول به ومحمد صلى الله عليه وسلم قد حذر من الانبياء
الكذبة ايضا والمسيح عليه السلام لم ينص على احد بعينه انه كاذب
بل حذر من صفة الكذب ممن يدعي النبوة وقد كان في بني اسرائيل
متنبئون كذبة كثير فقد صرح بدعوى النبوة منهم في الاصحاح الرابع
والخامس والسادس منها ولم يذكر هذا النصراني بعينه بعد
ذكر هذه الاية ما سطر في الحوار بعد من بني اسرائيل ادعوا
النبوة زمن احاب ملك بني اسرائيل وكانوا كذبة وانهم وعدوا
بالنصرة على بعض اعدائه فاغتر بهم فخذل وقتل فالمسيح انما
حذر من مثل هؤلاء لا من مثل محمد الذي جاء بالاخلاق والاداب
ودين لا يماري في صدقه بعد الاطلاع الا جاهل او مجنون والمعجزات
محمد عليه السلام تثبت نبوته على ما سيأتي بل المسيح بشر
جمعه بأسرها لا سيما في موضعه في هذا الكتاب وقد قررته
في فصل البارقليط في التعليق على بشارة يوحنا بن زبدي
والله اعلم ثم قال وهذا يعني بعرفان الانبياء الكذبة
وتعرفهم والتحذير منهم ضروري من الضرورة باعتبار ظاهر
الشريعة والعادة واوضح التحذير الصلاح لانه لما رتبه الله
خطة ارفع في ادمي النبوة فلم يلتمس انها بالحيلة فاظهر

من دقائق الحيل وخفي المكايد ما اغتر به كثير ضعفاء العقول فالقى
الشيطان الضلال في الناس وادخل بينهم الفساد بواسطة هذا الصنف
من الانبياء الكذابين كما جاء في قصة اخاب ملك اسرائيل وذكر
قصة مع اربعمائة الذين تنبأوا في زمانه وقد سبق ذكرهم قلت
وهذا كلام صحيح لا غبار عليه ونحن نقول به لكن غرضه هذا الخصم
ثم مع عشيرته ما هو قصده الا بيان ان محمدا عليه السلام من
هذا الصنف من الانبياء الكذابين وذلك صعب المرام عليه
لوجهين احدهما انا ما رأينا ولا سمعنا منذ اهبط ادم
الى الارض ان نبيا كذابا استوثق له ما استوسق لمحمد من
دين الاسلام نحو الف سنة وهو كلما جاء في زمانه وتمكن من
المنتسبين لا يلبث الا يسيرا حتى يفضحه الله ويهتك ستره لان عادة
الله في خلقه ان يحق الحق ويبطل الباطل ويجعل العاقبة للتقوى
الوجه الثاني ان تأييد الكذاب بالمعجز واظهار امره
وانقياد الناس له قبيح لانه فيه التباس النبي بالمتنبي والقبيح
لا يجوز على الله فعله خصوصا على رأي هذا الخصم في انكار القدر
فان هذا من جملة ادلة القدرية على نفيه وسيأتي ذكر ذلك في هذا
الكتاب ان شاء الله تعالى وستذكر من معجزات محمد عليه السلام
ما يخزيك له ولكل معانديه ثم قال فينبغي للعاقل ان يعرف
اولا ما النبوة وما فائدتها وما النبي وما شروطه وما مراد الله تعالى
بارساله لعبيده لانه لا بد من تصور الشيء قبل التصديق به ليكون
الانسان قادرا على المعرفة بكذب النبوة وصدقها وعلى
الفصل بين الصادق والكاذب من الانبياء قلت
هذا كلام صحيح لا اعتراض لنا ولا لغيرنا عليه ثم قال
ولا بد عند الخوض في هذا من معرفة الكلام في اربعة امور
حقيقة النبوة ووجودها ووقوعها وضرورة الخلق اليها
ومنفعتها قلت هذا ايضا كلام صحيح مسلم ثم قال
اما حقيقة النبوة فانها وحي صادق يأتي للناس الامر بكشف عن
الغيب الذي لا يمكن اكتسابه بحسب مجرى الطبيعة وذكر
هنا في هذه الحدود من الاحترازات وهي ظاهرة قلت
وهذا تعريف صحيح لا مطعن عليه ثم قال واما وجود
النبوة بغير ما نازع فيه عند اهل الملل الثلاث وبيانه
لمن نازع فيه يحتاج احدها ان عنايد البارئ سبحانه

خلقه قد يكون في التسبب من مصالح المعاش كوضع الحواس والاعضا
متهيئة لما وضعت له ونحو ذلك من نعم الله التي لا تحصى فالعناية بهم
في امر المعاد اولى بان يرسل من يهديهم الى طريق السعادة الابدية
والحياة الدائمة ويكف شر بعض العالم عن بعض ليستنظم امرهم اولى
البتة ما دل عليه التواتر الكامل الشروط من ان جماعة
من الرجال ادعوا انهم رسل الله وظهرت المعجزات على ايديهم
كمعجزات موسى وعيسى ورد الشمس ليوشع ثم ذهبوا على اوضح
سنن من الطهارة والفضيلة والزهد في الدنيا ودعوا الناس
الى مثل ذلك فان هذا ادل على صدقهم في دعواهم وذلك بعد
وقوع النبوة قطعا هذا حاصل ما ذكره المحقق [illegible] انا وهو
في غاية المتانة طويل جدا قلت وهذان الجوابان مسلمان
لكن الاول مبنية على رعاية الاصلح ونحن لا نقول به وجوبا على
الله بل جوازا على جهة التفضل خلافا للمعتزلة وهذان الجوابان بعينهما
تثبت نبوة محمد عليه السلام اما الاول فلانه بعث على فترة
من الرسل طويلة وقد اكل العالم بعضه بعضا خصوصا العرب
في جاهليتها وغاراتها وكانوا يعبدون الاوثان والنصارى
الصلبان والفرس النيران وغير ذلك من المبدلات فازال الله
به ذلك وابدل الناس به خير ما يبتغى ولا نعلم زمنا قط كان احوج
الى النبوة وظهرت على يديه معجزات خارقة بيانها واثباتها
على من انكرها في موضعه ان شاء الله تعالى ثم مضى صلى الله عليه وسلم على
اوضح سنن واظهر طريقة وازكاها وازهدها في الدنيا ودعى
الناس الى ذلك والخصم لا ينازع من هذه الجملة الا ظهور المعجز على يديه
وما [illegible] في اثباتها ومن معجزاته انشقاق القمر له
ورد الشمس لابن عمه علي بن ابي طالب رضي الله عنه فكان ردها
معجزا للنبي عليه السلام وكرامة لعلي رضي الله عنه وقد صحح الحديث
بذلك الطحاوي والقاضي عياض وحسبك بهما امامين في العلم
ولا التفات بعد ذلك الى من جعله موضوعا اذ الاثبات مقدم
وردها ليوشع النبي قد ثبت مثله لواحد من اصحاب محمد عليه السلام
واما ضرورة الخلق اليها فلانه لا يمكن التوصل الى
معرفة كثير من الامور الالهية بمجرد العقل ضرورة ولا نظرا
بدون الاطلاع الالهي على ذلك تكميلا لقصور العقل الانساني
عن الموجودات بالنسبة اليه اما معلوم ضرورة او العلم بان

الجزء اصغر من الكل او نظرا كالعلم بوجود الاله واستحالة الخلا
او مما يعجز عن ادراكه كالعلم بعدد انواع الحيوانات والنبات فضلا
عن عدد اشخاصها وكالعلم بتفصيل اكثر الانواع وبكثير من الطبايع والحقايق
على الجملة فانا لا نشك في ان المجهول عندنا غالب على المعلوم منها
فما ظنك بالامور الالهية ثم ذكر كلاما من سقراط وابن رشد وابي حامد
الذي قدمنا ذكره في المقدمة الاولية قلت هذا كلام
صحيح لا نزاع فيه لكن قوله كالعلم باستحالة الخلا راي فلسفي والمخالف
فيه كثير يقولون به ويبنون على هذا وان لم يتعلق بما نحن بصدده
وقد ذكر المتكلمون فوايد النبوات منها تعريف فضايل
العبادات ومقاديرها ومواقيتها وكيفياتها وما يتعلق بها
من شرط وركن ونحو ذلك ومنها اقامة الحجة على الخلق
اذ بدونها لا تقوم حجة الله على خلقه كما صرح به في غير موضع
من القران كقوله رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس
على الله حجة بعد الرسل وقوله ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله
الاية وغيرها ومنها تعريف الاحكام الفلكية ليعلم صناعة
علم الهيئة وادوار الفلك وحركات الكواكب فان ذلك مما لا
تستقل به عقول البشر ولا تفي اعمارهم بادراكه بالتجربة
لو استقلت به عقولهم ومنها تعريف الاحكام الطبية
كقوى الادوية والاغذية وخواصها ومنافعها اذ الاعمار
لا تفي بمعرفة ذلك بالتجربة كما قال ابقراط العمر قصير
والصناعة طويلة والتجربة خطر والقضا عسر قلت
ومنها ما اجرا الله سبحانه على ايديهم من البركات وجلب
المصالح ودرء المفاسد والدعا لهم كابرا المرضى ودعا موسى لقومه
برفع العذاب عنهم مرارا ورد النبي عليه السلام عين قتادة بن
النعمان عليه واشباه ذلك قلت واما منفعة النبوة
فكما قال ابو حامد في رسالة التوفيق في بيان اسبابها احدها
اصلاح الاخلاق النفسية كالعدل والعفة والصدق
والسخا والحلم والصبر والرحمة في مواضعها والتزام حسنها
واجتناب سيئها كاضداد ذلك فانه لا غنا للعاقل في
معاشه عن ذلك الثاني حفظ حقوق الناس من دم
ومال وعرض ونحوه ودفع التظالم بينهم والاهمال العالم

واختلف طايفه الثالث نجاة النفس الهالكة في الدار الاخرة
بمعرفة الخالق سبحانه وطاعته ولا يسلك الى معرفة ذلك
بمجرد الفلسفة بدون النبوة ومن ادعى ذلك فدعواه مجردة عن
دليل اذ الفلاسفة مختلفون في الاراء لغيرهم فمتابعة بعضهم دون
بعض ترجيح بلا مرجح قلت هذا كلام صحيح وهو جملة
فوايد النبوة وضرورة الناس اليها المذكورة في الفصل قبله
وقد جاء محمد صلى الله عليه وسلم من ذلك بافضل مما جاء به كل من
سبقه تعرف ذلك بالنظر الانصافي في دين الاسلام وفوايده
الاصلية والفرعية قال واذ قد فرغنا مما ذكرناه فنبين
ما النبي وما شروطه فنقول النبي هو الذي يعطي الوحي عن الله
على الصفة المذكورة في حد النبوة قلت هذا مسلم قال
واما شروطه فاربعة نسوقها بعد توطية وتمهيد
لذلك وحاصل التمهيد الذي ذكره ان من تردد في شيء فانه
لا يقف على حقيقته الا بالنظر فكذلك النبي انما يعرف صدقه
من كذبه بوجود الشروط الاربعة فيه اولها الصدق
وثانيها طهارة النفس وتنزهها عن الفواحش لان النبي
عن الله فوجب ان يكون على صفة من الصدق والطهارة والنزاهة
قلت هذا الكلام صحيح بل طهارة النفس وتزكيتها واجب
على كل احد لكن منهم من يحصل له ذلك ومنهم من يحرمه اما
الانبيا فهو لازم فيهم لانهم امنا الله على خلقه ووجبت صيانتهم
قال وقد تكلم في هذا الموطن يعني موطن الطهارة وهي
الشرط الثاني موسى بن عبد الله الفيلسوف في فصل النبوة
في كتابه المسمى دلالة الحايرين فقال امتحان النبي الصادق
هو اعتبار ذكائه له وتعقب افعاله وتامل سيرته واكبر
علاماته اطراح اللذات الدنية والتهاون بها لان ذلك
شان اهل العلم فضلا عن الانبيا وخاصة الحاسة التي هي عار
علينا كما ذكر ارسطو ولا سيما قذارة النكاح منها
ولذلك فضح الله بها كل مدع لتبين الحق ولا يضلوا ولا يغالطوا
ثم ذكر ههنا رجلا ادعى النبوة وانهماكه في خساسة لذة
الجماع حتى زنا فافتضحا واحرقهما ملك بابل كما ذكر ارميا
النبي او قال ترميا في الباب التاسع والعشرين
قلت شرع العلج بدس الدساسين وبعدم

ذكر دليل الحايرين ومصنفه

المقدمات الذي به تستنتج منها النتائج الحقيقية ومثلي لا يغالط في الجليات
فاقول انما قول الفيلسوف امتحان النبي الصادق باعتبار ذكائه
وتعقب افعاله وتامل سيرته فهذا صحيح ومن تامل ذلك في سيرة
محمد عليه السلام تامل منصف لم يجد مقالا لانه كان على الغاية من
العدل والزهد والورع والتواضع تعرف ذلك بالنظر
في سيرته المنقولة عنه وليس نقصد بيان ذلك مفصلا اذ فيه
كتب مصنفة من جيدها كتاب رياض الصالحين للنووي واما
اطراحه اللذات الدنية سوى النكاح فكان في الغاية فيها
فانه لم ينقل عنه انه اكل مرققا ولا على اسكرجة ولا نام على فراش
وطي وكان يقول ما لي وللدنيا انما انا والدنيا كراكب نام تحت
شجرة ثم قام وتركها واما قوله الحاسة التي هي عار علينا
كما ذكر ارسطو ولا سيما قذارة النكاح منها فنقول
اولا لهذا المصنف النصراني انه قد قدمت في فوايد النبوة
ان من مقاصدها ما لا يحصل بمجرد الفلسفة فلم جعلت قول
الفلاسفة كموسى بن عبد الله وارسطو حجة في تقبيح حاسة النكاح
هذا لها قد لا تسمح بقولك لهذا الفيلسوف حاسة النكاح
عار عليك او على الانسان ومن يتابعهم ان قلت عليك فلنا عندك
او عندهم ان قلت عندك فانت لا عندك بل انت من اعدا اهل الشرايع
ومن اول عداوتك لهم وطعنك عليهم تسخطك عليهم شيئا اجمعوا
على جوازه منذ اهبط ادم الى الان وانت قد عرفت بصحة شرعهم
وعقولهم واحد الامرين لازم اما فساد عقلك في انكارك
عليهم اشيا على بالنكاح او فساد عقلك في اعترافك بصحة شرعهم
وكمال عقولهم ويقال لارسطو السبب الذي يدل انفارك
عقولنا عند النظر الى المبادي كحالة الخفاش عند النظر الى الشمس
ثم ان لكان عقلك ان يقصر عن ادراك حكمة الباري سبحانه
اباحة النكاح للانسان وهل هذا الا حماقة وان قلت
عند الانسان فهذا كذب عليهم لان الانسان اجمعوا على حسنه وحكمة
الله فيه من تكثير العباد والعباد وعمارة الارض ودوام العالم
وبقاء النوع الانساني الذي اجمع الحكماء على انه خلاصة الوجود
ونوع انواعه وان قلت على الانسان فانت قد اعترفت لهم

والا فذام على العار بنا في الحال فهذا اهون منك بكل حال واما ماذكر
من قذارة النكاح فنقول لا نسلم ان فيه قذارة بل فيه مصالح منها
سرور النفس به واسترواحها للعاذة ولعل بدونه لا تستريح
لذلك ومنها تحصين الفرج عن الزنا المحرم باجماع اهل الملل
والعقول ه ومنها تحليل فضلات البدن المحتقنة فيه
وانعاش الحرارة الغريزية به فيخف بذلك البدن وينشط ولهذا
بعض الناس تمرض بتركه ويلتزم في بدنه الخراجات والدماميل
ونحوها ومنها انه يحسن الخلق ويبسط بشرة الوجه
وقد نص جالينوس على ان سبب سوء خلق الخصيان وعبوس وجوههم
وانهار زهم كل من طلبهم ترك الجماع لاحتباس الماء وتعفنه في
ابدانهم ولئن سلمنا ان فيه قذارة فالجواب من وجهين احدها
ان قذارته شرعية او طبيعية ان قلت شرعية فهو ممنوع
فالذي يصلح ان يضاف اليه الاستقذار في الجماع هو المني والمذي
وما يتلوث به فرج المرأة وهذه الاشياء طاهرة عند كثير من
اهل الشرع ومن قال بنجاستها منهم عفى عن يسيرها دفعا للحرج
والمشقة فانها مثل مخرج البول والغائط ولا وطء فيه والحيض
يحرم الوطء في زمنه وان قلت القذارة اذن في الجماع وان قلت
طبيعية لم يلزم من ذلك وجوب اجتنابها عقلا ولا شرعا لان هذه
الاشياء كالبصاق وبلغم المعدة والراس والمخاط وعرق الحمى
بل مطلق العرق فان هذه كلها فضلات تحللها الحرارة من البدن
وهي تورثه خفة ونشاطا وصحة ومعه العلاج الطبي تنقية
البدن من المواد التي ليس سائها ان يكون فيه … السابق
سلمنا ان فيه قذارة بكل حال لكن مفسدة تلك القذارة مغمورة
بما فيه من المصالح العظيمة الدنيوية والاخروية والعقول
الصحيحة لا ترجح اعدام مفسدة واحدة خفيفة خصوصا وقد
باشرها الانبياء والصديقون اجمعون الا من شذ منهم على وجود
مصالح كثيرة جمة النفع ثم ان قذارة الجماع من قذارة الغائط
الذي يتعبد بحاشيش النصارى تعبدا يه على ابدانهم فتغالى فيه النصارى
فجعلوا اشياء ذو … وتستشفون به من الامراض مما يتم
بهم على فهمهم الفاسد لكلام المسيح / الفصل الثامن والعشرون

الحل من حيث يقول ليس النجس ما دخل الفم بل ما خرج مستحلا من الحرج
انما النجس ما خرج من الفم من الكلام السيء لانه يدل على نجاسة القلب
فهذا معنى كلامه ومن اكذب النصارى انهم يعتقدون بقاء العذرة على
ابدانهم فهو مستخف مثلا لما نعلم ان يكون بعض فقهاء الملل يجوز الوطء
في الدبر وهو منصوص على لسانهم وعن ائمتهم ه واما قوله ولذلك
فضح الله بها كل مدع فنقول في جوابه لا نسلم ان الله فضح المدعي
نجاسة النكاح وانما فضحهم بدعواهم الكاذبة ولو كانت نجاسة النكاح
تقتضي الفضيحة لافتضح بها الانبياء كلهم بل جميع الخلق كادم ونوح وابراهيم
وخصوصا اسرائيل وداود وسليمان فانهم كانوا اكثر الناس …
وكثرة نسلهم … ابرهيم وبنيه بالجماع هو الذي اوجب كثرة نسلهم
واسباط يعقوب منهم لان الجماع سبب النسل وكثرة المسبب
يدل على كثرة السبب وبالجملة من جعل نجاسة النكاح عارا فقد الحق
العار بسائر الانبياء والصديقين والصالحين وعباد الله اجمعين وان عارا
يلتبس به هؤلاء كلهم ليس بعار ه وعتروي بذلك في محبتها والذي
غيرتي تمري الشرف ه اذ لولا هذه النجاسة لما وجد الانبياء وسرا …
وانما هي عار على معتقدها عارا اذ لولا هذا العار لما صار الى النار
واما ما ذكر من قصة الرجلين اللذين احرقهما ملك بابل فلم اجده
في الكتاب المذكور من كتاب ارميا التي كان المشار اليه تركتها
الى … وانه غير ارميا والا فلا اعلم صحة هذا النقل على انه بعد تقدير
الصحة انما افتضح هذان الرجلان بدعواهما الكاذبة وزناهما لا
بتعاطيهما النكاح على اني احسب ان النقل اشتبه عليه وان
المراد بالرجلين هاروت وماروت ولهما قصة عجيبة وردت بها
السنة وذكرها اهل التفسير منهم وثمة … موسى من القرآن في قصص
الانبياء وكان افتضاحهما بعد من الله … طعن الملائكة على
آدم واستهلالهم اعمالهم وتعييرهم بخطاياهم ومعاصيهم فابتلى
الملائكة بما ابتلى به بنو ادم … عن … اسفلوا فابتلوا الا
هاروت وماروت … فجرى لهما ما جرى وقد ذكرت بعض
قصتهما في الفوائد ه قلت والذي اوجب لهذا النصراني تقدمه
الى هذا الكلام وتقبيح نجاسة النكاح هو كونه راى المسيح لا داعي له
ورأى محمدا عليه السلام شديد الداعي لذلك … عليه حيث
يقول حبب الي من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة …

عسى في الصلوة وانه تزوج كثيرا وتسرى فاراد العلماء ان يجعل هذا مطعنا
عليه ولعوناه عن الشهوات فان نكاح النساء هو عين الطهارة لما
فيه من تحصين الدين والاعانة على تقوى رب العالمين ولهذا كان
محمد صلى الله عليه وسلم اذا راى امراة اعجبته دخل على بعض نسائه
فقضى حاجته منها ثم خرج وفعل ذلك يوما ثم خرج على اصحابه فقال
ان المراة اذا اقبلت اقبلت معها بشيطان يزينها فاذا راى احدكم
امراة فاعجبته فليات اهله فان معها مثل الذي معها وقال
اذا نبت لاحدكم الى امراته حاجة فليأتها وان كانت على التنور
كل ذلك محافظة على حفظ الدين لئلا تغلب الانسان عليه دواعي
الشيطان والهوى كما حكي في التوراة ان يهوذا بن يعقوب تعرضت
له ثمنة زوجة ابنه في الطريق في صورة زانية فواقعها على ان
يعطيها جديا ورهنها عليه عمامة وقضيبا كان بيده وان روبيل
وطئ سرية ابيه يعقوب ونجس فراشه ونحن لا نقول بصحة
هذا ولكنه حجة على النصارى واليهود ويحقق هذا ونحوه ان شهوة
النكاح في الانسان طبيعية كشهوة الاكل والشرب وحب الغلبة
والرياسة بل هي اشد الشهوات ولذلك كان يقال افتتان العالم
بها فقصدوا هوا امن غائلتها بالطريق الحلال المصطلح عليه في
النواميس الالهية اولى في العقل من التعرض بتركها لمعصية
الرحمن وطاعة الشيطان وقول محمد عليه السلام حبب الي من دنياكم
النساء ليس ذلك لغلبة شهوته عقله ليبغي ذلك وتسرية تسريه
لمن يأملها وتناته ثابته بل انما المقصود بذلك ان يفرغ خاطره
التفرغ الكلي لادا الرسالة والقيام باعبائها كما يفرغ النكاح
بالاهل لادا العبادات وقد ورد في السنة النبوية الصحيحة عن
يوشع بن نون انه لما توجه الى بعض مغازيه احسبها غزاة
ان يجاهد بنيه الجبارين قال لقومه لا يتبعني رجل قد ملك بضع
امراة يريد ان يبني بها ولما يبن ولا اخر قد بنى بيوتا ولم يرفع
سقفها ولا اخر قد اشترى غنما او خلفات وهو ينتظر اولادها
الحديث رواه احمد واخرجاه في الصحيحين كل ذلك مراعاة لاجتماع
الخواطر في طاعة الله وحذرا من تفرق الهم ونظائر هذا في شرعنا
مطلوب فالنهي عن الصلوة مع مدافعة الاخبثين وكذلك الشبع
وكل ما يلهي وبالجملة فكل عبادة لله سبحانه ينبغي للانسان ان لا يدخل
فيها الا بحسم مواد اشتغال قلبه عنها ما امكن ومن هذا

اوقف بنا منه قوله عليه السلام لا يقضي القاضي وهو غضبان لان القضا عبادة
والغضب يشغل عنه وكذلك الصلوة في معنى الغضب من مرض او جوع
او برد او شبق ونحو ذلك ولهذا كان عليه السلام يحب الطيب لا للالتذاذ
به في نفسه بل اكراما للملائكة الذين معه خصوصا جبريل صاحب
الوحي ولهذا كان يبغض الثوم والبصل وكل ذي ريح كريهة وقال
لاصحابه اني اناجي من لا تناجون وان الملائكة تتاذى مما يتاذى منه
بنو ادم واما المسيح فلعله ترك النكاح لانه كان عنينا او لكونه
لا من ذكر او لكونه كان ملكا ظهر في صورة ادمي فغلبت عليه طبيعة
الملائكة كما قال الله سبحانه ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا او لانه
او لكونه كان هو الله او ابنه على راي النصارى تعالى الله عما
يقولون ونحن نقول ان المسيح لو تاسى بسائر الانبياء في النكاح
والنسل ولكثر العباد والعباد لكان ذلك افضل له فالذي يحتج علينا
في حسناته النكاح بترك المسيح له يحتج عليه في فضيلته بفعل جميع
الانبيا له وليس المسيح عليه السلام بخير من جميع الانبيا الا على هذيان
النصارى في انه الله او ابن الله وذلك ممنوع عند كل عاقل بل هو عبد الله
ورسوله وسياتي تمام الكلام على هذا الشرط عند ذكر تفاصيله

قال: الشرط الثالث يعني من شروط النبي اظهار
المعجز للناس ليرتفع اللبس ويقع الفرق بين الصادق والكاذب

قلت: هذا كلام صحيح قال والمعجز فعل ما ليس في قدرة الانسان
ان يفعله بحسب المجرى الطبيعي قلت: هذا حد في تعريف المعجز
لكن للمتكلمين فيه عبارة احرر احسن من هذه وهو قولهم المعجز هو الامر
الممكن الخارق للعادة المقرون بالتحدي الخالي عن المعارضة فالامر
جنس للمعجز وغيره والممكن فصل له عن الممتنع اذ الممتنع لا يوجد
والخارق للعادة فصل له عن الامور العادية كطلوع الشمس ووقوع
المطر وركوب الفرس ونحوها فان المستدل بها في دعوى النبوة الها
لا اثر له فيه والمقرون بالتحدي احتراز ممن يدعي ان معجزته
وله دليل على صدقه هو كما يقول انسان اليوم ان قلب موسى
عصاه حية دليل على صدقي في دعوى النبوة فان ذلك لا ينفعه
لان معجزته ليست مقارنة لتحديه والخالي عن المعارض احتراز من
الشعبذة والنيرنجات فانها تعارض بمثلها فاذا ظهر على يد
شخص هذا الامر بهذه الشروط كان معجزا وكان الشخص نبيا

قال: الشرط الرابع أن يكون الدين الذي شرعه موافقاً للدين الطبيعي
وهو نوعان أحدهما عام لجميع الأمم لا يختص بأمة دون أمة كبر الوالدين
وصلة الرحم والإحسان إلى المحسن والتجاوز عن المسيء وبالجملة جلب
المصالح ودرء المفاسد والتحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل
والثاني خاص يختص بأمة دون أمة كتحريم لحم الخنزير عند غير النصارى
وتحريم ذبح الحيوان عند البراهمة هذا حاصل ما ذكره سائلاً
الشرط قلت: هذا شرط متفق على حسنه عقلاً وشرعاً
وهو عام الوجود في دين الإسلام على ما ذكرنا جملة منه في شرح
الأربعين الشرعية لكن لا يلزم أن يأتي النبي به على هذه الصفة
واشتراطه فلسفة صرفة بل لله سبحانه أن يتعبد خلقه بما شاء
سواء كان ذلك مصلحة لهم أو لا بناء على أصلنا في أن رعاية الأصلح
للخلق لا تجب على الله سبحانه وإنما فعل ذلك حيث فعله بهم تفضلاً
لا وجوباً قال: وإذ قد فرغنا من الكلام في النبوة والنبي
وشروطه التي يجب امتحانه بها بحيث إن وجدت فيه صدق
وإن اختلت فيه أو بعضها كذب فإنا وجدنا الرجل المسمى
محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ادعى النبوة في أمة من العرب فامتحناه
بالشرط الأول وهو الصدق فوجدنا ما قاله يشهد على
صدقه صادق وقد ذكر ستين قلت: هذه دعوى مجردة
عن حجة فإذا ذكر الحجة قوبلت بحسب ما ينبغي. قال:
وليس كون الصدق يتخلله كذب الحيلة موجباً لحسن الظن به بل
خلط الصدق مع الكذب أبلغ في الحيلة وأنفذ في المكيدة ولهذا
يقال ما في معلوم ذنب إلا ويمازجه شيء من الحق ليلبس
الباطل به ويكون الخدعة أخفى فيه والحيلة في التصديق أقوى
قلت: هذا كلام صحيح وهو من محاسن الحكم لا ينازع فيه عاقل
بل النزاع في أن ما أتى به محمد عليه السلام يشتمل على الكذب
قال: فلنورد أولاً هذا الإنسان من صدق وغيره فنقسم
الصدق قوله في سورة الصمد قل هو الله أحد قلت:
لا شك أن هذا الكلام حق في نفسه لكن اختيار هذا المصنف تصديق
هذا الكلام إنما هو حمل لفظه التوحيد أو ستره لعوار دينه
التثليثي وتحلية لجميع الفاطمية به والإلحاح قولكم أحد من
قولهم الأب والابن وروح القدس إله واحد ودعواهم التوحيد

9

إلى هذا التصريح كلام في الريح لا يعقل ولا يتحصل قد حققت بطلانه
التعليق على الإنجيل قال: وقوله في سورة يونس إن ربكم
الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وفي سورة آل عمران
وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك الآية وقوله
في سورة الأنعام لا مبدل لكلماته يعني كتاب الله وهي التوراة والإنجيل
وفي سورة الحجر إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون والذكر
هو التوراة والإنجيل ويشهد لذلك قوله في سورة الأنبياء
وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر
إن كنتم لا تعلمون فيبين هذا أن كتاب الله غير مبدل قلت:
هذه الآيات كلها حق وصدق ولكن أخطأ هذا الخصم في إيرادها
في مواضع منها أنه حصر ما جاء به محمد من الصدق فيها والقرآن
مملوء من الحكم والأخبار التي يعلم بالضرورة صدقها وإنما هذا
رجل معاند يريد أن ينفي التهمة عن نفسه بإيهام العدل في
إيراد ما يعتقده صدقاً وكذباً وعادته يأبى عليه إلا إظهار
التعصب والجور وقد جمع آيات حصر الصدق فيها وهي مما
يعمل عليها وشنعه في عادة وشرع في ذكر ما يعتقده كذباً
جملاً منه الكتاب ويأبى الله إلا ظهور الحق واستعلاءه وخمول
الباطل وإذعانه ومنها قوله لا مبدل لكلماته وهو
منها في موضعين أحدهما أنه ذكر الكلمات المضافة إلى الضمير
فاحتاج إلى تفسيره بالله تعالى وقد كان يستغني عن ذلك بإيراد
الآية التي في أول السورة المذكورة وهي قوله ولا مبدل لكلمات
الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين فإن الكلمات فيها مضافة إلى الله
سبحانه لا إلى ضميره المحتاج إلى تفسير وهذا لا يقدح في صحة
ما احتج به لكن احتجاجه بما ذكرناه أظهر فعدوله عنه
مشعر بالضعف وقصور النظر الموضع الثاني أنه
فسر كلمات الله بالتوراة والإنجيل ليثبت علينا كتابنا أنها
حجة لازمة لنا وههنا سر من دون المراد موانع والذي يدل
على أنه ليس المراد بالكلمات ههنا التوراة والإنجيل هو أن هذه
الآية في سورة الأنعام وسورة الأنعام كلها جدال ومناظرة
لعباد الأوثان الذين يكذبون البعث ولا تعرض فيها لأهل الكتاب إلا
على طريق الاستشهاد بهم كقوله الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه
كما يعرفون أبناءهم وقوله والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل

من ربك بالحق وليس المراد باهل الكتاب الموجودين الآن بل المعاصرين
لزمن النبوة او لطريق عموم خطاب غيرهم لهم لا بالقصد واذا عرف
هذا فالله سبحانه يقول قبل هذه الآية أفغير الله أبتغي حكما وهو
الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا والخطاب لكفار العرب والكتاب
الذي انزل اليهم هو القرآن وهو المراد بالكتاب قاله قتادة
والطبري قال الله سبحانه والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه
منزل من ربك بالحق وهذا استشهاد باهل الكتاب الموجودين
حينئذ من اسلم منهم كعبد الله بن سلام وغيره او جميع اهل
الكتاب ولكن يكتم ذلك منهم من يكتمه عنادا ولو كان الكتاب
هو التوراة والانجيل لان الكتاب المذكور هو التوراة والانجيل
ولم يكن به حاجة الى ان يستشهد باهل الكتاب على صحته لان التوراة
والانجيل المنزلين على موسى وعيسى لم ينازع فيهما احد حتى يستشهد
لها وايضا لو كان لذلك لم يصح شهادة اهل الكتاب لانهم لموضع
التهمة ثم قال وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته
وهي الكتاب الذي انزل مفصلا وهو القرآن اذ لا معنى لقول القائل
وهو الذي انزل اليكم القرآن مفصلا وتمت التوراة والانجيل
ولا مبدل للتوراة والانجيل لان المخاطبين بهذا الخطاب هم كفار
العرب ومحمد عليه السلام لم يكن يدعوهم الى التوراة والانجيل حتى
يثني لهم عليهما وانما كان يدعوهم الى القرآن فتبين بهذا ان
المراد بقوله لا مبدل لكلماته هو القرآن وفيما رجع اليه نفي
التبديل قولان احدهما معناه ومتعلقه من اخبار وحكم
ووعد ووعيد اي ان ما اخبر الله في القرآن من خبر او وعد
من ثواب او اوعد من عقاب لا يستطيع احد تبديله ولا
يكون فسادة والثاني انه لفظه اي لا يقدر احد ان يزيد
فيه ولا ينقص لان الله سبحانه الهم المسلمين حفظه حرفا حرفا
فلا يدخله الزيادة والنقص كما دخل التوراة والانجيل على
ما قد شاهدته انا بنفسي في الكتابين من النقص والاختلاف
وانتبه في تعليقي على الكتابين ان هذا المصنف جعل عمدته
في كتابه تفسير ابن عطية فما باله لم يذكر ما قاله ابن عطية
في تفسير قوله وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل
لكلماته لكنه رآه عليه لا له فعمد ولم يذكر انه معتذر

الكتب فان كتب المسلمين ليست عنده حجة وانما يذكر منها ما يذكر احتجاجا
عليهم والزاما لهم وربما الهم شبها بهم كما يحتج عليهم بالتوراة والانجيل
على هذا الوجه ولا يعتقد صحة ما فيهما ومنها قوله ان الذكر
في قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون هو التوراة والانجيل
وليس كذلك بل هو القرآن باجماع مفسري القرآن ذكر
عبد الرزاق او ابن بشار عن معمر عن قتادة وثابت البناني في قوله
وانا له لحافظون قال حفظه الله من ان يزيد فيه الشيطان باطلا
او ينقص منه حقا قلت ونظيره قوله تعالى لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه والمعنى واحد واما احتجاجه على
ذلك بقوله فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فلا حجة فيه
لان قبل ذلك قوله سبحانه اقترب للناس حسابهم وهم في
غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث يعني القرآن
بلا خلاف الا استمعوه وهم يلعبون يعني كفار العرب لاهية
قلوبهم واسروا النجوى الذين ظلموا انفسهم وهم الكفار هل هذا
يعني محمد الا بشر مثلكم اي فليس باولى بالرسالة منكم كما قال
قوم نوح له وما نراك الا بشرا مثلنا وقول قوم صالح ابشرا
منا واحدا نتبعه ثم قالوا افتأتون السحر وانتم تبصرون فاجابهم
الله تعالى عن هذا بقوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم
اي ان الرسل الذين كانوا قبلك بشرا كانوا وقد اعترف هؤلاء
الكفار برسالتهم فما وجه انكارهم لرسالتك مع كونك بشرا ثم قال
فاسألوا اهل الذكر يعني اهل التوراة هل كان المرسلون الا رجالا
يوحى اليهم فالذكر المراد هنا غير الذكر المراد في سورة
الحجر وهو الذكر المحفوظ فان لفظ الذكر ورد في القرآن على وجوه
منها القرآن والتوراة كما في الموضعين المذكورين ومنها
الرسول لقوله قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا على ما قيل فيه
ومنها الشرف لقوله وانه لذكر لك ولقومك اي شرف
فلفظ الذكر مطلق على هذه المعاني بالاشتراك او التواطي
او بالحقيقة والمجاز وبكل تقدير فلا يصح استدلاله على ان الذكر
المحفوظ هو الذكر المسؤول اهله وبتقدير ذلك فتقرير
استدلاله على وجه صناعي هكذا الله سبحانه حفظ الذكر والذكر
هو التوراة فالله حفظ التوراة لكن المقدمة الاولى مهملة وشرطها
في الانتاج ان تكون كلية هكذا الله حفظ كل ذكر والتوراة ذكر

لكن ليس المقدر هذا وحينئذ يدخل الفصل في المقدمة الاولى فنقول
ما نعني بالذكر المحفوظ التوراة او القرآن الاول ممنوع والثاني
مسلم لكنه لا يفيد لان الجدل الاوسط في الشكل مختلف فيحمل الاولى
غير موضوع الثانية قوله فتبين بذلك ان كلمات الله غير مبدلة
قلت هذا صحيح لكن قد بينا ان المراد بكلمات الله ليس التوراة
والانجيل المراد من هذا المنزلين على موسى وعيسى بل كلمات الله
التي هي كلماته لا يدخلها التبديل في خبر ولا حكم ولا وعد ولا وعيد
وما بايديكم من ذلك التوراة والانجيل وسيرمنك محرف ومتناقض
علمنا مناقضه بالعيان والمباشرة قال القسم الثاني
من قوله تعني ما زعم انه كذب من اخبار محمد عليه السلام وذلك
قوله اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني
محررا الى قوله واني سميتها مريم وقوله في التحريم ومريم
ابنة عمران التي احصنت فرجها وقوله في سورة مريم يا اخت
هرون ما كان ابوك امرأ سوء قال وعند هذا الله ان مريم ام
المسيح هي بنت عمران اخت موسى وهرون قال واسم ابي مريم
ام المسيح يعقيم وامها حنة وبين مريم هذه وعمران ابي موسى الف
وخمسمائة سنة قال وعذرا له في هذه الغلطة ان القائل
اما جاهل واما قاصد انتقاعه في الغلط قلت تشير
هذا الخصم الى ان محمدا عليه السلام كان يتلقف اساطير الاولين ثم
ينظمها بعبارته والملقن له اما جاهل بالنقل او قاصد تغليطه
قلت وللعدو ان يقول ما يشا واما نحن فما قامت
عليه الحجة وهذا سؤال قد كفانا جوابه صاحب الشريعة
صلى الله عليه وسلم فروى المغيرة بن شعبة قال بعثني رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى نجران فقالوا السنتم تقرون يا اخت هرون
وبينه وبين عيسى وموسى ما كان فلم ادر ما اجيبهم فرجعت الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال الا اخبرتهم انهم
كانوا يسمون بانبيائهم والصالحين قبلهم رواه مسلم والترمذي
وقال حديث حسن صحيح قلت ومعنى هذا الحديث
ما ذكر عبد الرزاق في تفسيره قال انا معمر عن قتادة في قوله
يا اخت هرون قال كان رجلا صالحا في بني اسرائيل يسمى هرون
فشبهوها به فقالوا يا شبيهة هرون في الصلاح فهذا معنى الحديث

[illegible] التوراة والانجيل [illegible]

ان هرون هذا سمي باسم هرون اخي موسى بركة وحينئذ يفسد استدلال
هذا الخصم ويكون الجدل الاوسط في نظمه وهو هرون محتملا كما تقدم في
استدلاله على ان الذكر المحفوظ هو التوراة واما قوله ان اسم ابي
مريم يعقيم فجوابه من وجوه احدها ان هذا لم اعلمه ولا رايت
احدا ذكره حتى اثق به من علماء المسلمين وعلماء اليهود والنصارى
غير ما موه عندنا ولا وثوق لنا بما عندهم على ما سبق في مقدمات
الكتاب ومعاشر نحن معتمدون فيه وواثقون به وهو القرآن المفخم
ان اسم ابيها عمران ويكون ذلك من اسماء الاعلام المشتركة مثل
هرون وهرون وفرعون وفرعون وزيد وزيد وعمرو وعمرو
فلا نعدل عنه الى غيره ولم يتسلط لهم الى اقامة الحجة القاطعة
التي تضطرنا الى تسليمها علينا وان امكنهم ذلك ويعلوه فليأتوه
منهم فانه لا غرض لنا في العناد بل الحق حيث كان متبع الوجه
الثاني ان هذا اختلاف في الاسماء لا في المسميات فيجوز
ان يكون عمران يعرب يعقيم كان العرب تتصرف في الالفاظ الاعجمية
وتعربها كما سمت العرب المسيح عيسى واسمه في الانجيل
يسوع فعكسوه من اخره وقلبوا الواو ياء وكان اصل موسى موشا
بالشين المعجمة يعني الماء والشجر لان فرعون التقطوه من بين ماء
وشجر حين القته امه في اليم فمو هو الماء وشا الشجر وكما سموا
حران هذه المدينة التي بين الشام وبلاد الجزيرة باسم هاران
اخي ابرهيم وهو ابو لوط لانه بناها فعربوها فقالوا حران
ولعل عمران اسم ويعقيم لقب وكل هذا محتمل فلا يقدح مثله
في صاحب ناموس عظيم غلب ناموسه على ناموس المسيح والكليم
قال ومن ذلك قوله في بشارة الملائكة لزكريا
يحيى قال رب اجعل لي آية قال آيتك الا تكلم الناس
ثلثة ايام الا رمزا قال وهذا باطل لان سكوت زكريا كان
ازيد من تسعة اشهر وذلك من الوقت الذي بشر به الى ان
وضع وان ذلك كان على جهة التاديب والعقاب يعني على مراجعة
الملك وكونه لم يثق بقول الملك لا على جهة الآية وذكر
حكاية ذلك من الانجيل في كلام طويل قد ذكرناه وجوابه
في الطعن على الانجيل قلت والذي يحتاج الى الجواب
عنه في هذه الجملة امران احدهما ان سكوته كان اكثر من ثلاثة
ايام الثاني ان سكوته كان عقوبة لا علامة والجواب

عن ذلك من وجهين احدهما الجواب العام وهو ان مستندكم في هذا الاعلال
وليس بحجة علينا كما ان ما عندنا ليس بحجة عليكم على زعمكم فبقيت دعوانا
ودعواكم ولا فاصل بيننا تلزمنا جميعا الرجوع اليه الوجه
الثاني ان خبر محمد عليه السلم اثبت بلية الايام ولم ينف ما فوقها
واثبت العلامة ولم ينف العقوبة فادن الجمع بين القولين ممكن وهو
ان سكوته كان بسبعة اشهر ومنها بلية الايام المذكورة ولعله انما
اقتصر عليها لخصيصة فيها وذلك ان في القران في سورة مريم انك
الا تكلم الناس ثلث ليال سويا قال عبد الرزاق اخبرنا
معمر عن قتادة عن عكرمة قال سويا من غير خرس روي نعمة
المنع ستا من خرس وبكون الاول علامة والثاني عقوبة
والقران الكريم انما ذكر هذه القصة في سياق ذكر النعمة على
آل ابرهيم وآل عمران واصطفائهم على العالمين فاقتصر على ذكر
زمن الاية والعلامة التي هي من نعم الله على خلقه اذ هي موجبة
لطمانينة القلوب ولم يذكر مدة السكوت الذي هو عقوبة لئلا يفضي ذلك
الى ضرب من تكدير النعمة بذكر العقوبة عقبها والقران فيه من
ملاحظات الاداب واللطائف ما هو ادق من هذا ونسبة
هذا ادب ابرهيم مع ربه حيث يقول الذي خلقني فهو يهدين
والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين فاضاف الخلق
والهداية والاطعام والاسقاء الى الله لانها نعم واضاف المرض
الى نفسه للوبة محله وان كان ليس منه في الحقيقة بادبا لان
المرض صورته صورة نقمة فاضافه الى المنعم بشانا والاعتراف
له بالانعام تكثر للادب ولذلك لا تتنافى كون السكوت
علامة على صدق البشرى وعقوبة على عدم المبادرة الى
التصديق بها وذكر العقوبة في هذا ليس مما اخترعه هذا
المصنف من الاسولة على القران بل قد ذكره مفسرو القران
منهم قتادة قال الطبري وهو قول اكثر المفسرين قلت
وعليه اشكال وان كان قد ذكره المسلمون فانه لا خلاف بيننا
وبين النصارى ان مريم لما بشرت بالولد استعظمت ذلك وقالت
انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر فطوبة ذلك قرانا يتلونهم
بها انها لم تعاقب على ذلك بشي فان قال قائل ان زكريا كان اكمل
من مريم والاكمل في الحال اولى بالعقوبة على الافعال وهذا
معلوم في قواعد الشرع والعقل ولهذا كان وعيد العلما اعظم

من وعيد الجهال قلنا الجواب من وجهين احدهما ان هذا مع قيام
المقتضى للعقوبة انما يقتضي تخفيف العذاب عن المفضول في الحال
لا سقوطه بالكلية وقد وجد مقتضى العقوبة في مريم اذ وجد في زكريا
فكان ينبغي ان يحصل لها من العقوبة بحسب حالها الثاني
انه اطلق بابرهيم لما سال الطمانينة لمشاهدة كيفية احيا الموتى
وانه لم يعاقب مع انه في عدم المبادرة الى قبول خبر الصادق
كزكريا ومريم بل اولى لوجهين احدهما انه كان في غاية من الكمال
الثاني ان المخاطب له كان هو الله نفسه على ظاهر القران
والمخاطب لزكريا ومريم كان الملك وبشارة زوجة ابرهيم حين صكت
وجهها وقالت عجوز عقيم ولم تعاقب والاشبه والله اعلم
ان العقوبة لا مدخل لها هنا لوجهين احدهما ان الله سبحانه
خلق الانسان من ضعف ولم يجعل في قوة عقله ادراك الحقائق الالهية
فعدل الله سبحانه يقتضي تمهيد عذر الانسان اذا صعقت مثل هذه
المقامات المدهشة ما لم يصر على العناد ولو كان مثل هذا
موجبا للعقاب كان اولى الناس به موسى عليه السلم قال الله
سبحانه لما قال له الق عصاك فالقاها القا راغب عنها
ظنا منه ان الله نهاه عن حملها ثم النقب فاذا هي حية تسعى فاسعر
هربا فلما عاد قال له ربه خذها ولا تخف فلف كم مدرعته
على يده ثم تناولها فقال له الملك ارايت لو اذن الله لما
تحاذر اكانت تغنيك كمك فقال لا ولكني ضعيف ومن ضعف
خلقت فان موسى فعل هذا الفعال وهو بحضرة الله سبحانه يسمع كلامه
بغير واسطة وقد انسه بالكلام وليس امره في شك فقد
كان اولى بالعقوبة اذن ولكن مثل هذا لا نقص بها في عدل
الله سبحانه الثاني ان العقوبة تستدعي ذنبا وليس هاهنا
ما يصح ان يكون ذنبا الا الشك في قدرة الله على ما اخبر به او
في صدقه والانبيا عارفون بالله وصفاته لا يخفى عليهم مثل
هذا وهم معصومون منه والملك في ذلك من زكريا ومريم
وابرهيم وبشارة وكل من صدر منه ذلك من المومنين بالله تعالى من
جنبة المقدور لا سبحانه في حقيقة فاراد ان يعرف هل تعاد دنيا با
ثم برزق الولد او برزقه وهو في الحال والتعجب وسوال
الله سبحانه ليكشف الامور الملتبسة ان لم يصر بواب المعصية
عقابا ومن الدليل على ان العلامة مراده من سكوت زكريا

ولا بد مما ذكر في الانجيل ان زكريا قال للملك من اين اعلم هذا وانا شيخ
وزوجتي قد بلغت في ايامها فهذا سؤال من زكريا للآية بلا شك
فاجابه الملك وقال انا جبريل الواقف بين يدي الله وارسلت
لابشرك بهذا وها انت تكون ساكتا لا تقدر على الكلام الى اليوم الذي
يتم هذا لانك لم تصدق كلامي الى اليوم الذي يتم في زمانها فاخبر في
الانجيل ان جبريل اجاب زكريا على سؤاله والجواب يجب
مطابقته للسؤال وقد ثبت ان سؤاله كان عن الآية فيطلب الجواب
بها وزيادة العقوبة ان ثبت وسلمناه لا ينافي ذلك لان الجواب
يجوز ان يتضمن زيادة على ما في السؤال كما في قوله تعالى وما تلك بيمينك
يا موسى قال هي عصاي هذا طبق السؤال وقوله اتوكأ عليها
واهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى هذا زيادة عليه
وقوله عليه السلام حين سئل انتوضأ بماء البحر فقال هو
الطهور ماؤه هذا طبق السؤال وقوله الحل ميتته زيادة
عليه ولكن وجه الجمع بين الآية والعلامة اما على ما ذكرناه من قبل
وهو ان يلبث الانسان سويا من غير خرس علامة وبابقائها اخرس
عقوبة او بان مطلق السلوب علامة وامتداده الى حين
الوضع عقوبة والله اعلم فان قيل ومن ذلك قوله في
سورة يوسف فلما دخلوا على يوسف آوى اليه ابويه الى قوله ورفع
ابويه على العرش وخروا له سجدا وتقرير السؤال من وجوه
احدها انه اخبر ان ابوي يوسف حضرا عنده في ذلك الوقت
وقد ثبت في التوراة ان راحيل ام يوسف ماتت في نفاسها ببنيامين
ودفنت ببيت لحم قبل ان تظهر ليوسف ما ظهر والثاني
انه ذكر انهم سجدوا ليوسف ولم يذكر في التوراة غير ان يعقوب
لما راى يوسف نحى ذراعه وعانقه باكيا قلنا
والجواب عن الاول من وجوه احدها الجواب العام وهو عدم
الوثوق بالتوراة وقد بينت في التعليق عليها من التناقض والتهافت
ما بين لكل عاقل انها مما لا يعتمد عليه الثاني اني تاملت هذا الحلم
في التوراة على جهة التفصيل فوجدته مختلفا مشتبها جدا
وذلك انه ذكر فيها ان راحيل ام يوسف ماتت على طريق
بيت لحم عند قدوم يعقوب من عند خاله لابان وذلك قبل
ان يرى يوسف الرؤيا بمدة وذكر فيها ان يعقوب بعد اجتماعه

بيوسف بمصر قال له واني حين اقبلت من فدان ارام يعني قدومه
من عند خاله لابان بحوران ماتت راحيل امك بارض كنعان
في الطريق ثم دفنتها ببيت لحم فهذا نص صريح يقتضي ان ام يوسف ماتت
قبل ان يرى الرؤيا وذكر فيها ان يوسف لما جاءه اخوته يطلبون
الميرة عرفهم وهم له منكرون اتهمهم بالتجسس عليه وجعل ذلك
ذريعة الى سؤالهم عن عددهم حتى انتهى الى ذكر بنيامين فقال ائتوني به
لاعلم صدقكم فرجعوا الى ابيهم فقالوا ارسل معنا بنيامين فقال لهم يعقوب
ان اخاه قد مات ولم يبق لامه غيره ولعله تصيبه مصيبة في
الطريق وظاهر هذا ان امه الآن حية وانه خاف على جرح قلبها
وقلبه لفقده ولذلك ذكر فيها ان اخوة يوسف قالوا له حين سألهم
عن عددهم ان لنا ابا شيخا وله ابن صغير وهو ابن ذكرته ومات
اخوه وهو واحد لا غير لامه وابيه وابوه يحبه وهذا قاطع في
ان ام بنيامين حية الى الآن وهي ام يوسف وهذا تهافت
في التوراة ظاهر فمن احتج بالنص الاول على موتها قبل هذا الحال
احتججنا عليه بهذا القاطع انها باقية الى هذا الحال وبقول يعقوب
ليوسف حين قال اني رأيت احد عشر كوكبا والشمس
والقمر رأيتهم لي ساجدين فزجره يعقوب وقال له ما هذه الرؤيا
التي رأيت أجيء انا وامك واخوتك فنسجد لك على الارض فيقول
ان كانت ام يوسف التي ولدته حية الآن فهو ناقض لما في
التوراة من انها ماتت قبل ذلك ودفنت ببيت لحم واذا
وقع التناقض فيها سقط الاحتجاج بها وليس للخصم مستند في ذلك
غيرها وان كانت قد ماتت فقد سمى يعقوب ليوسف بعد
امه اما فتلك التي سجدت له مع يعقوب عند تأويل
الرؤيا سواء كانت هي والدته احياها الله حينئذ تصديقا
لرؤياه كما قال الحسن البصري او كانت خالته وسميت
اما مجازا كما قال بعض المفسرين وكما قد ثبت في الانجيل انهم
كانوا يسمون مريم ويوسف ابوي المسيح في غير موضع وقالت
له مريم لما تخلف عنها في اورشليم يا بني لم تخلفت عنا وانا
وابوك نطوف عليك فقد سمي يوسف ابا المسيح لكونه زوج
امه مجازا فكذا سميت زوجة يعقوب اما ليوسف مجازا
خصوصا وقد كانت زوجة ابيه اخت امه نسبا وهي ليا

يلتبس لأن فقرب المحذور زال الاشكال والله اعلم بالصواب
الثالث ان المراد بأبويه ابوه وخالته والعرب تسمي الخالة
اما والعم ابا كما روى ابو اسحق عن البراء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
الخالة بمنزلة الام كذا رواه الترمذي وقال حديث صحيح وعن
ابن عمر ان رجلا قال يا رسول الله اني اصبت ذنبا عظيما فهل
لي من توبة قال هل لك من ام قال لا قال هل لك من خالة
قال نعم قال فبرها ٥ اخرجه الترمذي ايضا وقال
الله جل ثناؤه عن بني يعقوب انهم قالوا له نعبد الهك واله ابائك
ابرهيم واسمعيل واسحق الها واحدا فسموا اسمعيل اباه وانما
هو عمه وكله هذا الوجه قد سبق في الذي قبله ٥ الرابع
ما ذكره الحسن وهو ان الله سبحانه احيى راحيل ام يوسف
حتى سجدت له تحقيقا لرؤياه وقول الاول ان هذا ونحوه لم
يذكر في التوراة جملة وضيق عطن في العلم فان التوراة التي
عندكم ان صح انها التي جاء بها موسى فهو جزء يسير من علم الله
وبعض سيرة جرى للقوم وقد جرى لهم حوادث وتفاصيل
لم يذكر فلعل هذا منها والله سبحانه يفضل بعضنا على بعض في
العلم والحشم والمال والعقل وغير ذلك فما المانع ان
يكون الله سبحانه اختص محمدا من العلم بما لم يختصكم فاخبره بذلكم
وان غاب عن ابويكم واحد الخزيه منكم [illegible] بما يسببه والجواب
عن الثاني وهو سجودهم له من وجوه احدها هذا بعينه وهو
ان في القران زيادة علم لم يبلغكم تخصيصا من الله لغيركم علم
الثاني ان السجود المذكور في القران ليس المراد به وضع الجباه
على الارض بل هو الايماء بالرؤس والانحناء على جهة التعظيم وكانت
تلك تحية الملوك عندهم فلعله لخفاء صورته وعدم ظهور
تأثيره في هيئة الاسباب الانتصابية لم يذكر في التوراة
اعتبارا بصورته وذكر في القران اعتبارا بمعناه وهو
التعظيم على انه قد صرح في التوراة بان اخوة يوسف
لما عرفهم وهم له منكرون خروا له سجدا ثم عادوا المرة الثانية
خروا له سجدا وان يوسف لما جاء بابنيه منشا وافرايم
الى يعقوب ليبرك عليهما سجد له وان ابرهيم لما استبرك
بمغارة عفرون ليجعلها مقبرة لسارة فقال الولد وهبتها
لك خر لهم ساجدا على جهة الشكر حيث [illegible] ٥ ولم

تعالى بسوره وسالهم ان يأخذوا منه ثمنها فقد كان السجود عندهم
سهلا متعارفا في هذه المواطن اليسيرة الخطب وهو من ملة ابيهم
ابرهيم وفي التوراة ان يعقوب لما التقى باخيه العيص سجد له
بالارض سبع مرات فما ظنك بحال الدخول على يوسف من
قوم مشوقين اليه ووجلين منه بعد سنين متطاولة فان العقول
تحكم بان هذا المقام اولى بالسجود من كل مقام خصوصا لشخص
قد احياهم الله به وقد غمرهم باحسانه بعد ان بالغوا في الاساءة
اليه ففي السجود له فوائد منها اقامة رسم الملك بعد
محنته والثانية التوصل الى ازالة ما في نفسه والثالثة
اظهار المحبة ليوسف والطاعة له ليرضى عنهم يعقوب ويطيب
قلبه بتصافيهم ٥ الرابعة مكافاته على بعض احسانه الخامسة
تصحيح رؤياه فان رؤيا الانبياء وحي ٥ الثالث انه ذكر في
التوراة ان يوسف لما قص رؤياه على يعقوب زجره لما قصها
وقال له ما هذه الرؤيا التي رايت اجئ انا وامك واخوتك
فنسجد لك على الارض فكان يعقوب قد وعى معنى الرؤيا
فلو [illegible] بما اراد ان يصد عنه كيد اخوته له باستبعاده
ذلك وانكاره فلو [illegible] هذا يعقوب قد فهم ان تاويل
رؤيا يوسف سجود اخوته وابويه له وقد ثبت ان الرؤيا
صحت فلذا تاويلها خصوصا والرؤيا رؤيا نبي والتاويل
تاويل نبي ورؤيا الانبياء وحي [illegible] الهام وانما كان
في التوراة ان يوسف راى رؤيا اخرى وهي انه راى انه واخوته
جمعوا حزما في المزرعة وقد قامت حزمته وجاءت حزم
اخوته فسجدت لها وهذا يدل على سجودهم له لما تقدم
لان الرؤيتين دلتا على حكم واحد وهو السجود الرابع
انه يجوز حمل ما في القران على ان قوله ورفع ابويه على العرش
جملة وقوله وخروا له سجدا جملة تختص ضميرها باخوة يوسف
لم يتناول ابويه فيكون ذلك موافقا لرؤيا الحزم كانها
انما تضمنت ما دل على سجود الاخوة فقط دون الابوين
وتنصيص هذا فرضا حدا ان اخوته سجدوا له فيكون ذلك من
نص التوراة وهذه يكون بالنية وموقفها اولى بالسجود من غيره
على ما سبق واما ترك ذكره في التوراة اكتفاء عنه بالمرتبة
الاولى ونبها عليه بطريق اولى ٥ قلت وفي ورود

القران يروونها النجوم دون روايتها بالجزم دليل على صدق محمد عليه السلام
وان القران وحي من الله وانه انما اخبر بما اوحي اليه والا فلو كان نقل
ذلك من كتب الاولين لتتبعها ولظفر به بالجزم ولذكرها خشية
ان يطعن عليه بالنقص او الزيادة في علم ذلك قال
ومن ذلك في سورة القصص بعد ذكر موسى ولما ورد ماء مدين
وجد عليه امة من الناس يسقون ووجد من دونهم امراتين
تذودان الى قوله اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان
تأجرني ثماني حجج قال اللذين في هذه القصة مواضع احدها
قوله وجد عليه امة قوما يسقون ولم يذكر ذلك يعني بل القوم طردوا
غنم بنات شعيب وقد ملان الحوض ليسقين غنم ابيهن فاخرجوهن
فقام موسى فجاهد وسقى غنمهن الثاني ان لفظ التوراة الثاني
ان النساء سبعا لا اثنين الثالث ان عرض شعيب ابنته على موسى
واستئجاره ثماني حججا ليس له ذكر فيها انما هذا كان في زواج
يعقوب من راحيل بنت خاله لابن وانما اختلطت لهذا الانسان
القصة او خلطت له بقصة زواج يعقوب التي لم يذكرها في
التوراة من قصة موسى في ذلك وهو ان قال فيها بعد ذكر قتل
موسى للقبطي فسمع فرعون هذا الخبر وكان يطلب قتل موسى فهرب
من حضرته واقام بارض مدين وجلس على البير وكان لامام
مدين سبع بنات فاقبلن لا يسقين الماء فملان الحياض واردن
سقي غنم ابيهن فاقبل الرعاة عليهن واخرجوهن فقام موسى
وحمى الجواري وسقى نعاجهن فلما انصرفن الى رعوابيهن قال لهن
لم جئتن اسرع من المعتاد فاجبن رجل مصري انجانا من الرعاة
وبزيادة استقى الماء وسقى النعاج فقال ابن هو لم خلفتن
الانسان ادعونه لياكل خبزا فحلف موسى ان يسكن معه واحد
شابورينه زوجة قال هذا نص التوراة ان الجواري كن سبعا
لا اثنتين وان الذي كان اسمه تيرو لا شعيب ولا ذكر
لاستئجاره ثماني حجج ثم ذكر قصة زواج يعقوب في التوراة
الى اخرها ثم قال فتامل بالقارئ اختلاط احدى القصتين
بالاخرى فان قلت والجواب عن هذا السؤال وجوه
احدها الجواب العام بالقدح في التوراة وعدم الوثوق
بها لما تقرر في المقدمة وقد وجدنا فيها من التناقض والاختلاف

ما يقتضيه يقدح في الاحتجاج بها ولذلك سببان ظاهران احدهما ان اليهود
حرفوا منها اسم محمد عليه السلام ولا يلك نبوته لئلا تكون عليهم حجة لدين
... بهم وحرفوا مع ذلك اشياء كما جاء به محمد عن وضعه الذي في التوراة
ليصير ذلك شبهة لهم في الذين ويقولون ما يصنع به لو وافق
ما عندنا او ذكر فيه امنا به السبب الثاني ان التوراة بعد قدم
عهدها وحرقت في زمن بخت نصر وتعاورتها التغيرات
والتنقلات من العبراني الى السرياني الى القبطي الى العربي
لفظا وخطا ويبعد من مثل هذه التغيرات ان لا تخل بالمعاني
ولذلك صارت التوراة التي بيد النصارى تخالف التي بيد اليهود
والتي بيد اليهود يخالف بعضها بعضا كما ان اناجيل النصارى يخالف
بعضها بعضا لا ... في التعليق عليها لان اهل الكتاب يعتمدهم
على الخط لا على الحفظ وعلى الرواية بالمعنى لا باللفظ الثاني
ان علماء المسلمين ذكروا قصة موسى على وفق ما هي في القران وكان لهم
اجتماع باهل الكتاب واطلاع على علمهم واسلم جماعة من اهل الكتاب
ووافقوهم على ذلك كعبد الله بن سلام من اليهود والعاقب والسيد
ومشيخة نجران من النصارى والنجاشي صاحب الحبشة في ناس كثير
فدل على ان ما في القران موافق لما في الكتب القديمة ولكن هذا
الذي يدعونه تحريف حدث فان قيل انما كان اسلام بعض
اهل الكتاب وعدم انكارهم ما جاء به القران من الوهم مخافة
من سيف الاسلام فانه كان مشهورا منصورا لا يقوم له احد
قلت هذا ما لا يعتد به فان مصنف هذا الكتاب قد ابرز فيه
ما عنده من الطعن في دين الاسلام مع المخافة وظهور الاسلام
ولم يمنعه ذلك فلو امكن لاوائل من اهل الكتاب قدح لفعلوا ولو
في خفية ثم لاشتهر في ذلك العصر ثم ينقل الى ناكف والمسيح
صلى الله عليه يقول ما من خفي الا سيظهر ولا مكتوم الا سيعلن
وهو قول معصوم لا يخرم وايضا فان من الممتنع عادة ان احدا
ينتقل من دين الى دين الا بعد انشراحه لما انتقل اليه وانقباضه
عما كان عليه وان من ينشرح صدره لا ان يحتمل الذل والصغار
والقتل ولا ينتقل عنه كاليهود والنصارى في بلاد المسلمين
والمسلمين في بلاد النصارى ثم المحال عادة ان جماعات من احبار
اليهود والنصارى ورؤسائهم وزعمائهم يتركون دينهم في

عصر النبوة الينا الا بعد علمهم بصحة ما جاءت به وحينئذ يصير
ها ولا حجة على من يقدح في الاسلام من اهل الدين وهذا ابن
جزلة صاحب منهاج البيان في الطب كان نصرانيا فاسلم وصنف كتابا
سماه افحام النصارى وله مقامات ووقف كتبه على تربة الامام
ابي حنيفة النعمان بن ثابت ببغداد وكثيرون مثله يسلمون ويحسن
اسلامهم وبعد ذلك يطعنون فيما كانوا عليه من اليهودية او النصرانية
ولم نر احدا خرج عن الاسلام بعد ما اسلم الا ان كان
لان المسلمين لا يتركونه بل يقتلونه فلا يتسع له زمن النظر والترجيح
بين ما انتقل عنه واليه ثم الجسم مادة الردة في الاسلام
خوف القتل قلنا لا شك ان مصلحة الدين ومنفعته عظيمة
وهي النجاة الابدية وعظم مصلحته يوجب قوة الداعي المحرك اليه
وذلك يوجب انفتاح ابواب الوسائل الموصلة الى المقصود
منه وهذه بلاد النصرانية ملاصقة لبلاد الاسلام والسبل
اليها امنة مسلوكة وفي المسلمين ناس كثير وقفوا على حقيقة
دين المسلمين والنصارى وهم علماء الى الان فلو صح لهم ما ذكرتم من القدح
في دين الاسلام ليوصلوا الى ارض النصرانية واعتصموا بها
وجعلوها هجرة دينية والله اعلم ثم لو لم يكن في هذا الجواب
الا معارضة ما نقله المسلمون لما تعلموه لا وقف دعواكم
في صاعد النظر حتى تبدوا مرجحا لما قلتموه او دليلا اخر ه
الباب ـــ ان ما حكاه هذا المصنف من القصة في التوراه
لا ينافي ما في القران بل في القران زيادة بيان ومناسبة للقضية
عن ذلك الزيادة لكونها لم يذكر في التوراه جملة لانه ابطال
للوجود المحض بالعدم المحض وذلك عناد او قصور باع في العلم
لما بيناه في الوجه الرابع من الجواب عن قوله ورفع ابويه على
العرش في السؤال قبل هذا وبيان عدم المنافاة اما
قوله ان موسى لما ورد ماء مدين لم يجد القوم يسقون
بل ظن وابعد ذلك فهذه مناقشة باردة ممن لا يعلم مواقع
الكلام خصوصا لغة العرب واتساعها بل ولا حقائق المعقولات
كان لما في لغة العرب اداة زمانية اي يدل على الوقت
والزمان كاذا قلت قام زيد لما قعد عمرو فمعناه قام زيد
وقت او زمان قيام عمرو فقوله لما ورد ماء مدين وجد
عليه امة اي وقت او زمن وروده ماء مدين وجد عليه امة

منهاج البيان

16

ولا شك ان الزمان والمكان يكونان حقيقة ومجازا فحقيقة المكان هو
الموضع الذي يستقر فيه الجسم ويحيط به فقط دون ما حوله كذا ابره
الكرسي مثلا لمن جلس عليه ومجاز المكان ما قارب مستقر الجسم وما
احاط به من مكانه الحقيقي كالبيت او الدار بالنسبة الى الكرسي
الذي جلس عليه وحقيقة زمان الفعل الجزء الذي يحدث فيه الفعل
فقط لا يتناول شيئا مما قبله ولا بعده كالجزء الذي كان فيه ورود موسى
ومجازه هو ما قارب ذلك الجزء ساعة او ساعتين او اول او
اكثر بحسب قرب المجاز وبعده وعظم الحقيقة وصغرها واذا
ثبت هذا التقرير كان ان لا منافاة بين قوله في القران لما ورد
ماء مدين وجد عليه امة وبين قوله في التوراه فاقبل الرعاة
عليهن واخرجوهن لجواز ان يكون اقبال الرعاة ووجدان موسى لهم
جميعا في زمن وروده المجازي الذي هو بعيد زمن وروده
الحقيقي وكذلك قوله ووجد من دونهم امراتين تذودان
قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء فسقى لهما مع قوله
في التوراه فقام موسى وحمى الجواري وسقى نعاجهن لا ينافي بين
الامرين لجواز انهما لما اخرجهما الرعاة عن الماء وقفتا تذودان
غنمهما اي يحفظانهما لئلا تشرد فجاء موسى فقال ما خطبكما فاخبرتاه
بحالهما وسقى لهما واما قوله لم يسمعا الا ابنتين فمن الجائز
ان السبع حضرن لكن الذي تولى ذود الغنم منهن اثنتان والاخر
اشتغلن الخاص او ينظرن في مصلحة اخرى للغنم فوقع الخطاب
في القران على الذائدتين دون البواقي لانهن حينئذ اخص بالغنم
والبواقي كالاجنبيات منها لا تعلقهن بالحال تعلقهما بامرها
واما قوله لا ذكر لقدوم موسى شعيب الى زواج ابنته
ولا لاستئجاره ثماني حجج فلا ينافي ما في القران من ذلك لان هذا
مجمل وما في القران مفصل ولا تنافي بين المجمل والمفصل على
ان اما قوله في التوراه ان يثرو قال لبناته ادعونه ياكل
خبزا فحلف موسى ان يسكن معه واخذ صفورا بنته
زوجة نسقا على ما فصله القران ان يثرو عزم على موسى واقسم
عليه ان يسكن معه وهذا قريب في العرف من قوله اني اريد
ان انكحك احدى ابنتي هاتين كان الناس جرت عادتهم
انه اذا ورد عليهم غريب فظهرت منه النجابة والخير والخصال

الحميده والافعال النافعه ليسلوا به ويحسنوا الى الملام عندهم
وعرضوا عليه المساكن والسكن لمن يرتبط بذلك عليهم فينتفعون
به وينتفع بهم وقد كان من اخوة الناس مثل هذا الكثير ولو كان
بابه حزنًا يتعفف عن الطعام بامر الغنم وقد كان الرعاة يستعفون
واما قوله كان اسم ابيهن يثرون لا شعيب فقد سبق جواب
مثله عند قوله كان اسم ابي مريم ام المسيح يعقيم لا عمران وذلك
ان الاسماء الفاظ تختلف باختلاف اللغات ومع اتفاق المسميات
عند قوله كان اسم ابي مريم لا تضر اختلاف الاسما ويدل على هذا
ما ذكره وثيمه بن موسى في القران في كتاب قصص الانبياء
محمد بن اسحق قال حدثني عبد الله بن زياد بن سمعان عن بعض من قرا
الكتب ان اهل التوراة يزعمون ان شعيبا اسمه في التوراة ميكائيل
ابن جزي وبالسريانية يثرون بن جزي بن يشجر وبالعربية
شعيب بن جزي بن يشجر بن لاوي بن يعقوب قال وحدثني الشرقي
ابن القطامي وكان عالما بالانساب قال هو يثرون بالعبرانية
وشعيب بالعربية بن عيفا بن نويب بن مدين بن ابراهيم فيستبين
بما ذكرناه ان هذا النزاع لفظي لا يقدح في حقائق المعاني واما
ما ذكره من الاستبعاد انما كان في قصة زواج يعقوب لا موسى
فجوابه ان احتجاجه في هذا انما هو بسكوت التوراة عن ذلك
في قصة موسى على ما وقع فيها من التحريف والتبديل والزيادة
والنقص والتفاوت بين النسخ بالنسبة الى ما بايديكم وايدي
اليهود والى ما في ايدي طوائف اليهود وذلك استدلال بالسكوت
الصرف والعدم المحض والقران جاء بزيادة بيان فليس قدح
التوراة في القران لحجه بالزيادة اولى من قدح القران في التوراة
لحجها بالنقص فلا مرجح لاحد القدحين على الاخر على ان ما في القران
اولى بالاعتبار لانه اثبت بسياق القصة لمن تدبره ولانه
اقرب عهدا بالظهور من التوراة وابعد عن التحريف والنقل
من لغة الى لغة ومن ترجمة الى ترجمة والمسلمون اشد عناية
بحفظه من اهل الكتاب بحفظها ثم نقول لنا ما المانع ان يكون
قصة يعقوب وموسى في زواجها اتفقا على صفة واحدة
كما اتفق لابراهيم واسحق في ان كل واحد منهما لما دخل ارض ابيملك

ابيملك فلسطين ادعى ان زوجته اخته لجمالها خشية ان يغلب عليها وقد
صرحت بذلك التوراة لكن اتفق انها شرحت قصة يعقوب بابسط
مما شرحت قصة موسى ثم بعد هذا كله نقول لهذا النصراني
الخلاف والتناقض الذي اوردته علينا يقدح في نبوة هو
في ملتنا وهما التوراة والقران ولا شك ان انجيل لوقا
في الفصل الثاني والثلاثين ان يوحنا قال للمسيح يا معلم رأينا
انسانا يخرج الشياطين باسمك فمنعناه لانه لم يتبعنا فقال
لا تمنعوه لان كل من ليس عليكم فهو معكم وفي انجيل مرقس
هذه الحكاية بعينها وان المسيح قال فيها كل من ليس معنا فهو علينا
وهذا تناقض شرعي بانه ان جعل واحدا من الناس اما ان يكون معك
او عليك او لا معك ولا عليك فالطرفان حكمهما معلوم انما
الواسطة وهي الذي لا لك ولا عليك فانها على لفظ لوقا تكون
لك لانها ليست عليك وعلى لفظ مرقس تكون عليك لانها ليست لك
فهذا تناقض في انجيلكم وهو كتاب ملة واحدة يقصد حجة على نقض القدح
في نقصه قدح في كله فما كان جوابك عن هذا التناقض الذي في الانجيل
فهو جوابنا عن التناقض الذي بين التوراة والقران ولو وجدنا بحثا ك
في هذا الا ان ما اوردناه عليك من تناقض كتابك وارد عليك ولازم
لك وما اوردته انت علينا من تناقض التوراة والقران ليس
لازما لنا لانا نحن نقول القران حق وصدق والتوراة التي بيد
علينا لها لا نقول التي اوتيها موسى كذب وزور ومحال وافترا
على الله ورسله وانت لا يمكنك ان تقول ان انجيل لوقا حق وصدق
وانجيل مرقس كذب وزور او بالعكس لان الاناجيل الاربعة
في كتاب واحد وموضوعها واحد وانما اختلفت بالزيادة والنقص
والرواية بالمعنى وما فيها من الاختلاف والتناقض فان قلت
ان الذي اوردته علي من تناقض انجيل لوقا وانجيل مرقس ليس
تناقضا في الاصل بل هو من قلم الناسخ فهو خطا في صورة الخط
لا في حقيقة النبوة المسيحية قلت فهذا بعينه جوابنا عما
اوردته من تناقض التوراة والقران في قصة موسى وهو ان تضرب
الخطا الى قلم الناسخ وصورة الخط في التوراة وهي اولى بذلك
من القران لتقادم عهدها وتغير التراجم واللغات فيها
بل واولى من الانجيل لانه قبله فان قلت انا ما اوردت
تناقضا بين التوراة والقران بل كذبت القران بالتوراة ا

قلت هذا هو معنى التناقض في جوابك ما سبق من أنه ليس تكذيب
القرآن بالتوراة أولى من تكذيب التوراة بالقرآن بل هذا أولى لما
بيناه غير مرة والله أعلم قال وفي سورة النساء بعد ذكر
اليهود وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما
قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وذكر كلاما لابن عطية في
تفسير قوله شبه لهم وأن معناه أن شبه المسيح ألقي على صاحب
له تطوع له سرجس باختياره على أن يكون رفيق المسيح في الجنة قال
ويتمسك المسلمون بهذا في القطع على أن المسيح ما صلب وذلك
باطل بالتواتر عند الأمتين اليهود والنصارى ومؤرخي المجوس
على صلب المسيح وبنص الكتب المقدسة وذلك كلام أشعيا
ودانيال وما في الإنجيل متى مما يدل على ذلك وأن المسيح صلب
ومات وقبر وقام حيا في اليوم الثالث وظهر للتلاميذ مرارا
كثيرة. ولما تكلم السهروردي في كتاب التلويحات في التواتر وشروطه
في أصول الفقه تعرضت له قصة الصلب فقال لولا أن صلب
عيسى لم يبق على المحسوسات اعتماد قلت هذا حاصل ما
أورده على السؤال والجواب أما الآية الكريمة المخبرة بنفي
قتل المسيح وصلبه فنعتقد أنها حق وصدق ونتمسك بها على
القطع بذلك لأنها عندنا صادرة عن الحكمة والعلم الإلهي بواسطة
العصمة النبوية وهي منقولة إلينا بالتواتر وأما ما حكاه
عن ابن عطية في تفسير قوله شبه لهم فذاك مما لم يختص بنقله ابن عطية
بل ذكره جميع مفسري القرآن قديمهم وحديثهم على اختلاف
بينهم في ذلك فقال ابن سمعان ومحمد بن إسحاق إن الذي ألقي عليه
شبهه عيسى هو رجل من أصحابه يقال له سرجس وقال وهب
ابن منبه هو يوذا الذي أسلمه ودل عليه وهو الذي اسمه
في الإنجيل يهوذا الإسخريوطي قلت وهذا أشبه لأن عادة
الله سبحانه جرت في أنبيائه أن يرد كيد أعدائهم عليهم كنوح
إذ كاده قومه فنجا وغرقوا وإبراهيم إذ ألقي في النار فجاءت
عليه بردا وسلاما ثم هلك فرعونه وموسى إذ عاداه فرعونه
عليه فأغرق وقارون إذ قذف موسى بالزنا ليفضحه أو
ليغضبه فخسف به وعيسى مكر به يهوذا فعاد مكره عليه
ومحمد صلى الله عليه إذ قال الله سبحانه له وإذ يمكر بك

الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله
خير الماكرين وقال الله سبحانه ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله وقال
في قوم صالح حين أرادوا تبييته ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون
فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين وأما
قوله إن ذلك باطل بالتواتر عند الأمتين اليهود والنصارى
ومؤرخي المجوس فجوابه أن المدعى تواتره عند اليهود والنصارى
ما هو صلب إنسان مطلق أو صلب إنسان معتقد بأنه المسيح
الأول مسلم ونحن أيضا نوافق عليه وهو جرجس أو يوذا على قول
عن ابن إسحق ووهب والثاني ممنوع فهو محل النزاع وهو نفس
مستند المنع آخر هذا الجواب ه وأما مؤرخو المجوس فالجواب
عن احتجاجهم بذلك من وجوه أحدها أنهم لم يكونوا حاضري قضية
المسيح ولا أحد منهم فمدار اعتقادهم صلبه على خبر من خبر اليهود
ولا حجة فيه لأن الأمر التبس على من حضر القصة بأن أظلمت الأرض
ظلمة شديدة صرح بها الإنجيل وغيره ففي تلك الظلمة رفعت
الملائكة المسيح وربطت الذي ألقي عليه شبهه بمكانه فاعتقدوا
أنهم أن المسيح صلب وقوى ذلك الاعتقاد في نفوسهم حنقهم
على اليهود وحب تقرير الظلم والعدوان عليهم واعتقدت ذلك
اليهود لما اعتقدوه وحملهم على ذلك الاعتقاد حب الغلبة والظفر
بمن اعتقدوه عدوا لهم ولو وفقوا لتابعوه فعليهم وعليكم من الله
ما يستحقونه الوجه الثاني أنا أجمعنا وإياكم على ضلال
المجوس وسخافة عقولهم حيث عبدوا النار التي يوجدها الحطب
ويعدمها الماء والتراب وانقطاع مادة الوقود فمعبود هذا
شأنه كيف يكون حجة على العقلاء وإن كانوا عندكم عقلاء فاعبدوا
النار معهم وإذا ثبت أنهم أصحاب الدعوى ندعي نحن أن الأمر
التبس عليكم والتبس بما الظن يقوم جهال أجانب القضية
سمعوكم ترجفون بشيء فقلدوكم فيه وتابعوكم عليه كما قلدوا آباءهم
في عبادة النار ه الوجه الثالث أن المجوس أعداء المسلمين
والنصارى واليهود مثلكم وشأن العدو أن يطلب لعدوه العثرات
ويتتبع منه العورات ولا شك أنهم تتبعوا عثراتكم وعثرات
اليهود فوجدوها أما عثراتكم فدعواكم التثليث وإلهية
المسيح وغير ذلك من سخافاتكم ه وأما عثرات اليهود
فأكثر من أن تحصى على ما دلت عليه كتب الأنبياء المتقدمين والمتأخرين
قتلهم الأنبياء بغير حق وتعديهم حدود الله وإباقهم عن الانقياد

ان المسيح عبد الله وانهم يقولون هو الله او ابن الله كما صرح به الانجيل فان
قلتم بمجموع الامرين اعني عبوديته وقتله فقد جاء الفهم دليل في القول
بالعبودية وان الفهم الامرين ولم يعتدوا بها فقد سقط عنا
اشكال الاخبار بالقتل وان قلتم باحدهما دون الآخر وهو القتل
كان ذلك منكم تحكما من غير مرجح واحتجاجا بكلام تعتقدون ساحره ثم نعارضكم بالمثل
بمثله فنقول بالعبودية دون القتل فان قيل ذكر العبودية
حق باعتبار ناسوت المسيح والقتل حق باعتبار لاهوته
قلنا الامرين صحيح فنقول بهما وليس ما ادعيناه قلنا قلنا
هذا هوس وانتم عند التحقيق عاجزون عن اثباته وقد اجيب
عن ذلك في التعليق على الانجيل الاشكال الثاني ان شعيا قبل المسيح
بخمس ماية عام او نحوها وهو يحكي ما جرى للمسيح بلفظ الماضي حيث
قال دنا متواضعا ولم يفتح فاه وسيق مثل الحمل للذبح وكان
صامتا كالنعجة قدام جازها ونحو ذلك من صيغ الماضي وحقه
ان يذكر بصيغة المستقبل وهذا يدل على اضطراب هذه الاخبار
وكونه مدخولة قلت لكن عند الانصاف هذا الاشكال
لا يتجه لان اخبارات الله سبحانه كثيرا ما جاءت عن المستقبل
بصيغة الماضي وقد وقع مثله في القرآن كثيرا والمعول عليه في
الجواب على تهمة الكتب القديمة في قتل المسيح هو الوجه
الاول وهو القدح في صحتها ودعواهم تواترها ممنوعة واثباته
عليهم متعذر الوجه الثالث ان هذا الخصم قدح في قوله
ورفع ابويه على العرش وفي قصة زواج موسى على ان يوجر
نفسه كما في صحيح ان ذلك لم يذكر في التوراة فيجب ان يقدح في دعواه
صلب المسيح وقتله بعين ذلك وهو انه لم يذكر في التوراة
حيث جمع اسرائيل بنيه بمصر قبل موته واخبرهم بما يكون
لكل منهم في مستقبله فانه يفيض على [illegible] وقال لا يجلس
قرابتي [illegible] يهوذا [illegible] وقال لا يفقد الملك
من [illegible] سبط يهوذا ومن [illegible] حتى يأتي
الذي له واياه ينتظر الشعوب الرابط في الشجرة [illegible] وفي القصد
ابن اتانه [illegible] الخمر [illegible] اسنانه
وهذه صفات المسيح بلا شك ولم يذكر انه يقتل [illegible]
فان قيل [illegible] قتله [illegible] مقبوله [illegible] الانبياء [illegible]
شعيا ودانيال والانجيل قلت [illegible] ورفع ابويه يوسف
على العرش والجار موسى نفسه كما يشير اليه [illegible] مقبوله

له ولرسله وكيدهم للمسيح وبغضهم عليه مع اظهاره العجايب
والبينات ولمعصيتهم الله سبحانه سلط عليهم اولا فرعون سامهم
سوء العذاب خمسماية عام حتى استنقذهم الله بموسى ثم كان لهم معهم
من التعب ما لا يخفى واما المسلمون فلم يجدوا لهم عثرة يقدحون
بها فيهم فوافقوكم على صلب المسيح ليوهموا بذلك القدح في القرآن
كيدا للمسلمين ولولا لكن الانجيل داحتمال هذا القصد منهم كان ذلك
تهمة لهم تقتضي عدم الالتفات الى مقالتهم واما ما ذكره من نص
الكتب المقدسة كتاب اشعيا ودانيال والانجيل فالجواب
من وجوه احدها الجواب العام من عدم الوثوق بهذه الكتب
لتقادم عهدها ونقلها من لغة الى لغة وتهمة اليهود والنصارى
عليها خصوصا الانجيل كما قد بينا في التعليق عليه مايقتضي عذرنا
في عدم الوثوق به من الاختلاف والتناقض الوجه الثاني
ان ما ذكره من مصحف شعيا هو قوله في صفة المسيح تقادا الى
القتل مثل القنا به ونصمت كالخروف بين يدي الجازز ولم يفتح
فاه ولا حجة فيه على وقوع القتل بل على القود الى القتل ونحن
نقول به فانهم قادوه ليقتلوه فخلصه الله كما ذكرناه وكم من
قيد الى القتل ثم لم يقع به القتل بعد وقد ذكر اشعيا في الاصحاح
الخامس والعشرين من مصحفه في السوء في المسيح وصلبه مع الاثمة
واحتماله للذنوب ماهو انص من هذا في قتل المسيح وهو قوله
وهو يعني المسيح المضروب بسبب ذنوب الله المتواضع
اجلها يعتل من اجل اثمنا وسواضع من اجل اثمنا وعليه ادب
سلامنا [illegible] كلنا تهنا مثل الغنم واقبل كل انسان
منا الى جانبه [illegible] خطايانا اجمع [illegible] متواضعا
ولم يفتح فاه وسيق مثل الحمل للذبح وكان صامتا كالنعجة
قدام جازّها ولم يفتح فاه وسيق من الحبس والقضاء ومن عذار
ان يحدث بما لقي من حقيقة لانه رفع من ارض الحياة ودنا منه
قوم من امته شعبي وادى المنافق بدفنه قلت
وهذا فيه تصريح بالاخبار بقتله ودفنه لكن عليه اشكال احدها
ان في اول هذا الفصل بعينه وهو السوء في المسيح ان عبدي
يفهم ويرتفع ويعظم ويتعالى جدا حتى يتحير به كثير من الناس
وسياق صفاته الى آخر الفصل يذكر قتله ودفنه فهذا تصريح

على لسان محمد في القرآن وهي زيادة مقبولة فان قيل لكن زيادة فيك
المسيح ثبتت على لسان من اتفقنا على نبوته فصدقه وزيادة رفع
ابوي يوسف وانجار موسى ثبتت على لسان من اختصصتم باعتقاد
نبوته وخالفناكم فيها ولم نوافقكم عليها قلنا هو لا يدل
الا على عدم موافقتكم على صدقه لا يقدح في نبوته وصدقه لا سيما وقد اقمنا
اليهود على صدق موسى والتوراة وخالفوكم في صدق المسيح والانجيل
ولم يكن ذلك قادحا في صدقهما باتفاق منا ومنكم فان كان عدم وفاقكم
لنا على صدق محمد قادحا لزمكم ان يكون عدم وفاق اليهود لكم على صدق
المسيح قادحا فيه والجواب مشترك واما ما ذكر عن السهروردي
من قوله لو لم يصلب عيسى لم يبق على المحسوسات اعتماد وهو من
اكابر فلاسفة الاسلام فليس صحيحا عن السهروردي وانما حكى
ذلك حكاية عن بعض من نازع في بعض احكام التواتر من نظر ذلك
في كتابه وحده ولم يسق حكايته بلفظه وبتقدير صحته عنه
فالجواب عنه من وجوه احدها ان هذا الرجل المذكور رجل
غلبت عليه الفلسفة ثم انسلخ منها الى الزندقة حتى قتل بحلب
بسيف الشرع فليس قوله حجة على الله ورسوله والقرآن واجماع
المسلمين وقوله كان من اكابر فلاسفة الاسلام غلط فان الفلسفة
التي كان يتعاناها هذا واصحابه ليست من الاسلام في شيء وكيف
يكون من الاسلام ما يقدح فيه ويقوض مبانيه وانما الاسلام انقياد
واستسلام لاحكام العزيز العلام وسنة محمد عليه السلام واتباع
لا ابتداع وانما هؤلاء قوم زنادقة يتسمون في الاسلام لحفظ [illegible]
ودمائهم والاسلام فسيح واسع يقبل منهم الظاهر والله اولى
بالسرائر فهم في الظاهر منه وفي الباطن منسلخون عنه
الثاني ان قول السهروردي ان كان حجة علينا فليكن قول
كل من اسلم من النصارى ثم عاد بالقدح على دين النصرانية حجة
عليكم وانما تقوم الحجة بقول المعتبرين منا كالخلفاء الاربعة
والفقهاء السبعة والائمة الاربعة ومن هو معتبر في الاجماع
من اهل الحل والعقد كما لا تقوم حجتنا عليكم الا بمعتبرين
منكم الثالث ان السهروردي [illegible]
باصول الشرائع والنبوات على الوجه المعتبر فيها
حتى يكون قوله حجة لها وعليها انما كان عنده فلسفة محضة
وعقليات صرفة وليس له تصنيف الا في ذلك كالتلويحات
والالواح والاشراق وغيرها وهذه التصنيفات لا يعتمد

ما حكي عن السهروردي

عليها من المسلمين في اصول الفقه الا من هو على طريقة في الانحراف
الى الفلسفة والخلو من علم النبوة وقواعدها وهي كثيرة التشكيك
لا يكاد يبني شيئا الا ويهدمه ولا يقرر قولا الا ويخذله وانت ايها
الخصم قد قدمت عند ذكرك ضرورة الخلق الى النبوة ومنفعتها
ان العقل لا يستقل بادراك الامور الالهية بدون تأييد الهي
الرابع قوله لو لم يصلب المسيح لم يبق على المحسوسات اعتماد
ان اراد لم يبق عليها اعتماد مع عدم المعارض لها فلا نسلم ان
ذلك لازم لعدم صلب المسيح وان اراد مع وجود المعارض
فهو صحيح لان مدارك العلم اما حس او عقل او مركب منهما
وكلها قد تتخلف مع وجود المعارض له اما الحس فكما في التخيلات
السحرية والشعبذية وكعدم ادراك الصوت للصم والريح للخشم
والطعم للمرة واللمس لفساد في اليد او لعلة في محله واما
العقل فكما يعرض للانسان عند غلبة السودا او الحزن او
الفرح المفرط او السكر ونحوه من المغيبات كالنوم والاغما
فانه يرى الحقائق منقلبة والامور مضطربة به واما
المركب منهما فكخبر الواحد اذا كان في طريقه ضعف وكالتواتر
اذا فقد فيه شرط واما البرهان على ان المسيح لم يصلب
ولم يقتل فهو ان يقال ان لم يكن ولادته من غير ذكر فهو مثله
في الشهرة ولا بد ان ولادته من غير ذكر لما كان له وجود تواتر
تواترا لم يختلف فيه اثنان منا ومنكم فلما اختلفنا في قتله دل
على انه لم يبلغ تلك المرتبة من التواتر فلم يثبت بمجرد الدعاوى
او الحجج الضعيفة وانما كان الامر في ذلك مشتبها كما نص عليه القرآن
فاشتبه عليكم ولذلك ان المسيح طبق ذكره الآفاق لما ظهر
على يديه من الخوارق وقتل مثل هذا لا يقع مثل هذا النزاع
لما يجب له في مطرد العادات من الشهرة والغلبة واذا كان
يحيى وزكريا دونه في الشهرة بكثير لم يختلف في قتلهما
فما الظن بالمسيح الذي اجمعنا على انه افضل انبياء بني اسرائيل
وانتم تدعون الهيته قال وفي سورة الكهف
عند ذكر ذي القرنين قال حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها
تغرب في عين حمئة قال ابن عطية على وزن فعلة اي ذات
حمأة وقرأ ابو بكر عن عاصم والباقون في عين حامية وذلك
حيث اي ذر نصار في ذلك قال فدل على ان العين هنا كجارية

قال في سورة يس مثل هذا حيث يقول والشمس تجري
لمستقر لها الآية وذلك لحديث البخاري عن أبي ذر حيث قال قال النبي
صلى الله عليه وسلم أتدري أين تذهب هذه قلت الله ورسوله أعلم
قال فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها
ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها فيقال
وهذا كله بين البطلان لكل من له أدنى معرفة في الهيئة لأن الشمس
تدور أبدا في فلكها وهو الفلك الرابع ولا تغرب في عين حامية
ولا تجري لمستقر لها لأنها ليس لها قرار قلت الجواب
عن هذا السؤال أما القرآن فحمئة من الحمأة وحامية من الحرارة
فهما قراءتان صحيحتان والأولى قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو
والثانية قراءة الباقين والخلط في نقل مذهب القراء
فيها لا أدري هل هو من هذا الخصم أو من غيره وقد روى ابن
عباس عن أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في عين حمئة
رواه أبو داود والترمذي وقال حديث غريب قال
والصحيح أنها قراءة ابن عباس لأنه اختلف هو وعمرو بن العاص
فيها وترافعا إلى كعب الأحبار ولو كان عنده فيها رواية لاكتفى
بها ووجه الجمع بين القراءتين أن تلك العين حارة وهي ذات
حمأة فإن اجتماع الأمرين جائز غير ممتنع وأما حديث
أبي ذر فلفظه على ما رواه الترمذي وغيره قال دخلت
المسجد حين غابت الشمس والنبي صلى الله عليه وسلم جالس فقال
أتدري يا أبا ذر أين تذهب هذه قال قلت الله ورسوله أعلم
قال فإنها تذهب فتستأذن في السجود فيؤذن لها وكأنها
قد قيل لها اطلعي من حيث جئت فتطلع من مغربها قال
ثم قرأ وذلك مستقر لها قال وذلك قراءة عبد الله قال
الترمذي هو حسن صحيح وأخرجاه في الصحيحين ورواه أبو
داود والنسائي ووصف الشمس بالسجود وخطابها من
الحقائق الإلهية التي لا يستقل العقل بدركها فيجب تلقيها عن
أصحاب الشرائع بالقبول لا سيما تقررت في المقدمة
الثانية في صدر الكتاب وأما معنى غروبها في عين حمئة
ففيه تأويلات أحدها أنها تغرب فيها في رأي العين
لا الحقيقة كما ترى كأنها تغرب في البحر أو من وراء الجبل

[illegible]

بل يرى آحاد أصغر بحسب اختلاف مناظرها وأوضاع الناظرين
إليها الثاني أن في بمعنى على أي تغرب على عين حامية أي بلون
مقابلة لها وحروف الصفات يقع بعضها موقع بعض كما قال تعالى
ولأصلبنكم في جذوع النخل أي عليها وقال عنترة بطل كأن ثيابه
في سرحة أي عليها وعلى بمعنى في كقول أبي كبير الهذلي
ولقد سريت على الظلام بمغشم أي في الظلام الثالث
أنها بمعنى عند أي تغرب عند عين حامية وقد ترد بمعنى عند ومع
في العربية فإذا احتمل هذه التأويلات السائغة في اللغة
التي وردتها لا ينبغي أن يهجم على القدح فيه وقد نقل بعض المفسرين
عن كعب أنه قال في التوراة إنها تغرب في ماء وطين وأصحاب
الهيئة يعترضون على هذا بناء على ما قرروه من أن الشمس مثل
كرة الأرض مائة وأحد وستين مرة ونصف وربع
يسعها عين من عيون الأرض والجواب بما سبق ثم وأما



قوله إن هذا كله بين البطلان لمن له أدنى معرفة بالهيئة
فجوابه أن علم الهيئة مبني على مقدمات أحدها أن حركات
الأفلاك متصلة متشابهة يستحيل أن يعرض لها البطء والسرعة
أو الرجوع أو الانقطاع والثانية اعتبار الرصد وقد قدح
المخصوص فيهما بما لا يسع هذا المكان ذكره ومنه أن حاصل الرصد
الاعتماد على الحس في الآحاد والحس لا يفيد اليقين لكثرة ما
يعرض للبصر من الغلط خصوصا مع البعد المفرط وخبر
الآحاد إنما يفيد ظنا ضعيفا ودعوى أهل الهيئة أن علومهم ثابتة
بالبراهين الهندسية كذب وزور وبهتان إذ لو كان كذلك
لما وقع الخلاف العظيم بينهم في تفاصيل علمهم وجملة وإذا
اتجه القدح في مقدمات الهيئة لم يبق بها وثوق وصار خبر
الشرع أوثق منها على ما قدمت أيها الخصم في بيان ورود
النبوة وكلام أرسطو وغيره ثم نقول إن علم الهيئة
على تقدير صحته وثبوته لا ينفي ما أشرنا إليه كيفية غروب الشمس
في العين الحامية وأما قوله إن الشمس تدور أبدا في فلكها
وهو الرابع ولا تجري لمستقر لها لأنه ليس لها قرار فجوابه
من وجهين أحدهما أن يقال له إما أن تكون فيلسوفا
محضا أو متشرعا فإن قلت بصحة الشرائع وما جاءت به النبوات

ان كنت فيلسوفا وقد علمك شرعا تقول بذلك احكام التوراة والانجيل
فما تعتقد الفلاسفة فساد ما دعواه في المسيح انه هو الله
احد ثلاثة فصار احقية واحده اذ ان الله سبحانه واحد
بالذات متعدد بالاقانيم التي هي الاب والابن وروح القدس
وان كنت متشرعا فيلزمك تجويز ان الشمس على انها تسير وتقف
فانه قد ثبت بالتواتر ان يوشع بن نون وقفت له الشمس عن
مسيرها ليلة السبت حتى فرغ من قتال الجبارين وقد ذكر انه
ابت ما تلك هذا عند ثبات وجود النبوة وثبت ايضا في الاصحاح
الثامن عشر من مصحف اشعيا ان الله سبحانه رد الشمس الى خلفها
عشر درجات علامة لحزقيال ملك بني اسرائيل على انه يعيش
لذي عمره خمس عشرة سنة بعد ان حضره الموت والقصة
مشهورة ومثل هذا لا يصح في علم الهيئة بنا على المقدمة المذكورة
وان حركة الافلاك متصلة وتقال ان من حجر وقوف الشمس لهذين
النبيين تختلط حسابات المنجمين واحلاط زائهم فالله اعلم واما
انك تكون تارة فيلسوفا وتارة متشرعا فهذا ما لا يمكن لان
الفلسفة والتشريع لا يجتمعان وقد حاول قوم منهم ابو الوليد
ابن رشد الجمع بينهما فلم يحصل الا على الحيرة وظهر امره
لما داهل المغرب بقتلونه واحسبه مات على غير الشرع
وانا احسب انها الحكم حائرا مترددا لا نصرانيا ولا مسلما
ولا فيلسوفا فيه الوجه الثاني ان قوله لمستقر لها له اربع
محامل صحيحة احدها ان اللام بمعنى في اي تجري في مستقرها
وهو فلكها تجري فيه ما بين طرفي مشارقها ومغاربها بجهة
الشمال والجنوب لا تجاوز ذلك فيه الثاني ان تكون
بمعنى الى اي تجري الى مستقر لها وهو حين يستقر زوال
حركتها عند قبض الله السموات والارض وتكوير الشمس والقمر
وانكدار النجوم عند خراب العالم على ما جاء به شرع الاسلام
واخبر به النبي الصادق عليه السلام واشار اليه المسيح في
الانجيل حيث يقول اذا جاء ابن الانسان في مجده على الغمام
والملائكة حوله هنالك تنكدر في اليوم عز قنه وقمر البرق
المذكوره معنى هذا الكلام ويكون هذا معنى قوله سبحانه وتعالى

والشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى فيه الثالث ان بعض ائمة السلف
قرأ هذه الاية والشمس تجري لا مستقر لها اي لا تقف ولا تقر وهو معنى
قوله تعالى وسخر لكم الشمس والقمر دائبين اي لا يفتران دائب
وهو السعي الشديد ولكن هذه القراءة مفسرة للمراد الاخرى
وكل بهذا يحتمل لا يقدح بمثله في فروع شريعة فضلا عن اصولها
الرابع ان يكون مستقرها موضع سجودها كما جاء في الحديث
وقد بينا جواز وقوفها عن السير بقصة يوشع وحزقيال
وان هذا مما يجب ان يسلم عن السؤال ويتلقى بالقبول ولا يقابل
بشبه العقول القاصرة عن ادراك الحقائق الالهية والله اعلم
قال وفي سورة الصف قال واذ قال عيسى بن مريم
يا بني اسرائيل الى قوله ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه
احمد وفي سورة الاعراف قال الذين يتبعون الرسول
النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل
قال ولا امارة لشي من هذا لا في التوراة ولا في الانجيل
فضلا عن التصريح بها قال ولعل قائلا يقول ترجم اسمه
منهما قالجواب ان هذا من الاعذار الباطلة المضحكة لان
ظهور محمد اما ان يكون بخير او شر وعلى كلي التقديرين لا تليق
في ترجمة اسمه من الكتب بل يجب انقاؤه ليعرف فيتبع ان
كان خيرا او يجتنب ان كان شرا كما في الدجال والشيطان هذا
حاصل ما ذكره في هذا السؤال والجواب اما ذكره
صريحا في التوراة والانجيل وبشارة المسيح به فقد ثبت عندنا
بالقرآن المعصوم المتواتر ونقل علماء الملل كوهب بن منبه
وغيره ان الحواريين قالوا للمسيح وهو يودعهم ويوصيهم يا روح
الله هل لله من بعدك نفوقد قال نعم النبي العربي قالوا
يا روح الله ومن اين هو قال يبعث من ارض تهامة قالوا من هو
قال من قريش يمسك باصل الحكمة ويعطي فروعها امته
حكما علما كانهم الانبيا او قريب من السلام قلت ويدل على
صحة هذا القول اعني قوله يمسك باصل الحكمة ويعطي فروعها
امته لا نكاد نجد في الانجيل كلمة عن المسيح الا وعن محمد صلى الله
عليه وسلم معناها او احسن منها وجزم عبارتها واختصر

من اعظمها وقد ذكرت في ذلك امثلة كثيرة في الفوايد وايضا ما تواتر
بين الاحبار والرهبان والكهان اخبروا بمحمد عليه السلم قبل
مبعثه وعرفوه لما ظهر بصفته كبحيرا الراهب وغيره
وامن به من سبقت له السعادة وكفر من سبقت عليه الشقاوة
واما قوله لا امارة ليس في ذلك في الكتاب فهو اما عناد
منه او لعدم اطلاعه على مواضعها وعدم تنبهه على اشارتها
وفهمها فان في التوراة من ذلك مواضع منها ان ابرهيم لما فارقه
لوط قال الله لابرهيم ارفع عينيك وانظر المكان الذي انت
فيه الى الشمال والجنوب والمشرق والمغرب فان جميع الارض
التي ترى لك اعطيها ولنسلك الى ابد الابد فنظرنا فراينا
ملك بني اسرايل ارتفع عن ارض كنعان وما حولها وصار بيد
العرب وهو يدل على صحة النبوة فيهم ولا نبي فيهم الا محمد عليه
السلم ومنها لما هربت هاجر من سارة تلقاها ملك
الرب وقال ارجعي الى مولاتك فكوني تحت يدها فيكثر الله
نسلك وستلدين غلاما اسمه اسمعيل لان الله سمع تعبدك
ويكون يده على الكل ويد الكل به وعلى حد جميع اخوته
ينزل ومن المعلوم ان اسمعيل لم يستعلي على بني ابرهيم هذا
الاستعلا ولا احد من ولده الا محمد صلى الله عليه وسلم لما ظهر
فدل على انه هو المشار اليه في هذا الكلام ومنها
قول الله سبحانه لابرهيم ان زوجتك سارة ستلد لك غلاما
وتدعي اسمه اسحق واقيم معه ميثاقا الى الابد ولخلفه من بعده
وعلى اسمعيل فقد سمعت وباركت عليه وكثرته كثيرا
جدا ويولد له اثنا عشر شريفا واجعله لشعب عظيم
قلت فهذا الشعب العظيم العرب فوجب ان يكون
فيهم رسول لساير الشعوب لانه ليس ان عناية الله
بخلقه تقتضي ذلك وبالجملة الامارات الظاهرة في
التوراة وغيرها من كتب الاوايل على نبوته كثيرة ذكرنا الادلة
وغيرها منها جملة في دلايل النبوة والذي ذكرناه انا نقلته
من نفس التوراة وانا في الانجيل حيث يقول في

بشارة يوحنا والفارقليط روح القدس الذي يرسله ابي باسمي هو
يعلمكم كل شي وهو يذكركم ما قلت لكم وحيث يقول انه خير
لكم ان انطلق لاني ان لم اذهب لم ياتكم الفارقليط فاذا انطلقت
ارسلته اليكم واذا جا ذلك فهو يوبخ العالم على الخطية وعلى
الحكم اما على الخطية فلانهم لم يومنوا بي واما على الحكم فلان
ركون هذا العالم يدان ثم قال اذا جا روح الحق ذلك
فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه ليس ينطق من عنده بل يتكلم
بكل ما يسمع ويخبركم بما ياتي وهو يمجدني لانه ياخذ مما هو لي ويخبركم
قلت واذا تاملنا هذه الاشارات وجدناها مطابقة
لصفات محمد عليه السلام لانه لم يات بعد المسيح من ادعى
النبوة ومجد عيسى وبالغ في تمجيده وصدقه في نبوته ووبخ
العالم على خطية الكفر وقتل اليهود وغيرهم على تكذيب المسيح
وعبادة الاوثان واخبر بان الناس يدانون يوم القيامة
ويحاسبون وعلم الناس محاسن الاداب ومكارم الاخلاق
وطهر باموته واستنهض البدو والحضر لظهوره وانه ليس
الا من قبله الا محمد صلى الله عليه وسلم وان لم يكن هو محمد الذي
اشار اليه المسيح لزم القدح في صدق وعده بالفارقليط لان
في المحال عادة ان يجي احد يظهر ما ظهر به محمد ويسمله
ثان وقيل قد ذكر الفارقليط في الانجيل بصفات عنده هذه
بما لا يطابق صفات محمد فيحمل ما ذكروه عليه قلنا
مع المسامحة نقول لكم هل ما في الانجيل حق عندكم فيجب اعتباره
بما امكن وحيث ذكر الفارقليط تارة بما يوافق صفات
محمد وتارة بما يخالفها فاجعلوه من باب اللفظ المشترك
فالفارقليط الذي ذكرناه محمد عليه السلم والذي ذكرتموه
اجعلوه من شيتم ويحصل لنا المقصود وقد تبين وجه
دلالة هذا الفصل على المطلوب وما عليه من سوال
وجواب في التعليق على الانجيل فاكتفيت به هنا
عن تكراره هاهنا والله اعلم ه واما قوله لعله
قاله ليقول تنزع اسمه منها فهذا لا يقول واما
جوابه عن ذلك بان ظهور محمد اما ان يكون خيرا وشرا وعلى
التقدير كتب انقاده ولا فايدة في نزعه فجوابه

ان هذا انما يصح ان يحتج به من علم منه العدل والانصاف وطلب الحق وكمال
العقل واليهود والنصارى ليسوا كذلك حتى يصح احتجاجهم بهذا اما
اليهود فانهم تعدوا على انبيائهم وبغوا عليهم وقتلوهم وكفروا بالمسيح
مع ظهور صدقه والخوارق على يديه لكل عاقل منصف وكفرهم بمحمد
ككفرهم بالمسيح وانكارهم لاسمه وصفته كانكارهم لصفة المسيح
المذكورة في التوراة في كلام اسرائيل لما جمع بنيه واخبرهم بما يكون
منهم على ما سنبينه في الجواب عن صلب المسيح لكن اليهود
علموا من صفته انه يظهر نبوته وسوله لا يقدرون بغيها على
قتله وصلبه كما زعمت واباهم انهم قتلوا المسيح فغيروا اسمه
وصفته في التوراة لكيلا يسخفوا عنادهم بقيام الحجة عليهم كما هم
وراوا ان العناد بشبهة اولى منه بلا شبهة واما النصارى
فلان الانجيل الذي صرح فيه بذكر محمد ليس هذا الذي بايديهم
بل هو كتاب نزل على المسيح من السماء كتوراة موسى وقران محمد
ولكنه عدم فلم يظهر واما الاناجيل التي بايديهم فهي سيرة
المسيح وحكاية ما جرى له وفيها شيء من حكمه ومواعظه فهو بمثابة
ما نقل عن الانبياء كلام ايقيهم كالاخبار المروية عن محمد عليه
السلام وغيره من الانبيا ولذلك التوراة التي بايدي اليهود اليوم
على انا قد بينا ان في فصل الفارقليط من بشارة يوحنا ما يكفي
الاشارة الى ذكر محمد بصفته واتفاقا ان المسيح كان من ايات
الله سبحانه اضل بها كثيرا من خلقه فعصمهم الله به من معامله
من اظهرهم فلما رفع عنهم وقع في دينهم الدخل والتلبيس من ساطير
الحق والبس كما سنبين في الفوائد والتعليق على الانجيل وذكر
هنا يطول وانفهم الى ذلك الساحق الطاعن ان محمدا حاكم
بترك المالوف دينهم وذلك يدل على التعويل في نبوته له
انا لما ملوا العدل والعقل وقد بينا عدم العدل في اليهود
وعدم العقل في النصارى حيث اعتقدوا ان الله خالق السموات
والارض خرج من بطن مريم ثم اسلم نفسه للقتل والصلب
ليستنقذ الخطاة من اثم ادم وقد كان قادرا على استنقاذهم
بدون هذا التعب وعقول تحلل لاهلها اختراع مثل هذا
جديرة بان يحلل لهم الاستمرار عليه حتى يحرفوا لاجله اسماء الانبيا
ويتنازعوا في الحق ويعاندوه وحاصل ما يقوله في جوابه
ان محمدا كان يطوق بكلام عظيم وبركة عجيبة ولكنهم

غيرة حسدا له واستبقاء للرياسة فيهم وغيرة عليها ان يخرج
منهم وبيانها غيرهم واذا كان اخوة يوسف هموا بقتل اخيهم يوسف
ثم لما رفقوا به اجمعوا على القائه في قعر بئر وبيعه حتى
لقي من مرارة الرق والسجن ما لقي حسدا له على ما ظنوه من زيادة
ذلك يجوز ان يقع وان لا يقع مع كونهم من صلب نبي معصوم وهم
معاشرون له صباح مسا فما الظن باليهود والنصارى
البغاة الجهال وقد مضى منهم الزبد وبقي منهم الغثا والزبد
وسفلة العالم وسقطهم بما علموه بالوحي الالهي وايضا فاذا
كانت سارة المراة الصالحة المحفوظة بمعاشرة النبي المعصوم
ابراهيم صلوات الله عليه قالت له اخرج بابن الامة يعني اسمعيل
ابنها فاخرج عني لا يرث مع ابني يعني اسحق بنص عليه في التوراة
غيرة منها ان يشارك ابنها في رياسته ابنه فما الظن باليهود
والنصارى على ما عرف منهم واما قوله انه لم ينزع اسما
الانبيا الذين يحمد بعضهم بعضا سابقهم ولاحقهم كيحيى وزكريا
ولم ينزع اسم الشيطان والدجال به فالجواب
ان الفرق بين اولئك الانبيا وبين محمد عليهم السلام وجهين
احدهما ان موسى لم يات بعده نبي الا وهو من اهل التوراة
ومتابعيها كانوا في المعنى نواب موسى وخلفاءه كالملائكة
الاثنى عشر لعيسى ومحمد عليه السلام جاء بنسخ الشرائع كلها
واحكام التوراة والانجيل وغيرها واستبدال شريعته
مسماه من عند الله ولهذا لما جا المسيح بابطال السبت واشيا
ما يخالف حكم التوراة بغضوا عليه وقتلوه كما زعموا
واباهم به الوجه الثاني انهم كانوا يعلمون ان اولئك الانبيا
ضعفى لا شوكة لهم فلم يكن لهم حاجة الى نزع اسمائهم
بل ان ارادوا منهم ما يوافقهم والا قتلوهم كما فعلوا بيحيى وزكريا
والمسيح وغيرهم من الانبيا ومحمد عليه السلام علموا انهم لا
يقدرون عليه ولا قدروا على اغتياله فنزعوا اسمه لتصير
شبهة لهم في خلافه لا سيما وقد قال وفي سورة
النور والله خلق كل دابة من ماء وفي سورة الفرقان
وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا

وفي سورة الروم ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون
وفي سورة فاطر والله خلقكم من تراب ثم من نطفة وفي سورة
الأنبياء وجعلنا من الماء كل شيء حي وهذا من التناقض والكذب
لازم في إحدى القضيتين وخلاف هذا في التوراة حيث يقال
إن الدواب خلقت من التراب والإنسان من الماء وخلاف ذلك
مشاهد في الوجود إذ بعض الأشياء مخلوقة من الأرض وبعضها من الماء
قلت الجواب أنه لا تناقض في هذا ولا كذب بحمد الله
عند من عرف ويتبين ذلك ببيان معنى كل آية على انفرادها
ثم بيان الجمع بين الجميع أما قوله والله خلق كل دابة من ماء
فنقول الدابة في وضع اللغة لما دب ودرج وفي عرف
الاستعمال اللغوي يختص بذوات الأربع كالفرس ونحوه فإن
حمل لفظ الدابة على هذا المعنى العرفي فلا إشكال في أنها من
ماء وهو الماء الذي ينزله الذكر في الأنثى وينزل في عند الوقاع
وإن حمل على الوضع اللغوي فالجواب من وجوه أحدها
أن من في قوله من ماء للسببية على أن للماء مدخلا وأثرا في الحقيقة
أو بما هو من طبيعته في وجود كل دابة وهذا صحيح فإن كل دابة
فهي حيوان وكل حيوان لا بد فيه من رطوبة مائية بها تقوم
حياته فيدخل في ذلك العقارب والخنافس ونحوها من
الحشرات التي يقال إنها تتولد من التراب لأنها وإن كانت
متولدة من التراب إلا أنها لا تستغني عن رطوبة هي من طبيعة
الماء تقوم حياتها بها الوجه الثاني أن يقول في الدابة وضعا
ما قلنا في الدابة عرفا وهو أن سائر أشخاصها مخلوقة من ماء
الوقاع لأن فيها ذكورا وإناثا قطعا ولا قائل للصنفين المذكورين
إلا التناسل المعتاد بينهما من أصناف الحيوان وما
يقال من أن بعض الدواب يتولد من التراب فلا نسلم أنه تولد
منه ولكنا لم نشاهده فلا نقلد فيه ولم يدل عليه دليل قاطع من
جهة العقل فإن شاهدناه احتجنا حينئذ بحسب ما يقتضي
والذي رأيته في هذا ما ذكر في تواريخ الدول أن الملك
سنجار رأى في منامه أن عقربا صعدت سريره فلدغته
فوقع عنه فاستدعى بعض المعبرين فسأله عن رؤياه فقال
لذا إنها تدل على أنه يغلب على ملكك رجل لا أصل له أو لا نسب

العقرب لا أصل لها والعقارب تتخلق من التراب فكان تأويله أن غلب غزّ على
سنجار فأخذ مملكته ولم يكن لغز أصل في الملك وإنما كان أبوه
راعي غنم هكذا نقل لي في هذا فإن ثبتت حينئذ لا يعتمد عليه معها
الوجه الثالث أن يقال إن بعض الدواب تخلق من غير الماء لأن
قوله تعالى خلق كل دابة من ماء عاما مخصوصا بذلك أي أنه أطلق
العام وأراد الخاص وهو كثير كقوله الله خالق كل شيء وخص
بالعقل ذاته وصفاته تعالى وقوله تدمر كل شيء يعني الريح
العقيم وخص بالعقل السموات والأرض وغيرها مما لم تدمره
وقوله وأوتيت من كل شيء يعني بلقيس وخص بالعقل ما لم
تؤته من ملك سليمان وغيره والتخصيص لازم فيما حكاه الخصم من
قوله في التوراة إن الدواب خلقت من التراب لأنا نقول أي
الدواب تريد إن أردت مجموع جنسها أولا وآخرا في جميع
أزمنة الوجود وهذا يكذبه العيان لأنا نشاهد الدواب
يتكون من ماء الذكر والأنثى وإن أردت أنواع جنس الدواب
الأول التي هي لأنواعها كآدم لأنواع البشر وهو المراد لأن
هذا الكلام في سفر الخليقة وهو ما يذكر فيه أوائل الموجودات
وحينئذ يلزم التخصيص إذ أريد باللام في الدواب الاستغراق
وإن أريد العهد يعني أوائل أنواع الدواب لم يقدح على
مناقضة القرآن إذ يصير تقديره بعض جنس الدواب من التراب
والقرآن يقتضي أن كل دابة خلقت من ماء فيحصل أحد الأمرين
الآخر إن سلمنا صحة التوراة وإلا لم يلزمنا ما فيها بناء على ما سبق
وأما قوله خلق من الماء بشرا فإن حملنا لفظ الدابة على المعنى
الوضعي دخل فيه البشر واتفق الكتاب وإن حملناه على
العرفي لم يتناول البشر وكان في هذه الآية مفردا بالذكر
على وفق ما ذكر في الدابة من الخلق من الماء والمراد أنه خلق
الإنسان من الماء يعني مني الزوجين وهو مشاهد وأما
قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي فجوابه من وجوه أحدها
أن من فيه للسببية والتقدير ما سبق في الوجه الأول
من جواب قوله خلق كل دابة من ماء وأيضا فإن حياة كل حي
إنما هي بالماء كحياة الإنسان وغيره من الحيوانات أو قاصرة
كحياة الزرع والنبات وكل ذلك لا بد في تحقق حياته من

الماء على ما هو مشاهد ۞ الثاني أن كل حي مخلوق من الماء الواقع
كما سبق في الوجه الثاني من جواب الآية المذكورة وعلى أن يحمل على
إرادة الخاص بالعام كما سبق في الوجه الثالث هنا أنك على تقدير أن
يكون أكثر الأحياء مما ليس من الماء ۞ وأما قوله خلقكم من تراب
فالمراد خلق أباكم يعني آدم من تراب بنا على ما قرره الله علينا في كتابه
وأجمع عليه المسلمون من أن آدم خلق من تراب وإنما خاطبنا بذلك
لأنا نسل آدم وذريته وحيث كانا مندرجين بالقوة كان خلقه من
تراب خلقنا من تراب وإذا تقرر الكلام على الآيات مفردة ظهر
وجه الجمع بينها وأن لا تناقض فيها فقوله في سورة الروم وفاطر
خلقكم من تراب يعني أصلكم وأباكم آدم وقوله في الفرقان
خلق من الماء يعني المني من الذكر والأنثى بشرا فجعله نسبا وصهرا وهو
لا ينافي الخلق من تراب لأن المخلوق من الماء غير المخلوق من التراب على ما
بيناه ويدل عليه ما في يس وآية فاطر حيث يقول والله خلقكم
من تراب ثم من نطفة أي خلق أباكم آدم من تراب ثم خلقكم منه
ومن غيره من ذريته من نطفة وكذلك قوله تعالى ولقد خلقنا
الإنسان يعني آدم من سلالة من طين أو يكون المراد بالإنسان
ذريته خلقوا من سلالة وهي المني المنسل من الأصلاب لكن
أصل تلك السلالة من طين باعتبار آدم ثم جعلناه يعني الإنسان
غير آدم نطفة وهو المني في قرار مكين وهو الرحم ثم خلقنا النطفة
علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام
لحما الآية وقوله خلق كل دابة من ماء وجعلنا من الماء كل شيء حي
قد سبق وجه المراد منها فحصل من ذلك أنه لا تناقض في هذه
الآيات ولا تكاذب ۞ وأما قوله هذا تناقض والكذب
لازم في أحد النقيضين فهذا قول من لا يعلم ما التناقض
ولا ما الكذب فإن التناقض هو تقابل القضيتين بالسلب والإيجاب
مع اتفاقهما في الجزء والكل والقوة والفعل والشرط والزمان
والمكان والإضافة ومتى اختل شيء من ذلك امتنع الجمع ولم
يلزم التناقض وإن اتفاق هذه الآيات كلها في هذه الأمور
والله أعلم ۞ قال وفي سورة الحج وما أرسلنا من قبلك
من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله
ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم وذكر فيها

حكاه ابن عطية وغيره من المفسرين أن النبي عليه السلام كان يتمنى أن تتبعه
قومه ويؤثر هدايتهم فلكثرة تمنيه ذلك ألقى الشيطان على لسانه
في تلاوته سورة النجم حين قال ومناة الثالثة الأخرى تلك الغرانيق
العلى إن شفاعتهن لترتجى ففرح المشركون وقالوا قد ذكر آلهتنا
بخير فلانوا له وكفوا عن أذاه وأذى أصحابه فاتصل بمهاجرة
الحبشة الهجرة الأولى أن قريشا أسلمت فجاؤوا فوجدوا ما ألقاه
الشيطان قد نسخ وعادت قريش إلى غلظها وشرها فعاد الذين جاؤوا
من الحبشة إليها وذلك سبب الهجرة الثانية ولما علم النبي صلى الله عليه
أن ما كان قاله من مدح الأصنام من إلقاء الشيطان اغتم لذلك
فأنزل الله سبحانه تسلية له وما أرسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الآية قال فيقتضي
هذه القصة بطلان أحد الأمرين إما الوثوق بالرسل ووقوعهم تحت
المثلبة من أن الشيطان يلبس عليهم في وحي الله سبحانه بما يقتضي
الغواية والإضلال للناس وتخشى الأعداء أن يكون للشيطان
عليهم سلطان خصوصا في تخليط الوحي عليهم والثاني إجازة
باب الأصنام وشفاعتها ومدحها بذلك ثم ذكر حديثا زعم أن
البخاري ذكره في باب القدس ولم أجده فيه فلعله قلد فيما
نقله غيره لكن الحديث صحيح في السنن عن أبي هريرة عن
النبي صلى الله عليه قال إن الشيطان عرض لي في الصلاة
ليقطعها علي فأمكنني الله منه ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية
حتى تصبحوا تنظروا إليه فذكرت قول سليمان رب هب لي
ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي قال ثم يقال له هذا الشيطان على
السلطان كيف يتسلط عليه الشيطان فيعبث به هذا العبث
ويخلط عليه الوحي قال وقد تضمن هذا الحديث أن الشيطان
مجسم لقوله هممت أن أربطه إلى سارية وهذا باطل لأن
الشياطين بسائط مجردة عن المادة كالملائكة والنفوس
وهذا قول الأنبياء والفلاسفة هذا ما ذكره من هذا السؤال
والجواب عنه أما قصة إلقاء الشيطان على لسانه
ما ذكر في سورة النجم فقد استفاض نقلها بين الأمة ورواها
الثقات ويدل على صحتها ما رواه البخاري والترمذي و
صححه عن عكرمة عن ابن عباس قال سجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم في سورة النجم فسجد معه المسلمون والمشركون والجن
والإنس فلما سجود المشركين كان للسبب المذكور

لانهم ظنوا انه يدعوا معهم بمدح الهتهم وصار الرب واحدا او انهم سجدوا لالهتهم اعظاما لما سمعوا من مدحها واما الحق فلعلهم
حاولوا ان يسمعون القران حاحلي عنهم فيه ولا يحذو رسنا هذه القضية
بوجه من الوجوه لان الانبيا في الحقيقة بشر يجري عليهم الخطا
والنسيان ويطرق عليهم السلطان وقد اختلف العلماء انهم
معصومون من المعاصي مطلقا او من الكباير فقط او منها عمدا
او من الصغاير كذلك وجوز بعض الناس عليهم الكفر بنا على
ان مطلق المعصية جايز عليهم وهو لغو في خلاف لكن الكل اتفقوا
على انهم معصومون فيما يبلغونه عن الله من الوحي بحيث لا يلحقهم فيه
خطا وان لحقهم فيه خطا سهو منهم او بلبس من سلطان انسي او
جني نبهوا عليه ولم يقروا عليه وهكذا جرى في هذه القصة واخبر
الله انه يحكم اياته وينسخ ما يلقي السلطان واما تشنيعه بقوله
حاش لله ومعاذ الله ان يتسلط السلطان على الانبيا مثل هذا
فلعمري ان هذا ليس غيرة منه على الانبيا ولا تعظيما لهم فان
اضطرابه في هذا الكتاب من الفلسفة والشرع يدل على انه
مخلول الرابطة بالكلية او مذبذب في الهدى ولا الى هذا ولكن
عنادا للاسلام لا تبك به وما من حبه يحنوا عليه ولكن نحن قوم اخرسنا
ولعمري ان منصب الانبيا محفوظ ولكن هذا امر جايز عليهم عقلا
وشرعا ولسنا نعطيهم ما ليس لهم ولا هم يرضون بذلك
ولهذا قال نبينا صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما اطرت النصارى
عيسى ابن مريم نعم حيث اخذوه الها ولكل احد رتبة لا يتجاوزها
فرفعه تلك افراط ووضعه عنها تفريط اما جواز ذلك عليهم
عقلا فلانه لا يلزم منه محال لذاته ولا لغيره واما جوازه
شرعا فلما في الشرع ان ابليس سلط على ادم فاخرجه
من الجنة وما ذكره في التوراة من ان الحية اغوته لا
ينافي ذلك لان ابليس دخل في الحية الى الجنة فاغواه
وورد في الاثار ان موسى لما ذهب لمناجاة ربه على الجبل
كان ابليس يدور حوله فقال له بعض ملايكة الرب وبحك
يا ابليس ما تطمع من موسى وهو في هذا المقام قال ما اطمع به
من ابيه حين اخرجه من الجنة وتسلط على ايوب حتى ابلى
جسده وماله امتحانا من الله له بالصبر وسلط بعض الشياطين
على سليمن فاخذ خاتمه فالقاه في البحر بعد ان القى عليه شبهه

سليمن جلس على كرسيه اياما وذلك تاويل قوله تعالى ولقد فتنا سليمن
والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب وكان سليمن متسلطا على اصناف
العالم وبهذا يحصل الجواب عما ذكره في سنا وحديث البخاري وقوله
فيما سيأتي من كلامه هذا من الخرافات التي جاء بها القران دعوى
مجردة غاية مستنده فيها سكوت التوراة وكتب الاوايل
عنها وذلك في الحقيقة استدلال على نفي العلم بالوجود بالجهل بالعدم
وهو قلة معرفة بالمناظرة وقد صح عندكم في الانجيل ان
المسيح لما اعتمد من يوحنا المعمداني سلط عليه السلطان امتحانا له
فقال له ان كنت محفوظا فالق نفسك من اعلى هذا الهيكل
فقال له مكتوب لا تمتحن ربك وقال له اسجد لي واعطيك
ممالك العالم كلها وكانت قد رفعت له فقال له يسوع مكتوب
اعبد ربك وحده معنى القصة هذا واذا جاز ان يعرض السلطان
للانبيا ويسلموا منه فما المانع ان يعرض لهم ويال منهم بل هذا الزم
عليكم لان المسيح عندكم هو الله او ابن الله وقد عارضه السلطان
حتى لقي منه شدة على ما اشار الله الانجيل او صرح به والانبيا
لا بعد ان يال منهم ثم يتداركهم الله بعصمته وقد سحر نبينا محمدا
صلى الله عليه وسلم بعض شياطين اليهود حتى اثر ذلك في افعاله
ثم شفاه الله تعالى من ذلك وانزل عليه المعوذتين وبالجملة
الانبيا بشر والبشر عرضة لهذه الافات وغيرها ثم يتداركهم
الله بعصمته من شنا واذا كان الهكم المسيح سلط عليه شياطين اليهود
الذين كيدهم دون كيد السلطان الجني حتى صلبوه واهانوه
ودفن ثم بعث بعد ثلثة ايام على زعمكم فكيف لا يطرق على الانبيا
الذين هم دون رتبة الالهية لكن سلطان الجن الذي هو اقوى
كيدا من شياطين الانس لكن هذا جار لا يحله عاقل ولا
عادل ثم يقول لهذا الخصم ما يرى ملك في بيوتك للانبيا
عما ذكرت الاماحلي عن بعض النسا الحفرات مرت على
رجال فاستحيت منهم فكشفت ثوبها عن استها حتى غطت
وجهها وكذلك قال لرسوله اذ اوصلت الى فلان فسلم
علي عليه وصك في قفاه فانك بهذه الانبيا عن ان يعرض لهم
السلطان تعرضا ما هو لهم العاقبة متداركة بالعصمة الالهية
ثم انك تصدق ما في التوراة من ان روبيل بن يعقوب وطئ
سرية ابيه وحسن قرابته وان يهوذا وجد كنته زوجه

[illegible]

الله على الطريق في صورة زانية فزنا بها جاءني من زهيها حاملة وحملته
وقصبا بان في يده ثم انه لما ظهر حملها امر برجمها فلما عرفته ان
الحمل منه وان فيه العلامة امر بردها وان عظم شانهم فربه سبيهم
زنا بنيات يعقوب من خطبها وان ذلك اعقب اخويها حتى خدعوهم
بالفراخ الختان عليهم ثم دخلوا وهم مرضى من الم الختان فقتلوهم واخذوا
اموالهم وان لوطا لما نجا من عذاب قومه اسقيته ابنتاه الخمر
ثم ضاجعتاه فوطئهما فاحبلهما وهذا منصوص مصرح به في التوراة
التي بايديكم وانهم مع ذلك يحتجون علينا عافيهما وهذه حكايات
والله نزه عنها سوقة الناس ورعاعهم واراذلهم عنها بل عبادها
وانهم ينسبونها الى الانبياء فلعن الله من قال ذلك وامر بضده فما
اشرع ما نسيتم العدل والانصاف الذي امركم به المسيح
في الانجيل لقد اطعتموه في ذلك كاطاعة اليهود حيث فعلوا به
ما فعلوا من الاهانة والصلب فعليكم جميعا من الله ما تستحقونه
فان صدقتم بما في التوراة من هذا الهذيان فلعمري ذلك جهلا
وحمقا وقلة عقل وسخافة راي وزندقة حيث تنسبون الانبياء
المعصومين المعظمين الى المكر والخداع والزنا بالاجانب
وبالبنات وسراري الاباء وان لم تصدقوه فكيف تحتجون علينا
بكتب فيها مثل هذا الفشار قوله نعمت (?) هذه القصة
في بطلان احدها نسبة الرسل شاهدة المثلبة والانكار عليهم
بذلك قلنا قد بينا ان هذا الاعتراض عليهم وليس هذا
افتراء عليهم لانه نبي معصوم مثلهم وقد اخبر عنهم بما اوحى الله
واما الباطل الذي هو اجازه بان للاصنام شفاعة
فليس ذلك من اجازته وانما الشيطان اجراه على لسانه وقد
بينا انه لا محذور في ذلك ثم نسخه الله وانما كان يتجه القدح
ان لو لم ينسخ واستمر لكنه لم يستمر بحمد الله وفسر بعض العلماء
القاء الشيطان في امنيته وعلى لسانه بانه نطق بما نطق به
مقاربا لنطقه فاشتبه صوته بصوته وهو اولى ما يقال
وبهذا ينتفي المحذور بالاصالة جدا ثم ننبه
ههنا لدقيقة وهي ان قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك
من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته
لا تقتضي ان كل رسول ونبي تمنى والقى الشيطان في امنيته

بل تقتضي ان من وجد منه التمني فان وجد منه القى الشيطان في امنيته
كانه القى في امنيته وذلك لان الالقاء وقع في جواب اذا الشرطية
التي تقتضي شرطها لا شقا بشرطه مجموعه يقول قد يوجد التمني من
بعض الانبياء فيوجد الالقاء من الشيطان وقد لا يوجد التمني فلا
يوجد الالقاء هذا مقتضى الاية لفظا اما عقلا فيقتضي ان كلهم
تمنوا وكلهم القي في امنيته لان الله سبحانه بعثهم رحمة للخلق
ومن المحال عادة ان نبيا يبعث الى امة ولا يتمنى رشادها
وهداها واتباع ما جاء به من الحق وترك هواها واما
قوله في حديث البخاري من له هذا السلطان على السلطان
لنفي بعثه السلطان هذا العبث فقد سوء جوابه عند لم
عين السلطان بسلطان ونريد ههنا ان يقول هو ان كان
له على السلطان هذا السلطان لم يجوز ان سلط عليه السلطان
باذن الله لحكمة وقد بين الله سبحانه الحكمة في ذلك حيث يقول
ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض يعني الكفار والمنافقين
كانوا قد ايسوا من محمد ان يعبد الهتهم او يسكت عن ذمها وقد
ضجر بعضهم وهم ان يدخل في الاسلام فالقى الشيطان على لسانه
مدح الاصنام ليظنوا انهم منها على شيء فيستمسكوا بعبادتها
وان لها قدرا عند محمد فيطمعون في اجابته الى عبادتها او الكف
عنها فاستمسك من كان اراد الدخول في الاسلام عند هذا السلب
حتى مات كافرا وظنوا ان رجوع محمد عن مدحها بعد القائه على
لسانه عناد لها ورجوع عن الحق في امرها وهذه الاية من
اكبر الادلة على اثبات القدر وسياتي عند ذكره هذا الخصم
له واما قوله بعض هذا الحديث ان الشيطان مجسم (?) قلنا
نعم قوله هذا باطل لان الشياطين شياطين مجردة عن المادة
قلنا اعن المادة العنصرية الكثيفة التي تكون لكواد (?) دمي
او عن المادة مطلقا الثاني ممنوع والاول مسلم فان
لهم مادة لطيفة ولذا الملائكة فان الشياطين خلقوا من نار
والملائكة من نور فان صح لا المستند السوي ثم كيف يصح دعوى
تجردهم عن المادة مطلقا وقد ذكر في الاناجيل في نحو
عشرين موضعا منها ان المسيح كان يخرج الشياطين من الناس

وان بعض الشياطين استغاث منه وقال ما لنا ولك يا مسيح بن الله
وانه اخرج الشياطين من بعض المرضى الى قطيع خنازير فاخذوها
حتى رموها في البحر فغرقت وانه اخرج من مريم المجدلية سبع
شياطين ولذلك لازمته حذو منه حتى مات وكانت اول من
رآه بعد قيامته من الاموات وبشرت به التلاميذ فهل يصح
عند عاقل ان يدخل في الحيوان ويخرج منه ويتشعث ويصوت
الاجسام واما قوله ان هذا هو قول الانبيا والفلاسفة
فهو كذب وافترا على الطائفتين اما على الانبيا فلان ابرهيم
واسحق ويعقوب كانوا يرون الملائكة اجساما وقد صرح في
التوراة ان يعقوب لما عاد من حوران بالغنائم عرض له عند بريه
بالق رجل فصارعه الى ان اسفر الصبح وقال له في آخر القصة
انت اسرائيل لانك قاومت الملك والرجل فيقول هذا اما ملك
او شيطان وايهما كان بطلت دعوى هذا ان ما ذكره مذهب
الانبيا لكني رأيت بعض النصارى قد تذمم وزعم ان المصارع ليعقوب
انما كان هو الله وهذا رأي المجانين وهو نظير قولهم ان المسيح
هو الله وبذلك استدل على هذا يعني ان الله سبحانه لا يظهر للناس
حتى يلبس بهم ويظهر في مظاهرهم واما على الفلاسفة
فلانهم يزعمون ان الملائكة فوق الافلاك وان الشياطين في
النفوس الامارة والله اعلم قال ولقد في اخباره
عن ملك سليمن خبر اثار العجب بها القرآن من ذلك في سورة
النمل وورث سليمن داود الى قوله واسلمت مع سليمن لله رب العالمين
وذكر كلاما يتعلق بتفسير ذلك عن ابن عطية حكاه عن ابن
سلام وابن عباس وغيرهما ثم قال فانظر بعقلك ايها
المسترشد الى هذه الحكاية وما يحتوي عليه من الامور التي لو كانت
تسلم او بعضها لسبق ذكر ذلك في المصاحف لاجل العجائب
التي توفر الدواعي على نقلها فعلم ان تلك خرافات موسوسة
قلت اما ما ذكره ابن عطية وغيره من المفسرين فلسنا 31
بصدد الجواب عنه لانا لسنا على يقين صحته وهم ليسوا
معصومين وانما نحن بصدد الجواب عن القرآن الكريم الصادر
عن المعصوم على لسان المعصوم بواسطة المعصوم والجواب
ان ما ذكر في سورة النمل وغيرها من سور القرآن من الحكايات

والقصص والحكايات حكم اخبرنا به الصادق وكل ما اخبرنا به الصادق
فهو حق واقع فاذ ذكر في سورة النمل وغيرها حق واقع اما
امكانه فلا نزاع فيه عند من يعقل من العقلاء اذ الممكن ما لا يلزم من
فرض وقوعه محال واما كون الذي اخبرنا به صادقا فلوجوه
احدها ظهور المعجزات الخوارق على يديه وسنذكرها
وبرهان اثباتها فيما بعد وقد حكى في القرآن شرط المعجزة
الثاني ما اشتهر من انه ما كان يسميه منذ كان صبيا
حتى ادعى النبوة الا الامين واما الدعوة فيما بعد ذلك للنبوة
اخبرهم بحقائق الغيب لم يدركها عقولهم وذلك جهل منهم باحكام
الشرائع وانت قد قدمت عند بيان ضرورة النبوة ان
العقل لا يستقل بمعرفة الحقائق الالهية بدون تأييد الهي وكذلك
اليهود للمسيح وكان صادقا ولله الثالث الطريق التي استدل
بها هرقل ملك الروم على صحة نبوته وانا اسردها لك لها
تكميلا لفائدتها قال البخاري حدثنا ابو اليمان الحكم بن نافع
قال اخبرنا شعيب عن الزهري قال اخبرني عبيد الله
بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ان عبد الله بن عباس اخبره ان
ابا سفين بن حرب اخبره ان هرقل ارسل اليه في ركب من
قريش وكانوا تجارا بالشام في المدة التي كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ماد فيها ابا سفين وكفار قريش فاتوه وهم بايليا
فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعى بالترجمان
فقال ايكم اقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم انه نبي
فقلت انا قال ادنوه مني وقربوا اصحابه فاجعلوهم
عند ظهره ثم قال لترجمانه قل لهم اني سائل عن هذا الرجل
فان كذبني فكذبوه فوالله لولا الحيا من ان ياثروا علي كذبا
لكذبت عنه ثم كان اول ما سالني عنه ان قال كيف نسبه
فيكم قلت هو فينا ذو نسب قال فهل قال هذا القول
منكم احد قط قبله قلت لا قال فهل كان من آبائه من ملك
قلت لا قال فاشراف الناس اتبعوه ام ضعفاؤهم فقلت بل ضعفاؤهم
قال ايزيدون ام ينقصون قلت بل يزيدون
قال فهل يرتد احد منهم سخطة لدينه بعد ان يدخل
فيه قلت لا قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول
ما قال قلت لا قال فهل يغدر قلت لا ونحن منه في

مثله لا ندري ما هو فاعل فيها قال ولم يمكني كلمة ادخل فيها شيئا غير هذه
الكلمة قال فهل قاتلتموه قلت نعم قال فكيف كان قتالكم اياه
قلت الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه قال
ماذا يامركم قلت يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به
شيئا واتركوا ما يقول اباؤكم ويامرنا بالصلوة والصدق
والعفاف والصلة فقال للترجمان قل له سالتك عن نسبه
فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في نسب
قومها وسالتك هل قال احد منكم هذا القول فذكرت
ان لا فقلت لو كان احد قال هذا القول قبله لقلت رجل
ياتسي بقول قيل قبله وسالتك هل كان من ابائه من ملك
فذكرت ان لا فلو كان من ابائه من ملك قلت رجل يطلب ملك
ابيه وسالتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال
فذكرت ان لا فقد اعرف انه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب
على الله وسالتك اشراف الناس اتبعوه ام ضعفاؤهم فذكرت
ان ضعفاءهم اتبعوه وهم اتباع الرسل وسالتك ايزيدون
ام ينقصون فذكرت انهم يزيدون وكذلك امر الايمان حتى
يتم وسالتك ايرتد احد سخطة لدينه بعد ان يدخل فيه
فذكرت ان لا وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب
وسالتك هل يغدر فذكرت ان لا وكذلك الرسل لا تغدر
وسالتك بم يامركم فذكرت انه يامركم ان تعبدوا الله ولا تشركوا
به شيئا وينهاكم عن عبادة الاوثان ويامركم بالصلوة والصدق
والعفاف فان كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين
وقد كنت اعلم انه خارج ولم اكن اظن انه منكم فلو اني اعلم
اني اخلص اليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت قدميه
قلت وهذا حديث صحيح ثابت باجماع الملل وتسجل
عادة اختلاف مثله ثم لو سلم انه مختلق لكن هذه القضايا
التي فيه مشهورة مثل انه لم يخرج من مدعي ولا ملك
وانه غير كاذب ولا غادر ونحوها ووجه الاستدلال
منها ظاهر جدا فلو وفق النصارى كلهم لما وفق له هذا
الملك لافلحوا كل الفلاح ثم مقصودنا منه الاستدلال على
صدقه بقوله لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله

وهكذا النجاشي ملك الحبشة لما سمع ما انزل على محمد في سورة مريم
من صفة المسيح حيث يقول اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا
الايات قال ما عدا المسيح ما قال هذه يعني عودة لا بده وذلك
في حديث طويل وهو حديث ام سلمة عند هجرتهم الى الحبشة
وفيه في الصحابة انزل الله سبحانه لتجدن اشد الناس عداوة
للذين امنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين
امنوا الذين قالوا انا نصارى الى قوله واذا سمعوا ما انزل الى
الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق فهؤلاء
ملوك النصارى يعترفون بالحق ويصدقون الله ولا عبرة
بعدم حيلتهم ورعاعهم واعاملهم ان لكن اخبرته الصادق
وهو حق واقع لو جهلت احدها انه لو لم يكن لذلك لم يكن لاحد
وثوق باخبار ان الله ورسله وليس لذلك الساكي
لو لم يكن كذلك لم يكن المخبر صادقا لكنا فرضناه صادقا
هذا خلف واما قوله لو كانت هذه الامور لسلمت لسبق
ذكرها في المصاحف فجوابه سبق في غير موضع وهو
ان هذا استدلال على الوجود المحض بالعدم المحض وهو جهالة
وكم من وقائع عظيمة وغير هاود وقعت في ملك الله
لم يذكر في التوراة ولا في الانجيل ولا في القران وقد قال
الله سبحانه لمحمد عليه السلام في القران ورسلا قد قصصناهم
عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وقالت اليهود لما
سالوه عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم
(١) الا قليلا له قال وفي سورة الاحقاف واذ صرفنا
اليك نفرا من الجن يستمعون القران الاية وفي سورة الجن
قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا
الايات وقد ذكر ما ذكره ابن عطية وغيره في تفسير هذا
من رمي مسترقي السمع لمبعثه صلى الله عليه وسلم وانهم
تفرقوا يطلبون ما السبب فوجدوا النبي عليه السلام يقرا
فعلموا انه سبب منعهم وذكر حديث مسلم من رواية ابن
مسعود قال فقدنا النبي صلى الله عليه ذات ليلة فقلنا
اغتيل استطير فلما كان وجه الصبح اذا هو جاء من قبل حراء
فقال انه اتاني داعي الجن فاتيتهم فقرات عليهم القران
قال فانطلق بنا فارانا اثارهم واثار نيرانهم قال

الشعبي سألوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة فقال كل عظم ذكر اسم الله
عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما وكل بعرة أو روثة علف
لدوابكم قال فلا تستنجوا بهما فإنهما زاد إخوانكم من الجن رواه
أحمد قال وقد تقدم العلم بأن الشياطين بسائط مجردة عن
المادة فكيف تصطلي بالنار وتركب الدواب وتغتذي بنحو
العظام أو وافقك عقلك على أن هذا خروج عن الآدمية
والحيوانية بالكلية قلت الجواب عن هذا من وجوه أحدها
أنا قد بينا فيما تقدم أن الشياطين ليست مجردة عن المادة سلمنا لك
أن صح أنها مجردة عن المادة بعض [illegible] وحينئذ يجوز أن ترد
عليها هذه الأفعال بحسب مادتها ولا دلالة إلا بحمل قاطعة في
نحو عشرين موضعا منه على عدم تجردها ثم سلمنا الثاني
أن الباري سبحانه وتعالى إن قلتم ليس مجردا عن المادة فقد جعلتم
الملائكة والشياطين أجل منه وإن جردتموه عن المادة فقد جوزتم
تلبسه بالإنسان حتى تأنس وظهر في مظاهرهم لظهوره في ناسوت
المسيح حتى صار يأكل ويشرب ويتغوط ويغتسل ويصلب ويركب
الحمار ويشرب الخمر ويحيي العظام النخرة فيجعلها أوفر ما كانت
لحما ويصلي ويتعبد فجواز ذلك على الجن الذين هم بعض خلق الله
سبحانه بقدرته عليهم وتصرفه فيهم أولى وحينئذ لا يمتنع أن
الجن إذا أرادوا الطعام خلق الله لهم على ما وجدوه من العظام
لحما يأكلونه وإن كنا نحن لا نرى ذلك إذ لا حاجة بنا إليه ولا يوجد
اللحم عليها حين نراها الثالث أن المسيح كان يفعل ما ذكرتم من
الأفعال بناسوته لا لاهوته قلنا هذا باطل فإنكم
صرحتم بأن المسيح هو مجموع اللاهوت والناسوت وأن المسيح
هو الله وابنه إنما ظهر ذلك المظهر ليطرق الناس بالأنس
والأنس ينقل من حال إلى حال لذا قرره [illegible] مطران
حمص منكم بنحو عشرين حجة من التوراة والإنجيل منها
أن الله سبحانه ظهر ليعقوب حين قدومه من عند خاله فصارعه
في الصبح وهذه من جملة الحجج عليكم الرابع أن هذا وأمثاله
من الحقائق الإلهية التي لا تستقل العقول بدركها فيجب علينا
تسليمها عن الشرائع وإنما ينكر هذا فيلسوف لم يرض نفسه
في علوم الشرائع على أن أراك أيها الخصم متذبذبا تارة فيلسوفا
صلفا وتارة متشرعا حلفا فأراك كما قال بعضهم لامرأته:

أي راسك في الهوا ذوائبه لا تقصري على طعام واحد قال والنظر
إن صح أن قوله في سورة الرحمن يصف نساء الجنة الحور العين لم يطمثهن
إنس قبلهم ولا جان قال ابن عطية في التفسير قال مجاهد الجن
قد يجامع نساء البشر مع أزواجهن إذا لم يذكر الزوج الله تعالى
فنفى في هذه الآية جميع المجامعات قال ضمرة بن حبيب الجن في
الجنة لهم قاصرات الطرف من الجن نساؤهم فنفى في هذه الآية
الافتضاض في البشريات والجنيات قلت هذا أوجد
كلامه وهو مختبط لا يظهر منه وجه الإشكال لكنا نقول
أما قول مجاهد وضمرة بن حبيب فليس [illegible] في شيء ولا يرد
علينا لو عارض عشرة وأما معنى الآية فهو أن من كان يطأ
زوجة في الجنة من الأبكار لم يفتضهن قبلهم أحد إنسي ولا جني
من تلك النساء يجوز أن يكن نساءهم في الدنيا بعد إبكارها قال
تعالى فجعلناهن أبكارا أول خلق بعدد ويجوز أن يكن منشآت من
الجنة وذكر حديث إذا أذن بالصلاة أدبر الشيطان
له ضراط الحديث وحديث إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه
وليشرب بيمينه فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله
قال وهذا كله يصرح باغتذاء الشياطين وجماعها
قلت هذا كله إشكال يورده بناء على ما قرره من أن
الشياطين بسائط مجردة عن المادة لا يتأتى منها ذلك
قلت وكأنه يورد تناقضا آخر من قوله لم يطمثهن إنس
قبلهم ولا جان ومن قول مجاهد الجن يجامع نساء البشر ومن قول
ضمرة بن حبيب الجن في الجنة لهم قاصرات الطرف قلت
وجوابه من وجهين أحدهما منع التناقض بما بيناه من أن المراد
بالآية أن كل من أهل الجنة له زوجات أبكار لم يطمثهن قبله
غيره وهذا لا ينفي أن الجن كانوا يجامعون نساءهم أو نساء غيرهم
في الدنيا أو في الآخرة الثاني أن التناقض بين قول الله
سبحانه وأقوال المفسرين لا يلزمنا لأن الخلاف بينهم لكن
كان التزمنا ذلك كان علينا ولأنهم ليسوا معصومين
فيجوز أن يخطئوا قال [illegible] وفي البخاري من حديث أبي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا استيقظ أحدكم
من نومه فليستنثر ثلاثا فإن الشيطان يبيت على خيشومه
وفيه لا تحينوا بصلاتكم طلوع الشمس وغروبها فإنها تطلع

يقرن بها شيطان قلت وجه سؤاله هذا ما قدمه من ان
الشيطان بسيط مجرد عن المادة فكيف يبيت على خيشوم الادمي
وذلك يستدعي ان يكون جسما وكيف يكون له قرنان وايضا الشمس
مثل الارض مرارا كثيرة فكيف يطلع بين قرني شيطان والجواب
قد علمنا قبل على بساطة الشيطان وتجرده عن المادة ومعناه
مطلقا بل هو مجرد مفتقد لشيء وحيث يقع منه المس على
خيشوم الادمي وام راسه ليزين له النوم ويثقله فيه كي
لا يستيقظ بالليل فيصلي اذ ذكر ان احدكم يعقد الشيطان على
قافية راس احدكم ثلاث عقد فكلما اراد ان يستيقظ قال
له نم عليك ليل طويل فان استيقظ فذكر الله انحلت عقدة وان
توضا انحلت عقدة وان صلى انحلت عقده فاصبح نشيطا والا
اصبح خبيث النفس كسلان انتهى وهذا من الاسرار الالهيه التي
اعترف الحكماء في اول كتابه ان العقول لا تستقل بدركها وقد
ذكر في الانجيل ان المسيح بعد قيامه من الاموات صار روحا
مجردا يظهر لهم شيئا ويخفى عنهم شيئا فكذلك الملائكة والشياطين
في ظهورها واستخفائها انتهى واما قوله يطلع بين قرني شيطان
فقال بعض اهل العلم بغريب الحديث اي بين جانبي راسه
وجانبيه قلت وهذا لا ينافي عظمها في نفسها لا يقول
خرجت بين الجبلين والجدارين اي في وسطهما قوله تغرب بين جانبيه
ومعناه ان الشيطان يقارنها في حده المسامته لا الملاصقة
كما يقارن بعض الكواكب السبعة بعضا وان كانت اعلاها
مسامته المراكز والذوات ليزين للكفار السجود لها وقال
بعضهم القرن القوة اي حين يطلع يتحرك الشيطان ويتسلط
فيكون كالمعين لها وقيل بين قرنيه اي امتيه الاولين والاخرين
الساجدين لها المطيعين له في ذلك اي ان عادة الكفار مستمرة
في عبادة الشمس عند طلوعها وغروبها فلا تصلوا حينئذ لئلا
يصير بينكم تشبه منهم وهو عليه السلام من شرعه بغض الكفار
والتشبه بهم جدا حتى انه يحسم مواد ذلك بكل ممكن حتى كره
في شرعه الصلاة في المحراب فيه ان سقف لئلا يشبه فعل
المجوس وان لا يشد وسطه في الصلاة بسبب يشبه الزنار
لئلا يشبه فعل النصارى ولا يعمم غير مذوب لئلا يشبه

عبادة اليهود واشباه ذلك كثيرة قال بعضهم وكل هذا تمثيل
لمن يسجد للشمس عند طلوعها فكان الشيطان سول له ذلك
قلت ومثل هذه الاستعارات كثيرة في كلام العرب خصوصا
في كلام هذا النبي فانه كان افصح العرب وابلغها فليس ببدع لعلوج
النصارى واعاجمهم ان ينقشوه في ظواهر العبارات حتى يعلموا
لغته فيكونوا امثاله فيها والله اعلم قال وفي كتاب مسلم
عن ابي هريرة قال رسول الله ما منكم من احد الا وكل به قرينه
من الجن قالوا واياك يا رسول الله قال واياي الا ان الله اعانني عليه
فاسلم فلا يامرني الا بخير وقال ان الشيطان يجري من ابن ادم
مجرى الدم قلت ومن شواهد هذا الحديث ما رواه الترمذي
من حديث مجالد عن الشعبي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا تلجوا على المغيبات فان الشيطان يجري من احدكم مجرى الدم
قالوا ومنك قال ومني ولكن الله اعانني عليه فاسلم انتهى والمغيبات
اللاتي غاب عنهن ازواجهن وفي لفظ لمسلم لا يبيتن احد عند
امراة الا ان يكون ناكحا او ذو محرم لها قلت وتسليمه في
انكار هذا ما قدمه من ان الشيطان بسيط مجرد عن المادة فلا
يوصف بانه يجري من ابن ادم مجرى الدم لان ذلك من صفة جسمية
ونحن قد سمعنا ذلك عليه في موضعه وشيئا من اطراف الكلام في
جسمية الشياطين لكنها اجسام لطيفة للطافة مادتها وبذلك
يصح عليها ان تجري من ابن ادم مجرى الدم وغيره كالارواح
والرياح ثم قد قال بعض اهل العلم ان الروح جسم لطيف
سار في هذا الهيكل الكثيف على شكله والهواء يتخرق نواحي
البدن حتى قال بعضهم الروح هو الهواء المجرد السالك في البدن
على انه يجوز ان يكون المراد بالشيطان هنا النفس الامارة او
الهوى لانه من اعوان الشيطان على ما قررته واذا اتجه ما
قلناه فاحمل ما عليه قلناه لم يبق للاعتراض به وجه
وروى عبد الرزاق في تفسيره قال اخبرنا معمر عن قتادة
في قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته قال قرينه الشيطان
قال وفي سورة غافر يصف الملائكة حيث يقول
الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون
به ويستغفرون للذين امنوا قال ابن عطية في التفسير

قد ذكر

قلت وافق ولعله في ... الروح ... الهواء المجرد في تجاويف البدن ... بدليل من خفق ... كالحسن ... الهواء المجرد في ...

روى جابر بن عبد الله ان النبي قال اذن لي ان احدث عن ملك من حملة العرش
ان ما بين شحمة اذنه وعاتقه مسيرة سبعمائة سنة قلت ان كان
انكاره من هذا للاخبار بالعرش او لحملته او لاستغفارهم للمؤمنين
وهذا من الاسرار الالهية التي لا يستقل العقل بدركها كما سبق
في المقدمة فيجب تسليمها على اهل الشرائع ولقد نقم على المسيح انه
بعد بعثه من الاموات صعد فجلس عن يمين ابيه وانه ياتي يوم
القيامة في مجد ابيه على السحاب وحوله الملائكة وان كان
انكاره لعظم خلقة هذا الملك المذكور فنقول له ان هذا
ضرب لم نعرفه الا لان العظمة لاي جعفر جبار وليس
مثله كما تصادم به السر بعده وقيل ان هذا امر محال وقد
اضيف الى قدرة الله واخبر به الصادق فما يمنع من وقوعه
بل ان الجبال والبحار بل كل الارض بل كرة العالم جميعه بالاضافة
وعمومه خلق عظيم من خلق الله فلا فرق بينه وبين هذا الملك
الا في الشكل والحياة على ان الفلاسفة يرون الافلاك وعمومها
احياء ناطقة متحركة بالارادة فلا فرق اذا بينها وبين الملك
المذكور وهذه منها هي كل بصر متبصر بما وجه احالة
مثل هذا حتى يقدح به كلام الانبياء قال وفي سورة
القصص كل شيء هالك الا وجهه يعني الله سبحانه يجعل الفناء
شاملا لما سوى الله تعالى من الملائكة والنفوس قلت
كان وجه ايراده ان الملائكة والنفوس مجردان عن المادة لا تفنى
فنا وها بنا على ما تقدم من ذلك وقد سبق جوابه وان الهلاك
ممكن في الجميع ثم يفنيه الله تعالى كما اخبر بنا او نقول ليس
المراد بالهلاك العدم المحض بل هلاك هذه الهيئة التركيبية
كان الوعاء من زجاج او ذهب اذا انكسر فقد هلك وغايته
لا زجاجه وذهبه وهذان قولان مشهوران للمتكلمين
وهو ان الاجسام تنعدم عدما محضا ونفيا صرفا او
تفترق مع بقاء اجزائها المفردة والمسألة مبنية على
مسألة الجوهر الفرد وهو الجزء الذي لا يتجزأ وهي مشهورة
بين الفلاسفة والمتكلمين قال وفي اول سورة فاطر
جاعل الملائكة رسلا اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع
قلت فانه سلم الاجنحة للملائكة لا يسلم انها الجسمية ثبتا

على ما سبق من تجردها عن المادة وقد سبق جوابه فنا وقد دفع الله سبحانه
هذه الشبهة بقوله متصلا بالكلام المذكور يزيد في الخلق ما يشاء
اي لا يستغربوا امثال له جماعة اجنحة فان لله التصرف والقدرة
على ما يشاء قال وفي سورة الزمر ونفخ في الصور فصعق
من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وذكر قول ابن عطية
عن السدي استثنى جبريل وميكائيل وملك الموت ثم اماتهم
بعد ذلك فصرح في هذه المواضع ان الملائكة مجسمة وان
لها اجنحة وهي كما يرى عند العلماء عقول بسيطة مجردة والموت
مفارقة الروح الجسد ولا اجساد للملائكة قلت جوابه
هذا كله سبق عند اول من ادعى تجرد الملائكة والسالم
عن المادة وبينا ان ذلك لا مذهب للانبياء ولا الفلاسفة
ثم يقال له التجرد عن المادة ان كان صفة نقص وجب تنزيه
الملائكة عنها لانهم اولى بالكمال فلزم ان يكونوا ذوي مادة
وان كان صفة كمال فالله سبحانه ان لم يكن مجردا عن المادة فقد
جعلتم الملائكة اكمل منه وان كان مجردا عن المادة فقد جوزتم عليه
التلبس بالمادة حيث اعتقدتم اتحاد لاهوته بناسوت المسيح
او جعلتم الثلاثة واحدا وقد سبق جميع هذا واما اعداؤه
بيانا فانه قال وكما روى عنه من اوصاف الله سبحانه
وذكر حديث ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا وحديث
جهنم فيضع الرب قدمه فيها فتقول قط قط وحديث يكشف ربنا
عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة وحديث المعراج
فدنا رب العزة حتى كان منه قاب قوسين او ادنى وحديث
رايت ربي في احسن صورة ووضع يده بين كتفي حتى
وجدت بردها بانامله في ثندوتي وحديث ام الطفيل
امرأة ابي بن كعب انها سمعت النبي يذكر انه راى ربه
في صورة شاب موفر في خضر على رأسه فراش من ذهب
وفي رجليه نعلان من ذهب قال فيقرر هذا كله ان الله
جسم وهذا مخالف للعقل ولصحائف الانبياء ومستلزم
لكون الله سبحانه جسما لوجهين احدهما لو كان جسما لكانت جملته
معلولا لاجزائه ومفتقرة اليها وما علة تغيره كان
عدمه عند عدم علته وواجب الوجود هو ما لا يعدم لعدم

غيره بل لعدم ذاته * الثالث ان الجسم مركب من الصورة والهيولى
فيعدم بانعدام كل منهما والواجب لا يعدم لانعدام غيره لا سيما
وان سلمنا ذلك فليس الانسان في الانجيل الا روح قلت
هذا حاصل ما ذكر في هذا السؤال وقرره به ولعمري ان هذا
ما لا يقضى منه العجب من هذا الشخص فان التوراة والانجيل مملوان
من التجسيم فان في اول التوراة وكانت روح الله ترف على الما
والروح فيما نشاهده جسم والجن على جسميتها كثيره لكن يلتفى منها
محجة طبيعة ذكرها الاطبا وهو اضطراب الصدر وحركته
لها عند النزع فان قال ان روح الله ليست جسما وان كانت
روح غيره جسما قلنا فقد اجبت عنا بذلك فما حكى في
دين الاسلام من صفات الله تعالى لتيس على المعارف من
صفات الادميين وسقط هذا التشنيع خصوصا وقد ذكر
ابن سينا في ضرورة النبوة عن ارسطو وغيره ما ذكرته من
ان الحقايق الالهية لا بد فيها من التوقيف الشرعي وفي التوراة
قال الله نخلق بشرا على شبهنا كرسمنا فصلد لكون كصورتنا
ومثالنا واسلطه على سمك البحار وطير السما الى ان قال
وخلق الله ادم بصورته صورة الله خلقه ذكرا وانثى خلقهما
الله وبارك عليهما وفيها ان ادم وامراته سمعا صوت الرب
يمشي في الفردوس فاستترا من بين يدي الرب من شجر الفردوس
وقال الله لادم اين انت فقال سمعت صوتك يمشي في الفردوس
ورايت اني عريان فاستترت فقال الله الرب ومن ادراك
انك عريان لعلك اكلت من الشجرة التي نهيتك عنها وهذا
فيه اشيا منها وصفه بالمشي حتى سمع صوت مشيه في الفردوس
وهو من خواص الاجسام واصعب من النزول المذكور في السنة
الاسلامية ومنها قوله اين انت ومنها قوله من ادراك
انك عريان لعلك اكلت من الشجرة فان ذلك ظاهر في ان الله
سبحانه لم يعلم اين هو ولا هل اكل من الشجرة او لا حتى اعلمه
ادم ومنها وان الله اعيا لما انه اليوم السادس واستراح في
في اليوم السابع والاستراحة من لواحق الاجسام وهذا في
التوراة كثير واما ما في الانجيل فقولكم لما اعتمد

المسيح من يوحنا المعمداني ثم صعد من الما جاه روح القدس في جسد حمامة
من السما والارض وسمع قائلا يقول هذا ابني الحبيب الذي به
سررت ثم انكم تقولون الاب والابن وروح القدس اله واحد
وهذا مستلزم للتجسيم لوجهين احدهما ان الصوت لا يتصور عقلا
وحسا الا من جسم اذ هو عرض لا يقوم بنفسه * الثاني ان الاب
والابن والروح في هذه الحال اعني صعود المسيح من الما بعضهم
منفصل عن بعض حسا وحقيقة والمجاورة مكانية فان كان ذلك
بعد اتحاد الروح والمسيح بالله فقد انفصل عنه جسمان قلتم
هو جسم لان بعض الجسم وان كان قبل الاتحاد وان اتحادهم حدث
بعد ذلك فقد اتحد بذات الله جسمان جسد الحمامة الذي هو
الروح وجسد الابن الذي هو المسيح ولا يتحد بالجسم الا جسم هذا
على قول من يقول منكم ان المسيح ابن الله اما من يقول هو الله فالامر
فيه واضح وقد قرر ذلك ابن الاسكندر مطران حمص بان قال ان الله
لا يمكن ظهوره الى العالم حتى يباشر ويتحد بهم وله مظاهر يظهر
فيها كما ظهر في هيئة النار لموسى في العليقة ولابرهيم في هيئة بشر
وقد يه ولده ويعقوب في هيئة رجل فصارعه فكذلك
ظهر في هيئة المسيح * وفي الفصل الخامس من انجيل متى وذلك
لا تحلفوا بالسما فانها كرسي الله ولا بالارض فانها موطي قدميه
وفي السادس والعشرين منه من حلف بالسما فهو يحلف بكرسي الله
وبالجالس عليه فوصفه بالقدمين والوطي وبالجلوس على
الكرسي والجلوس من خواص الاجسام وان لم يكن هذا تجسيما فما في
الوجود تجسيم اصلا فاذا كان هذا مضمون كتبكم المعتمد وتقرير
المتكلمين وفضلايكم فكيف تنكرون علينا ما هو دونه في ذلك بكثير
وعذرنا فيه اوسع من عذركم على ما ساتي ولكن في المثل
رمتني بدايها وانسلت * وفي السعره
لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم *
فابدا بنفسك فانهها عن غيها فاذا انتهت عنه فانت حكيم *
واما الاحاديث التي ذكرت فصحيحة ثابتة الا حديث ام
الطفيل فانه حديث موضوع لا اصل له حكم بذلك ايمة الحديث
ثم لو صح لكان محمولا على رؤية المنام بحديث رايت ربي في
احسن صورة فانه كان مناما باتفاق علما الملة صرح الترمذي
وغيره بانه كان مناما واما حديث النزول والقدم

والساق وغيرها من احاديث الصفات فللطوائف المسلمين فيها ثلاثة اقوال
احدها اعتقاد مفهومها المشاهد منها وهو قول المجسمة وهم
عندنا في ذلك كالنصارى واليهود في ذلك .. والثاني تأويلها
على ما يصح في المشاهد ولو كان بعيدا كالنزول على نزول العلم
او الرحمة او نزول ملك ينادي او فعل من افعال الله والقدم
على قوم يقدمهم الى النار والساق على شدة الامر وكرب المحشر
ودنو الله سبحانه على تعطفه ورفقه بعبده ونحو ذلك
وهو مذهب الاشعرية والمعتزلة ونحوهم .. والثالث اعتقاد
ما يليق بجلال الله سبحانه منها مع القطع بتنزيه الله سبحانه عن
مشابهة مخلوقاته او بعضها بوجه من الوجوه اعتمادا على قوله
تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فالاول التشبيه
والثاني التأويل وهو اولى من الاثبات المفضي الى التمثيل
والتنزيه المفضي الى التعطيل وهذا هو الذي اقول به
ولئن التزم القول قبله في هذا المقام لاني وهذا الخصم نبحث
في دين مقابل لا في مذهب دين واحد على اي القولين
التزمت لا يلزمني تصحيح التجسيم ما لزمك .. واما ما ذكرت
من الحجة على نفي الجسمية فقد سبقك اليه الفلاسفة والمتكلمون
وقد قرر المسلمون ذلك ببراهين كثيرة فلو ثبت ان العرشية
ولا يسعني ان اعتقد فيه مثل ما احوجك به ... تمكنا الجمع
بينه وبين ما عندنا من ايات الصفات واخبارها بما قد سلف
من القولين المجازين وان لا يمكنك الجمع بينه وبين ان المسيح
هو الله او القول بالثالوث ان كنت نصرانيا حقا وان كنت
فيلسوفا فما لك وللمذهب النصارى تكلم في راي ارسطو
ونحوه ودع عنك الشرائع لست منها ولو عفرت وجهك
بالتراب فانك رجل مذبذب بين الرايين كالشاة العائرة
بين الغنمين .. واما قوله ان هذا مخالف للعقل ولمصاحف
الانبياء فان اراد ان المخالف لذلك كون الله جسما فهو صحيح
ونحن نقول به وان اراد وصف الله سبحانه بنحو النزول
والقدم والساق فباطل عن الانبياء فان في اول الاصحاح
الخامس عشر من ... اشعيا هذا اسم الرب جاء من بعيد

يشتعل غضبه ووجهه ماخذ شفتاه ممتلئتان غضبا ولسانه كالنار
المتقدة وروحه كالوادي الذي يجري حتى يمر به تقطع نصفه الى العنق
لنزجر الشعوب .. قال قلت هذه صفات اسم الرب لا صفات
الرب قلت الاسم ان كان هو المسمى فهذه صفات الرب بلا شك
وان كان غيره فالاسم معلوم للحقيقة وهو لا يتصف بهذه الصفات
فيجب رجوعها الى الرب وانما ذكر الاسم صلة كقول القائل
الى الحول ثم اسم السلام عليكما .. وقول الاخر
ينادونه باسم الماء وهو لبنه .. وفي الاصحاح الثالث والعشرين منه
اسمع قولي يا يعقوب واسرائيل الذي دعوت انا الاول
وانا الاخر ويدي اصلحت اساس الارض ويميني سطحت السماء
وفي الاصحاح السابع عشر منه هذا الله الرب ياتي بعزه
وذراعه بقوة ثوابه معه وعمله بين يديه الى ان قال
وشبر السماء بشبره وكال تراب الارض بكفه ووزن الجبال
بالمثقال والاكام بالميزان .. وهذا كثير في كتب الانبياء لو تتبعته
لطال وهذه صفات ظاهرها المتعارف التجسيم والجواب عنها
هو جوابنا عما ذكرت من الاحاديث .. قال ومن هذه الاوصاف
الواردة في حق الله تعالى عنها ما جاء في سورة البقرة ان الذين كفروا
سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم
الاية .. وفي سورة النساء اتريدون ان تهدوا من اضل الله الاية
وفي الاسراء وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس
وقال والله خلقكم وما تعملون وقال كل من عند الله والقرآن
مصرح في مواضع كثيرة غير هذه بان افعال الخلق خيرها
وشرها بارادة الله وخلقه لا بارادة الخلق وفعلهم ثم ذكر
احاديث القدر من الصحيح وهي مشهورة ثم قال فبلغ بهذه
الاحاديث مالك بالايات المذهب انفا من ان الله سبحانه
خالق جميع افعال العباد من الخير والشر كالقتل والكذب
والزنا وغير ذلك وهو الذي يعاقب ويثيب وهذا
مذهب اهل سنة الاسلام وحجتهم عليه ما اوردناه من
الايات والاحاديث واذا بين لهم فساد هذا المذهب
وشناعته وان هذا الذي يصفون به الله لا يوصف به الا السلطان
لجأوا الى التمسك بهذه الاية لا يسأل عما يفعل وهم يسألون
قلت والدليل على فساد هذا المذهب الحجة والبرهان
اما الحجة فمن وجهين احدهما كما تقرر في المعقول

أريد لك وإنما ذكرت مسألة القدر في هذا المقام لمن يقدح
في دين النصرانية بقبح التعميد وبناء المذبح وتقريب القربان فإنك
إن كنت تقول له كل ما هو فوق هذا ثم أنزل إليه الوجه الثالث
أما الآيات والأحاديث فصحيحة ونحن نقول بها على وجه يقررن موافق
وهو أن المسلمين أجمعوا على أن القرآن حق وصدق وأن بعضه
يصدق بعضًا فما أوهم منه التعارض يلطفوا للجمع بينه بما أمكن من الأسباب
الجائزة من إبهامها والآيات المنصبة لأفعال العباد موهمة
للتعارض فتارة تضاف الأفعال فيها إلى الله نحو والله خلقكم
وما تعملون وقوله الله خالق كل شيء ومن يضلل الله فما له من
هاد وأضله الله على علم ونحوها وتارة تضاف إلى العباد
نحو فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا جزاء بما كانوا يعملون هل ثوب
الكفار ما كانوا يفعلون ونحوها وهي من الطرفين كثيرة ففي هذا
المقام انقسم المسلمون إلى ثلاث فرق فرقة قالت بمقتضى القسم
الأول وألغت الثاني وهم الجبرية زعموا أن الله موجد
أفعال خلقه استقلالًا ولا للعباد في وقوعها على جوارحهم مضطرون
إليها فاضطرار السعفة إلى الحركة في الريح العاصف
ويسمونهم الإجبارية وفرقة قالت بمقتضى القسم الثاني
وهم القدرية زعموا أن العباد موجدون لأفعالهم استقلالًا لا
وأن الله لا تعلق له بها بخلق ولا إرادة وفرقة توسطت
الطرفين المنحرفين وقالت بمقتضى القسمين فنسبوا الأفعال
إلى الله إرادةً وخلقًا وإلى العباد اختيارًا وكسبًا وفسروا
الكسب بأنه أثر القدرة القديمة في محل القدرة الحادثة
وساعدهم على ذلك ظواهر نصوص الكتاب والسنة من الطرفين
وورد على كل واحدة من الفرقتين الأوليين ما قالته
الأخرى فاحتاجت إلى تأويله والتعسف في تعطيله ولزم الجبرية
التجويز والقدرية تعجيز القدير والإشراك معه في آثار
القادرية ولهذا سموا مجوس الأمة لشبههما بالمجوس القائلين
بخالقين إذا عرفت هذا فنقول إنا إذا اشتققنا اسم فاعل
من فعل أو صفة نحو شرير وظالم وضارب وقاتل
فتارة يراد به موجد ذلك الفعل وخالقه وعلة وجوده

مرة أن مريد الخير خيّر ومريد الشر شرير ومريد العدل عادل
ومريد الظلم ظالم فلو كان الله سبحانه مريدًا للشر والظلم لكان
موصوفًا بالخيرية والشرية والعدل والظلم وذلك محال
وشنيع في حق الله تعالى الوجه الثاني أن كل آمر بشيء فهو
مريد له فيستحيل من الله تعالى أن يأمر عبده بالطاعة ثم لا يريدها
والجمع بين اقتضاء الطاعة وطلبها بالأمر بها وبين كراهة وقوعها
جمع بين نقيضين وذلك بمنافاة الأمر بالشيء والنهي عنه في
حالة واحدة هذا ملخص حجتهم لم نذكر كلامًا نقله يرحمه الله وأما
التنزيل فقول الله في التوراة يا قابيل إن أحسنت جوزيت
وإن أسأت تسلطت على إساءتك لأنك مالك إرادتك وأنت
مسلط عليها بالاختيار وقول داود النبي في الزبور ودعي
في يدك أبدًا يقع تحت قدرتي وقول سليمان إن الله صنع
الإنسان مستقيمًا وهو أدخل نفسه في مسائل غير متناهية
يعني بإرادته المخصوصة ثم سنح بأن ضرب مثلًا وهو من أوثق
أسبابنا شدًا وكذا فإن ألقاه فحل ذلك له في حال هويته
إن لم يعف أو يرجع إلى الشر لا يفعل ذلك وفعل هذا سفه
وحمق وتكليف بما لا يطاق وحكي قول الزمخشري في الكشاف
أن كان الله نهى عن الذنب ثم يلجئ إليه ويعاقب عليه فيا
أول من يقول إنه سلطان وليس بإله هذا ملخص ما ذكره
في هذا السؤال من غير إخلال بمهم والجواب
من وجوه أحدها أن هذا الخصم بصدد القدح في الشريعة وإيراد
هذا السؤال لا يحصل لك المقصود لأنه ليس لطوائف المسلمين
يقولون بهذه المقالة فلو بالغ في هذا المعتزلي المخالف
في الإسلام ووافقك في القول بالقدر فيقطع في هذا المقام
وأنا الذي قد نصبت لمناقضتك لو التزمت مذهب
القدرية في هذا السائغ في حكم النظر لأن البحث بين مسلم
ونصراني لا بين قدري وسني الوجه الثاني أن هذه
مسألة من فروع الشريعة بعد ثبوت أصلها وسعي بإبطاله
وهي تابع لا مقصود فيغنيك عنها القدح في أصل الدين

المستقيم أنك أتيتها بصدد الخصم كذا

وتارة يراد به ما يشبه وسببه فقولك لو كان الله مريدا للشر
والظلم لكان شريرا ظالما ان عنيت بالشرير والظالم ما سبب الشر
وسببه فلا نسلم انما ذاك الادمي وان عنيت خالقه وعلته فهو
صحيح لكن يكون في اطلاق لفظ الشرير عليه اساءة ادب
اذ لم ترد الشرائع باطلاق مثل هذا عليه والاشهر عند بان
اسماء الله توقيفية لا قياسية وبهذا التفصيل يندفع ما ذكروه
من المحال والتشنيع به ولنا قولك كل امر بشي فهو مريد له
ممنوع فان هذا محل وهم ومزلة قدم وذلك لان الارادة
تستعمل تارة بمعنى الطلب وتارة بمعنى رجحان وجود الممكن (تفسير الارادة)
في نفس المرجح فالاول ترجيح طلبي بمعنى الامر والثاني
ترجيح وجودي وهو موضوع الارادة في الاصل واحد الامرين
يشتبه بالاخر لان الاول اثر الثاني فانه انما يقصد الطلب
غالبا بعد رجحان الوجود في النفس وحينئذ نقول ما تعني بقولك
كل امر بشي فهو مريد له الارادة الطلبية او الوجودية
الاول مسلم لكن هذا انحصر لقولك كل امر بشي فهو امره
لان الانسان قد يقول لصاحبه او لعبده اطلب منك
او امرك ان تفعل كذا واريد منك ان تفعل كذا بمعنى والثاني
ممنوع فلا يصح قولك كل امر بشي فهو مريد له اي مرجح لوجوده
وقد ضرب الاصوليون لهذا مثلا وهو من امر عبده بما لا يريد
منه تمهيدا لعذره عند من لامه على ضربه فان هذا جائز عقلا
وفيه حكمة مقصوده فجاز ان يكون لله سبحانه في الامر بالشي
وعدم ارادته حكمة وان لم ندركها وقد ذكر نفطيوس الحكيم
وهو من فضلاء النصارى وعلمائهم في شان الله سبحانه مع ملائكته
ما ان صح صلح ان يكون حكمة لهذا وقد اشرت اليه في التعليق على
الانجيل ولا يسهل علي الان ذكره وحينئذ لا يلزم التناقض
بين اقتضاء الطاعة وطلبها وبين كراهة فعلها لان اقتضاها
خطابي وكراهتها نفسية وقد يوجد هذا في الخلائق كثيرا
حيث يقول احدهم لصاحبه ادن فكل معي تجملا وهو يكره
ذلك منه لا محبة و بخلاف وبهذا يظهر الفرق بين هذا وبين

الآمر بالشي والنهي عنه لان الامر والنهي خطاب محلها اللسان نحو افعل
لا تفعل بخلاف الكراهة فان محلها النفس ولا تناقض الامرة واما
ما ذكروه من نصوص نفي الاسناد نحو يقول به وقد ورد به شرعنا
فان الانسان له قدرة واختيار يكتسب بها لكنها تابعة لقدرة
الله واختياره فهي بالاضافة بعض التبعية وكون الشي بالاضافة
لا يقدح في وجود مسماه انما يقدح في تمامه وكماله واما
المثل الذي يستغيث به من ربط السحر والقاه في حبل ثم
قال له ارجع والا عاقبتك فليس نظيرا لما نحن فيه لان هذا الجبر
محض وقسر صرف وصاحبه جائر فاسق وتعالى الله عن ذلك شانه
ان يفعل هذا وانما الله سبحانه لطف لما شاء فلطف الى ان لوح
مراده من شقوة من اراد شقوته في خلقه على وجه لا يلجئهم
الى مراده ولا يلهمهم حتى يخرجوا من تحت قهره وقدرته فسلط
على عبده نفسا امارة وهوى داعيا وسبطا يامرنا للشهوات
وفي مقابله هدى روحا وعقلا ودينا فالقبيلان يحتبشان لعبد بان
على فعل الشر وتركه ويترجح احدهما بالتوفيق او الخذلان
ثم قطع حجته بان قال الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين
وهديناه النجدين يعني طريق الخير والشر ليختلف ويحسب فاذا
اراد الله سبحانه شقوة عبد خذله فترجح جيش شيطانه
واذا اراد اسعاده وفقه فترجح جيش عقله والتوفيق والخذلان
للانسان في مدة عمره كالخفير وقاطع الطريق في مسافة سفره
مثاله انك اذا امرت عبدك لك به عناية في طريق ارسلته
حقيقته ثم سيرت معه علامة او سيرت معه يمسك بخفره
فيها من ان يضل عنها او يبطئ فيها فيهلكها او ينقطع في مفازة حتى
يقطعها الى مقصده وان لم يكن لك به عناية قلت له هذا
الطريق ثم تركته بلا خفير فمر على عماه فوقع على سبع فافترسه
او لص فقتله او مهلكة فتلف فيه او مفازة فمات عطشا
كذلك الله سبحانه اذا اعتنى بعبد جعل التوفيق له الى الموت
خفيرا ليسعده بملازمة الطاعات ومفارقة المعاصي
واذا غضب عليه لم يصحبه التوفيق وذلك هو خذلانه له
فقارف المعاصي وفارق الطاعات فكان شقيا بحقيقة
القدر اذا حقت وجدت عذبته وهي كون الله سبحانه

لا يتفضل على عبده بالتوفيق العاصم من الهلاك وليس عليه سبحانه ذلك
بناء على أصلنا في أنه لا يجب عليه رعاية الأصلح لخلقه بل يتفضل به
تفضلا فالله سبحانه لا يلجئ أحدا إلى شيء لكن يخلي بينه وبين الشر
وفرق بين أنك تترك لخفير رجلا في الطريق فيقتل وبين أن يقطع
عليه الطريق فيقتله وبين أنك تراه يريد أن يلقي نفسه من جبل يريد
فلا تمنعه وبين أن تدفعه عنه فيقع فإن الأول ترك نفع وهو
عدم محض والثاني فعل ضرر محض ولهذا أجمع الفقهاء
على أن من أخذ شخصا فغطه في الماء حتى اختنق يقاد به وعلى
أن من رأى إنسانا في الماء قد كاد يغرق وقدر على تخليصه
فلم يخلصه حتى غرق لا يقتل لكن في ضمانه له بالدية خلاف
الأصح أيضا النفي وما ذاك إلا لما ذكرنا من الفرق وأصل هذه
المسألة إذا حققت رعاية الأصلح وقد أشرنا في سورة آل عمران
إلى حقيقة القدر حيث يقول الرب سبحانه لعصاة بني إسرائيل
كما لا يقدر الهندي أن يغير سواد جلده والنمر تبقيعه كذلك
إنهم لا يقدرون على الإحسان والخير لأنهم قد تعودوا الشر
وتقرير هذا أن الباري سبحانه ركز في طباع العالم
وجبلاتهم الميل إلى أفعالهم من خير وشر كما ركز الإحراق
في طبيعة النار والإغراق في طبيعة الماء وكما وضع السواد
في الحبش والتبقيع في النمر والهدهد والغراب الأبقع والسم
في الحية والظلم والافتراس في طبع السبع لكنه أجرى فعل
تلك الطبائع على حسب أهلها فعلى الكسب ترتب الجزاء
وعلى ركز الفعل في الطبع وتحريك الداعي له وهو خلقه
المنسوب إلى الله سبحانه ترتب التسليم والله بكل شيء عليم
وقد استقصيت القول في مسألة القدر في كتاب مفرد
سميته درء القول القبيح بالتحسين والتقبيح على وجه بليغ
واضح لمن عقل الأسرار الإلهية والله أعلم. وأما ما حكي
عن الزمخشري فهو صحيح لكنه أسرف في تغليظ العبارة
فإنا ننزه الله تعالى عن أن يعاقب على فعل الجاهلية لكننا
ثم نقول إن الزمخشري رجل معتزلي غال في الاعتزال

سماه درء القول القبيح بالتحسين والتقبيح

يحرف القرآن عن مواضعه لتوافق مذهبه واضطره ذلك فيما حكي
عنه السخاوي حتى حمل قوله تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا
على معنى أصبناه غافلا كما يقال أجبنت الرجل وأبخلته إذا
وجدته كذلك وتشبث فيه بما لا حاصل له على ما بينته عند
هاهنا وأضله الله على علم في سورة قوله واتخذ إلهه هواه وأضله
الله على علم الآية ونظائرها يعني هاهنا سؤال إذا ضيق على
القدرية فزعوا إليه وهو أن الله سبحانه إذ خلق الفعل
فإما أن يمكن العبد من تركه أو لا فإن الأول يفضي للترك حيث لم
يتم مراده والثاني إلجاء للعبد إذ لا يعني بالإلجاء إلا الاضطرار
إلى الفعل على وجه لا يمكنه التخلص منه فنقول إن الله سبحانه إنما
خلق أسباب الفعل ودواعيه أولا ثم حقيقة الفعل توجد
بكسب العبد مرتبة على تلك الأسباب والإلجاء لا نعرفه
إلا بالمباشرة كما مثلتم من ربط شخصا وألقاه من جبل ثم يوقع في ح
على السقوط إنما تم وقوع الفعل بفعل الأسباب والوسائط
فلا نراه إلجاء فإن سميتموه إلجاء فهو نزاع في عبارة ثم يلزمكم
أن لا يستحق على الطاعة ثواب لأن فاعلها ملجأ إليها والثواب
إنما هو لمن أطاع اختيارا وذلك لأن الطاعات مقترنة بكسب
الآدمي على أسبابها المخلوقة لله كما أن المعاصي كذلك والقدرية
يجعلون ثواب الطاعة مستحقا عليها ومعلولا لها ثم يقال
لهم هل يلزم من خلق الفعل والعقوبة عليه غير القبح والتجويز
ثم هو لازم على قولكم في خلق القدرة على الفعل فإن الله سبحانه
كلفها ويتسبب بها إلى إيقاع المعاصي من طرفه ولو لم يخلق لهم
قدرة عليها لم تقع منهم وأجمع العقلاء على أن التسبب إلى القبيح
قبيح وإذا لزم القبح على المذهبين لم يكن أحدهما أولى بالفساد
من الآخر ثم يرجع إلى نصوص الشرع وهي في طرفنا والله أعلم
قال نبذ من صحيح الحديث يفضي إلى ما نحن فيه يعني
من القدح في الصدق ذكر منها قوله عليه السلام إذا وضعت
الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت
قدموني وإن كانت غير صالحة قالت يا ويلها أين يذهبون بي

[illegible]

يسمع صوتها كل شيء الا الانسان ولو سمعه لصعق قال وهذا اثر
من ان يتكلم شاطرا به اذ كيف يكون لميت صوت يسمعه البهائم
والجمادات دون الانسان ولا يشترط المسموع ان يكون صوتها
خارجا يتموج به الهواء فيقرع صماخ الاذن فهل للبهائم
والجمادات اسماع فضلا عن ان تكون افضل فيها من الانسان
هذا حاصل ما قرر به هذا السؤال مع تشنيع ذكره
تشنيع قلت الجواب العام عن كل ما يرد من مثل ذلك في هذا الكتاب
انه من اخبار الآحاد التي توجب العمل لا العلم فلا يلتفت بها
اصلا ولا يقدح بها في اصل وانما يقدح في الشرائع ما ليس
بمثله الشرائع وقد قرر هذا في المقدمات وفي اخر شرط
الصدق بعد هذا ولكنا نتبرع بالجواب وجوابه من وجهين
احدهما ان الكلام في هذا وامثاله من الحكايات الالهية التي تقصر
العقول عن ادراكها فرع على ثبوت النبوة وتابع لها كمسئلة
القدر نحو الكلام ان يكون رتبة قبلها وانت فقد قدمت
من كلام ارسطو وغيره ان نسبة ادراكنا الى المبادي
الاولى كنسبة الخفاش الى ضوء الشمس ثم انك في الاعتراض
على هذه الاخبار تناقض ذلك فانت هناك متشرع جاحد
وهاهنا فيلسوف مجهول وحالك لا ينضبط [illegible] الثاني
ان العلماء يقولون في موسى انه لما ناجاه ربه امر الوحي فاخذ
على اسماع الناس ولولا ذلك لما تواروا صوته تعالى ونحن
عندنا ان الكلام والادراكات ليس من شرطها الادوات
بل يجوز ان يخلقها الله تعالى في الجمادات كما قال سبحانه وان
من شيء الا يسبح بحمده وهو عند المحققين على حقيقته التي تليق
بكل شيء بحسب قوته واستعداده وما يهيئه الله له فلذلك
يجوز ان ينطق الله تعالى الميت كما احيى الموتى لعيسى ويحجب
صوته عن الانسان لئلا يصير ايمانه بهذه الحكايات الغائبة
ضروريا فيبطل فائدة التكليف بالايمان بالغيب ويسمع
صوتها غير الانسان على حسب ما يليق بالاشياء لانها
ليست مكلفة فلا محذور وادراك ان الله سبحانه هو خالق
الذوات من حيوان ناطق وصامت وجماد فهو خالق.

صفاتها وادراكاتها وكما اخرج تلك القوى والادراكات من العدم
الى الوجود كذلك هو قادر على ان يقوي ضعفها ويضعف قوتها
حتى يبلغ مراده وهو بالغ امره فكلما نسب الى قدرة الله تعالى
من الممكنات لا ينبغي ان يصادم بالانكار خصوصا اذا اخبر
به اخبار اهل النواميس الدالة على صدق اصحابها وليس
في هذا وامثاله من الاستبعاد الا انه غير مدرك لنا
ولو ادركناه لزال الاستبعاد كما انا لو لم نشاهد عين
معجزات الانبياء كقلب العصى حية وتفجير الماء من الحجر
واخراج ناقة عظيمة من جبل واحياء الموتى ونحوه لما صدقت
به العقول بادي الراي الا بعد نظر دقيق واستدلال
وهكذا ما نحن فيه لما نظرنا فيه وقد اخبر بامكانه واما
وقوعه فيعتمد خبر الصادق وقد ثبت صدقه ويسمى ويجوز
ان يحمل قوله يسمع صوتها كل شيء الا الانسان على السماع
التقديري اي لو كان لهذه الاشياء سمع لسمعته ويكون
ذلك اخبارا بصياح الميت عن داع وحرقة يلتهبها
على اسفه وشدة ندمه يسقط به الحجاب كما قال الشاعر
في صفة الفرس [illegible] وشكا الي بعبرة وتحمحم وقال في صفة
الحوض امتلأ الحوض وقال قطني مهلا رويدا قد ملأت بطني
اي لو كان ممن يتكلم لقال ذلك وانتم تستبعدون هذا التقدير
لان لغتكم واذهانكم قلف لا يتكلم معصورة على ارادة الحقائق
وليس فيها توسع في المجاز على ان المجاز في كتب الانبياء
لشعيا وغيره كثير جدا وهو خفي بعيد حتى انه في بعض المواضع
[illegible] ومنها قوله صلى الله ان الميت
يعذب ببكاء اهله عليه وانكرت ذلك عائشة وقالت انما
قال ان الله ليزيد الكافر عذابا ببكاء اهله عليه قال
وهذا باطل لان الله تعالى لا يعذب احدا بفعل غيره
قلت هذا الاعتراض صحيح لكنه ليس على النبي صلى الله
عليه وسلم بل على الراوي الذي روى ذلك عنه كان هذا
الحكم على خلاف نص القرآن وهو قوله تعالى ولا تزر وازرة
وزر اخرى ومن المحال عادة ان يقرر نبي ناموسا وشريعة
يخالف ما يدعي انه انزل عليه بما يقوله وينسبه الى ذلك

إلى الغلط والوهم ممتنع عادة لأن هذا مما لا يخفى على عاقل فضلاً عن
ذي ناموس فالحاصل أن راوي هذا الحديث وهم في روايته
وقد صح عن عائشة أنها قالت وهل أبو عبد الرحمن يعني ابن
عمر إنما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوم يبكون على
يهودي أو يهودية فقال إنهم ليبكون عليها وإنها لتعذب
في قبرها فالبكاء والعذاب في هذا الحديث ليس بينهما ارتباط
سببي بل هو اتفاقي اتفق أن كان هؤلاء عليها صادف وقت تعذيبها
هذا على أن الحديث ابن عمر وجهاً صحيحاً في التأويل وهو أنه محمول
على من وصى أن يناح عليه أو علم أن أهله إنهم سينوحون عليه فلم ينههم
وكان ذلك عادة العرب فزجرهم عنها بهذا لأن النوح على الميت
يدل على التسخط بقضاء الله سبحانه فيكون الميت والحالة هذه
متسبباً إلى إيقاعه بوصيته به وإقراره عليه والعذاب
مرتب على السبب كما يرتب على المباشرة وقد قررت
هذا الحكم في القواعد (١) ومنها حديث عائشة أن يهودية
دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فسألت عائشة النبي عن
عذاب القبر فقال لهم عذاب القبر حق قالت عائشة
فما رأيت النبي بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر وذكر
حديث أنس في عذاب القبر وسؤال الملكين للميت وقد إلى
قوله في الكافر ويضرب بمطرقة ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة
يسمعها من يليه إلا الثقلين قال فما مثل هذا الحديث المصرح
بعذاب القبر وكيف استخف عليه هذه المضحكة من كلام
اليهودية مع عائشة وكيف يسمع صياح الميت من يليه إلا الثقلين
وكيف يسمع من لا يسمع ولا يسمع من يسمع وما حاجة من له أدنى مسكة
من تمييز إلى أن يبين له ما في هذا من الافتراء قلت
هذان الحديثان صحيحان وأجمعت الأمة المحمدية على إثبات
عذاب القبر إلا قليلاً منهم وهم بعض المعتزلة الموافقون
للنصارى في ذلك وفي القدر كما سبق ويلقى أهل السنة
المثل فضيلة أن كلام أعداء الإسلام إنما يتجه نحوهم وعلى
رأيهم وأن أهل البدع لا يتجه عليهم لموافقتهم أعداء الدين
فإن هذا العلج لما قدح في السنة إنما وجه تشنيعه إلى أهل الحق

قلت والجواب عن هذا من وجوه أحدها أنك لو ناظرت في هذا
معتزلياً لسلمه لك وخالفك في دعوى الإسلام فيكون قد أجابك
بالقول بالموجب فينقطع في هذا المقام ولنا أن نلتزم مذهبه
في جدالك لأنه على كل حال من فرق الإسلام وإن كان مسلماً لحسنا
فإنك أنت نصراني خبيث لا تكاد تثبت الشرائع وتارة توغل
في الفلسفة والتعطيل القائمين على الشواذ بالتعطيل
الثاني أن هذا الخلاف من فروع الشريعة ولهذا يذكره
الفقهاء في كتب الفقه عند ذكر منكر ونكير والتلقين
فهو تبع لمقصود الباب إن جوابه التفصيلي هو
جواب كلم الجنازة بعينه من حيث التوجيه ثم يحث عن كلماته
إلى إثباتها إذ به قوله فبه الله هذه المضحكة بكلام
يهودية قلنا هذه أضحوكة عند عقلك لأن الله سبحانه يريد
ضلالك حتى توقعك فيها وما سمعت السيد المسيح ثم إنه
لم يثبتها بقول يهودية بل بالوحي الصادق النازل على سنن
أخبار اليهودية والقرآن والوحي كان ينزل على أسباب
ووقائع تقتضيه وذلك عذاب القبر في القرآن نحو قوله
تعالى فإن له معيشة ضنكا سنعذبهم مرتين النار يعرضون
عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون
أشد العذاب (١) قوله كيف يسمع صياح الميت من
يليه إلا الثقلين قلنا كما وجهناه فيما سبق قوله كيف
يسمع من لا يسمع قلنا بخلق الله قوة السمع فيه قوله
وكيف لا يسمع من يسمع قلنا بخلق الحجاب المانع للسمع
عن سمعه كما سبق في مناجاة موسى قوله لا حاجة بمن
له أدنى تمييز إلى أن يبين له أن هذا افتراء قلنا أما
هذا فلا يشك عاقل أنه افتراء على الله ورسله وأول
جاهل يكون كذلك يوم القيامة المسيح على ذلك وأنت شخص
متحير مردد لا مسيحي ولا فيلسوف بل كما قال القائل
حدي بأسمك الحادي وباحت حمامة فلم أدر أي الداعيين
ومنها في كتاب الزكاة حديث ليس هو من صاحب
ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة

صحيحه له صفائح من نار فاحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه
وفي الحديث الآخر من اتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة
شجاعا اقرع ياخذ بلهزمته ثم يقول له انا مالك انا كنزك ثم تلا
ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله الاية وفي حديث
ابي ذر ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي حقها الا
بطح لها يوم القيامة بقاع قرقر تطؤه باخفافها وتنطحه بقرونها
حتى يقضي بين الناس وحديث ابي سعيد تكون الارض يوم القيامة
خبزة واحدة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فنظر النبي الينا
وضحك حتى بدت نواجذه ثم ذكر ان ادامهم بالام ونون
وهما ثور ونون يأكل من زائدة كبدهما سبعون الفا وحديث يحشر
الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين واثنان على بعير وثلاثة
على بعير واربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار
تقيل معهم حيث قالوا وتمسي معهم حيث امسوا وفيه
يقتص للشاة الجماء من القرناء والعود لم خدش العود وحديث
ابن عباس وعائشة يحشر الناس حفاة عراة غرلا وحديث
ابي هريرة اذا كان يوم القيامة دفع الله الى كل مسلم يهوديا او
نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار ثم قال فظاهر
هذه الاحاديث وما يشبهها من الاخبار ان مال الانسان الذي
يبخل به تصير صفائح من نار وتصير ايضا شجاعا اقرع وكيف
اخبر عن حشر الحشرات والبهائم والعيدان وان الله يقضي
بينهن وكيف يمشي الجمال والبقر على الناس وكيف يحشر الناس
على الجمال ثلاثة ثلاثة والجواب عن هذا وجوه
احدها ان هذا مما لا يستحيل امكانه وقد اخبر به الصادق
فيجب قبوله الثاني انه ليس عندك في امكانه الا كونه
لم تذكر في شكه ونحوه وقد قدمنا ان هذا استبعاد لك
الجهالة واعتماد على الضلالة ونحن عندنا ان محمدا صلى الله عليه
وسلم اصدق الانبياء واشرفهم فلا يسع ان يختص العلم بما لم
يعلموه على ان اصول دين الاسلام مشترك بين سائر الاديان
لقوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي
اوحينا اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى ان اقيموا

الدين ولا تتفرقوا فيه ولكن ذلك تبدل وتغير في كتبهم لتطاول العهد
واعتوار اللغات والالسنة عليه الثالث ان هذه الامور
الالهية التي اعترفت انت وحكيت عن ارسطو ان قوتنا بالنسبة
الى ادراكها كنسبة ابصار الخفافيش الى الشمس وان ادلة السمعيات نعرف
مثل ذلك فليس لك ان تعرف مقصود عقلك عن امر تعود
فسكرة نبا على ان عقلك لا يدركه بل ان اعترفت بان الشرائع
وردت بما يقصر عنه العقل البشري لزمك ان تسلم مثل
هذا اذ الخبر به صادق ولا يسع لك نزاع الا في صدقه وعلينا
بيانه وان انكرت ذلك فلست من اهل الشرائع حتى نتكلم معك
لان اهل الشرائع اجمعوا على خلافه الشرائع ان العالم
باسره لما انكر عليهم دعواهم ان الله هو المسيح وانه عبارة عن
ثلثة اقانيم الاب والابن وروح القدس اله واحد لجا بهم الى المحال
ذلك في قدرة الله مع ان دعواهم اذا حققت كانت باطلة قطعا
عند كل عاقل وتحليتم لاسانها بتشبيهه بالشمس المنجلية في
نفسها المشتملة على جرم وضوء وشعاع وبالنيرة المحماة المشتملة
مع وحدتها على حديد ونار وشرر وامثال هذه من الاشياء
التي لا حاصل لها واسرعهم الى ذلك مع انه مكابرة حسا
فنحن اولى ان نلجأ في هذه الامور الغائبة عنا الممكنة في نفسها
بلا طائل الى قدرة الله سبحانه اي مستبعد في هذه الاحاديث
ممكنة ومنها فوائد وحكم ومن اي شيء يعلم فيه حكمه وفائدته
وجب قبوله منه سواء كان او غيره ما لم يقم دليل على بطلانه
اما امكانها فظاهر واما فائدتها اما في حديث الصفائح
والشجاع الاقرع فتخويف الناس وحضهم على اداء حقوق
الفقراء من اموال الغير وفيها خوف بيد وهو تعذيبهم باخراج المال
المحبوب ووجه الجمع بينها اما بان يحمل على ان بعض
الناس يكوى بماله وبعضهم يمثل له شجاعا او بان يحمل الانسان
الواحد يكوى به تارة ويمثل له شجاعا اخرى ومعنى يمثل له شجاعا
ان الله سبحانه يرسل عليه حية تعاقبه بها على ترك الزكاة
وقوله انا مالك انا كنزك اي عقاب مالك وجزاء منعك حق كنزك
او ان الله يخلق من الذهب والفضة شكل حية ثم ينفخ فيها الروح

فنفعل ذلك فانه نفخ الروح في خشبة يد موسى فصارت حية تلقف
ما صنعوا واما بطيخ صاحب الانعام فلها حب بطاه وبطيخه وظاهر
الامكان وفايدته ما ذكر واما حديث بلوغ الارض خبزه فهو شي
قد اخبر به النبي ووافقه عليه حبر من احبار اليهود ولهذا فرح النبي
عليه السلم بموافقته لئلا يستبعد ذلك منه جلف فتلك ذلك
فاندلك على ان اليهود يجدون في التوراة فهي حجة عليك فان قلت
لم يجد هذا في التوراة عندنا الان ثم عوران اليهودي والحاصل
على ذلك او خاف من مخالفته لئلا يقتله قلت الجواب عن الاول
ان التوراة حرفت عما كان في ذلك العصر فلا يلزم من عدم
وجدانكم له عدمه حينئذ وعن الثاني بان اليهود كانوا يودون
على المسلمين ويهجونه ويصدقونه في شي ويكذبونه في اشيا
وما نقل عنه انه قتل منهم على ذلك احدا بل اما كان يقتلهم
في المحاربة ولو كان يقتل احدا منهم على شي من ذلك لقتل ابن صياد
لما قال له اتشهد اني رسول الله قال اشهد انك رسول الاميين قال
له ابن صياد اتشهد اني رسول الله فقال امنت بالله ورسله
فقال له عمر بن الخطاب دعني اقتله يا رسول الله وكانوا
يرون انه الدجال فقال لا انه ان يكن هو لم تسلط عليه وان لم
يكن هو فلا خير لك في قتله ۞ ولم يقتل لبيد بن الاعصم الذي سحره
حتى اضطرب حاله لسحره ثم لما ظهر عليه عفا عنه ولم يبلغه
التثريب ولسنتم من اليهود وعدّهم فعفا عنهم عن قدرة
واما حشر الناس على الابل والدواب واقتصاص بعضها من
بعض فحقا لاقامة العدل بين كل شي من خلقه والاخرة لا تقلب
الحقايق فجاز ركوب الناس من الدواب الان يركبونها هناك وهذا
بلوغ الارض لان الله سبحانه يطوي السموات والارض بيمينه
وتبدل الارض غير الارض ۞ واما حشر الناس حفاة عراة
فحقا لقوله تعالى كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا
واما كونه يدفع الى كل مسلم يهودي او نصراني يكون فداه
من النار فلان اليهود قتلوا الانبيا وكذبوهم وصلبوا
المسيح بعد ظهور الخوارق على يده والنصارى ادعوا الهيته
وانما هو نبي كريم فاولئك فرطوا فيه وهولاء افرطوا فيه

وكفرتم جميعا بمحمد بعد مجيئه بالبينات والهدى وما جزا من يفعل
ذلك الا النار وانا ارجو ان نلقاها العلج فداي من النار لما
حصل بيني وبينك من النظر والجدال في الله فبحث حسبان اختصموا في
ربهم ان شا الله تعالى ۞ ومنها حديث الشهدا احسنه المطعون
والمبطون والغريق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله
في سورة ال عمران ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا
بل احيا عند ربهم يرزقون وذكر في تفسير ابن عطية حديث
ان ارواح الشهدا على باب الجنة في اجواف طير خضر في اشيا
ما يتعلق بهذا قلت وذلك لا استحالة فيه فان الارواح
عندنا اجسام لطيفة فلا يمتنع ان يكرم الله الشهدا بان يجعلها
باشكال الطيور لتدوم نعمها في الغاية جزا على جودهم بانفسهم
في سبيل الله واما تسمية الشهدا فهم شهدا لتسميته اما باعتبار
ان لهم كاجر الشهدا في سبيل الله تفضلا او لان ملائكته شهدا
المعركة يشهدونهم في الذي يعطى له عنه على مقتضى حديث روي
في ذلك دون بقية الشهدا ۞ ومنها حديث المعراج
والبراق وما جرى فيه من العجايب وخلاف الناس في دخوله
بيت المقدس ام لا وان المعراج هل كان بشخصه ام بروحه
منا ما قلت حديث المعراج اجمع المسلمون على صحته
والمعتمد عليه منهم على انه كان بنز وخشية مناما مرة
ثم كان بشخصه يقظة اخرى وكان الاولى تمهيدا للثانية وانه
عليه السلم دخل بيت المقدس وحديث المعراج وما جرى فيه
من ما يجب تسليمه عن صاحب الشريعة اذ لا طريق اليه الا من
جهته كما كان يخبر موسى عما جرى له مع ربه على الطور وما اخبر
المسيح انه يصعد الى ابيه فيلوي على نفسه وانه في اخر الزمان
ياتي في بجدانه والاملاك حوله ۞ ومنها الايات
والاحاديث المتضمنة لذكر ان في الجنة ماكول ومشروب
ومنكوح وذكر من الاحاديث ما هو صحيح وباطل وانكر
ذلك واستعظمه بنا على شبه اجداهن ما نقل عن الانجيل
ان المسيح قال في العامة لا يتزوجون ولا ياكلون ولا يشربون
ولكنهم مثل ملائكة الله في السموات ۞ وذكر جماعة من الا

ابهج سالو الابتهاج بوجه الله تعالى ولا يكون بغيره * الثالثة ان الطعام
والشراب في الدنيا لضرورة بقاء الابدان لانها بدونهما يهلك
وهناك يصيرون كالملائكة لا يخشى عليهم الهلاك لانها دار السعادة
الكاملة * الثالثة ما ذكره ابو علي ابن سينا في الشفاء حيث تكلم
في البهجة والسعادة وحاصله ان اللذة ليست محصورة في الحسيات
بل الانسان قد يترك الحسيات ليحصل لذة العقلية ولو في
امر ما خسيس كالشطرنج او في تحصيل ذكر جميل بعد
لاجله الاخطار وليس ذلك الا ان اللذات العقلية فما ظنك بالعقلية
هذا حاصل ما ذكره في هذا السوال وان كان قد اسهب
فيه واطال * والجواب اما اللذات الحسية من مأكل
ومشرب ومنكح وكلما يشتهيه الانسان من اللذات الجملية
التي لا تعدي فيها فهو مجمع على حصوله في الاخرة من المسلمين واما
شبه هذا الخصم على بطلان ذلك اما الاولى فلا شك انهم نقلوا
في الانجيل عن المسيح ان الزنادقة المنكرين للقيامة سالوه
عن سبعة اخوة تزوجوا امراة واحدا بعد واحد ويموتون عنها
فلمن تكون في الاخرة فاجابهم بما ذكرها هنا وهو ان الناس
في الاخرة كالملائكة لا ياكلون ولا يتزوجون الا هذا نافيه في
الفصل التاسع والعشرين من انجيل متى ان المسيح قال لرجل
بع كل مالك واعطه للمساكين والذخيرة في السما فصعب على الرجل
فقال له بطرس ها نحن قد تركنا كل شي وتبعناك فقال يسوع
الحق اقول لكم انه ليس احد ترك بيوتا او اخوة او اخوات
او ابا او اما او امراة او بنين او حقلا لاجلي ولاجل بشارتي
الا وهو ياخذها بضعف الان في هذا الزمان منازل واخوة
واخوات وابا وام وبنين في الشدائد وفي الدهر الاتي
في الحياة المؤبدة او لون كثيرون يكونون اخرين واخرون
اولين * وهذا نص في ان الناس في نعيمهم في الاخرة هم
في الدنيا وصرح بذكر المراة وفائدتها النكاح والجماع
وفائدة الاكل وكذا قال في اخر الفصل التاسع والعشرين
من انجيل مرقس من ترك شيا لي اخذ اضعافه في الحياة
الدائمة وهو عام في كل ما ترك من الدنيا فيتناول المطعم

والمشروب والمنكح وهذا نص المسيح على خلاف ما ذكرتم عنه في جوابه
الزنادقة فاحد النصين كذب قطعا وحينئذ يسقط الوثوق بالانجيل
لوقوع الكذب فيه واما جوابه للزنادقة بما ذكرتم فالصحيح فهو
محمول على قيامة الموت لان قيامة كل احد موته لا يتناول منازل
القيامة فكانه يقول اذا مات الشخص يحشر ويحشر بدنه مكان
كالملائكة حتى يبعث جسده يوم القيامة فيعطى اضعاف ما ترك
لاجلي في الدنيا فحينئذ يصح هذا والا فالحكاية موضوعة مختلقة
ويدل على ذلك ان سوال الزنادقة له انما هو على جهة الايراد
على دينه والالزام له علما انكار البعث سوى البخل ولابد
لهم ذلك الا بعد علمهم بان من دين موسى والمسيح ثبوت النعيم
الحسي في الاخرة فجوابه لهم بما ذكرتم عنه يكون موافقة ومساعدة
لهم وقد استوفيت الكلام على ذلك في التعليق على الانجيل واما
سوال الشبهة الثانية الابتهاج بوجه الله سبحانه فلا ينفي ما بعده لجواز
ان يكون الابتهاج بالامرين اعني النظر الى وجه الله والتمتع باللذات
الحسية وهذا عين ما نقوله وقد سال النبي صلى الله عليه وسلم في
دعائه النعيم بالنظر الى وجه الله الكريم واجمع على جوازه ووجوبه
المسلمون وفي القران الكريم للذين احسنوا الحسنى وزيادة اجمع
المفسرون على ان المراد بالزيادة النظر الى وجه الله سبحانه
واما الثالثة فمبنية على التي قبلها وقد بطلت ثم لا نسلم ان
الطعام والشراب في الدنيا لضرورة بقاء الابدان على الاطلاق
لان ذلك انما يصح دعواه فيما يقيم الرمق ويحفظ البنية فاما ما
فما زاد على ذلك كانواع المآكل والمشارب من اللحوم والحلاوات
وانواع الاشربة وهذا ابن ترهب من النصارى والمسلمين يقتصر
على البلغة ويدع ما سواها فانما يتناول المسرف واذا كانت
الدنيا مع انها دار فنا وتفاد فيها هذا النعيم فالدار الاخرة
الباقية الدائمة المامونة من الزوال اولى بذلك ثم هب
ان الماكول والمشروب لضرورة بقاء البدن فما يقول في
النكاح مع ان البدن يبقى بدونه فهو من باب النعيم لا محالة
واما الثالثة فهي مبنية على راي ابي علي في ان المعاد
لا يكون الا روحانيا فلا يتصور اللذات الجسمية اذ شرط ادراكها

تعلق النفس بالبدن وحجته على ذلك ما حكاه الإمام فخر الدين في المباحث المشرقية أن البدن لو أعيد لكان إما أن يعاد في زمن ابتدائه أو في غيره فإن أعيد في زمن ابتدائه لزم اتحاد الزمنين مع ما بينهما من الفواصل الكثيرة والأزمنة المتعددة وهي محال وإن أعيد في غيره لم يكن المعاد هو عين المبتدأ. قلت وهذا وهم قبيح من مثل هذا الفاضل العلامة لأنه توهم أن الزمان داخل في حقيقة البدن أو أن اتحاد الزمن شرط في صحة الإعادة وليس كذلك ولا دليل عليه ومذهب المسلمين قاطبة القول بالمعاد البدني وإدراك اللذات الحسية والعقلية ولذلك منا شبهة حسنة وهي أن العالم العلوي يلبسه أهل عقل محض كالملائكة وشهوة محضة كالبهائم ومركب من الأمرين وهما الثقلان فالطرفان لا مشقة عليهم أما البهائم فلعدم التكليف وأما الملائكة فلعدم الشهوة المعارضة لعقولهم والثقلان واسطة عليها المشقة لتنازع العقل والشهوة في مرادهما فتتعب الإنسان بينهما فالمخلص منهما مخاصم ولا جرم أن الملائكة لما عبدوا الله بالعقل المجرد الخالي عن معارضة الشهوة دامت لهم اللذة العقلية والبهجة الروحانية والبهائم لما خلت عن عقل تعبد الله به تمتعت باللذات الحسية الشهوانية مدة بقائها في استعمال الملهمة لها ثم يوم القيامة تصير ترابا بعد أن يقتص لبعضها من بعض لأنه لا عبادة لها تستحق بها يوم القيامة لذة عقلية ولا حسية وعند مصيرها ترابا يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وبنو آدم لما تعبدوا فيما بين العقل والشهوة وجب بمقتضى هذه المناسبة أن يجمع لهم في الآخرة بين اللذتين العقلية بمقتضى العقل الذي عبدوا الله وعرفوه به والحسية بمقتضى الشهوة التي صبروا على خلافها في طاعة الله سبحانه وتوحيده وهذا معنى قوله تعالى وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا أي بما صبروا على الطاعات وعن الشهوات هذا آخر الجواب عما سئل عنه والله أعلم وسئل رحمه الله تعالى عما في سورة الأعراف إن ربكم

الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش وقال في سورة السجدة قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين إلى قوله فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها فمقتضى هذه الآية الثانية أن السموات والأرض خلقت في ثمانية أيام ألا ترى أنك لو قلت بنيت بيتا وأسسته في يومين وأحطته في أربعة أيام وسقفته في يومين لم يشك عاقل سمع قولك أن مدة إقامتك البيت بجملته ثمانية أيام ولهذا يلزم مجادلا أن يكون صادق الأخبار في الآية الأولى كاذبا في الثانية بالضرورة لا ذنبه وبالعكس وذلك مطلوب. قلت الجواب عن هذا أن السائل لا يأنف منها ولكن هذا الشخص لم يكن له معرفة بالقرآن ولا لغة العرب وتنزيل الألفاظ منازلها وجدير لمن يتكلم فيما لا يعلم أن يخطئ ويتلعثم وبيان ذلك أن القرآن مصرح في الأعراف ست مواضع أن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام فهذه نصوص لا تحتمل التأويل وهذه الآيات التي في سورة السجدة فيها نوع إجمال والمراد بها ما في تلك النصوص ولا بين ذلك إلا بالتأويل والتوفيق الكلي ومن قواعد الأصول ليس حمل المجمل على المبين والظاهر على النص والمطلق على المقيد والعام على الخاص وهذا المجمل أو محتمل نحمله على ذلك النص الصريح وبيانه أن اليومين المذكورين في قوله أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين داخلان في الأربعة المذكورة في قوله وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين والدليل على ذلك وجوه أحدها أن الله سبحانه يقول في سجدة الم وغيرها الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم ثبت بهذه الآية المتنازع فيها أنه خلق السموات في يومين بقي أنه خلق الأرض وما فيها من الجبال والشجر والبحار والأقوات وغيرها في أربعة أيام التي منها اليومان الأولان الوجه الثاني أن قوله في أربعة أيام إما أن يتعلق بتقدير الأقوات فقط أو به وبما قبله من خلق الأرض وجبالها والبركة فيها والأول باطل لأنه يلزم

ان يكون فعل ما قيل ذلك بلا ذي زمان وهو محال فتعين الثاني وهو ان ابعد
الايام مشغلة بجميع ما يقدم من قوله طو الارض الى قوله اقواتها
وعلى هذا اعتراض لا يخفى الوجه الثالث ان محمدا عليه السلام
لم يشك احد في حكمته وفصاحته ولهذا يستبد الاعداء الى انه انما
اقام ناموسه بالحكمة والسيف ومن يلحق في الحكمة في هذه
المرتبة لا يناقض ما صرح به في ستة مواضع بما يقوله في موضع
ولا يخفى عليه ذلك فدل هذا على انه اراد بثماني هذه الايه
ما في تلك الايات وذلك انما يصح بجعل اليومين الاولين داخلين
في الاربعة الثانية ونظير هذا كما لو قلت سرت من القاهرة
الى بيت المقدس في عشرة ايام والى دمشق في عشرين ان
العشرة داخلة في العشرين اما ما ذكره من ان قول القائل
سرت ستا فاستقام ستة يومين واقت حيط بها في اربعة ايام
وسبعة في يومين يفيد ان الجملة ثمانية ايام فجوابه ان فرضك
لهذه الصورة مع تقدير تقدم النص القائل بانه اقام جملة
السير ستة ايام او مع عدم تقدير ذلك فان قلت مع تقدير
تقدم النص المذكور فان تسلمنا ولا نسلم استفادة ثمانية
ايام من القول المذكور بل ستة فالمنصوص ويكون ذلك النص
قرينة في هذا التاويل اعني حمل الثمانية الظاهرة على الستة
المنصوصة وان قلت مع عدم النص فليس ذلك مثل مسئلتنا
اذ لا نص معنا يكون قرينة تحمل بها الظاهر عليه وحينئذ لا يلزم
ما ذكره من كذب احدى الايتين ولا يحصل له مطلوبه
ومنها ما رواه مالك في موطاه بسنده الى ابي بكر
في كتاب الجنائز قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما دفن نبي قط الا في مكانه الذي توفي فيه فحفر له فيه
قال وهذا افترا وقول باطل فان يعقوب توفي بمصر
وحمل الى مغارة ابيه ابرهيم فدفن بها وكذلك ابرهيم
واسحق دفنا هناك ولم يدفنا في محلهما من دارهما وكذلك
داود وسليمن في غيرها من الانبيا ماتوا باماكن ودفنوا
في غيرها وبالجملة ما دفن من الانبيا في مكانه الذي توفي فيه

فضلا عن ان يكونوا اجمعوا ودفنوا حيث ماتوا قلت الجواب عن هذا
من وجوه احدها ان ما ذكره من دفن يعقوب في غير موضع موته
ماثور عن التوراة والتوراة فيها التحريف والزيادة والنقص
ما يمنع الوثوق بها لا سيما الثاني انه ذكر في التوراة
ان يعقوب توفي بمصر فبكى عليه سبعين يوما ولو بقي ذلك القدر غير
مدفون لانتن واراح اذ هو بشر على كل حال وذلك اهانة
للميت ولهذا جاء في الشرع ان من اكرام الميت ان يبادر بدفنه
فدل على انهم دفنوه حتى انقضت مناحتهم ثم استخرجوه فنقلوه
الى ابائه وحينئذ لا يكون نقله منافيا لدفنه حيث مات فان قيل
لعلهم صبروه حتى مكث تلك المدة ولم يحتج الى دفن قلنا هذا لم
ينقل في التوراة ولا غيرها ولا تجد احتمالا له لا يلتفت في التصديق
به وما ذكره من تحنيطه لا يدل على تصبيره اذ كل الموتى
يحنطون عند الامكان الثالث انك ناف ونحن مثبتون
والاثبات مقدم على النفي اذا استوى المخبران فكيف والمخبر بالاثبات
ذو ناموس عظيم وانت فيلسوف علج الرابع وهو المختار
عندي في الجواب منع صحة الحديث فاني فتشت عنه في كتاب
الجنائز من الموطا فلم اجده ولم اعلم احدا رواه الا احمد بن
عبد الرزاق الا ان ابن جريج قال اخبرني ابي ان اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم لم يدروا اين يقبروه حتى قال ابو بكر سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لم يقبر نبي الا حيث يموت فاخروا فراشه
وحفروا له تحته قلت وفي هذا الحديث جهالة
وارسال لان ابا ابن جريج لا نعلم حاله في الرواية وقد
ارسله عن الصحابة ولا نعلم هل سمعه منهم او من غيرهم
وهاتان علتان لا يبنى على ما كان بهما في الحديث فرع فضلا
عن ان يلزم تسليمه والجواب عنه فيما يقدح في اصل
الشريعة وروا ابن هشام في السيرة من وجه لا يسلم
ايضا وروى الترمذي من حديث عايشة قالت لما قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم اختلفوا في دفنه فقال ابو بكر سمعت
من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ما نسيته قال ما
قبض الله نبيا الا في الموضع الذي يحب ان يدفن فيه ادفنوه

في موضع وقد اسنده وهو حديث غريب وفي اسناده عبد الرحمن
ابن ابي بكر الملكي وهو ضعيف لكن وقد روى ابن ملة في اماليه
والسهيلي في الروض ان النبي صلى الله عليه وسلم لما مات قالوا
له كيف نصلي عليك قال اذا وضعتموني على سريري في
بيتي فاخرجوا عني فان الملائكة تصلي علي اولا وساق الحديث
فمع هذا النص كيف يكون الخلاف في موضع دفنه فهذا مما يدل
على ضعف ذلك الحديث قلت ومن هذا القبيل
الاخبار عما يستقبل ما اخرجه مسلم عن ابي سعيد عنه قال
لا ياتي مائة سنة وعلى الارض نفس منفوسة وهذا انما ظهر
للعيان وهالحين على وجه الارض اثر العالم في ذلك الزمان
وقد انت المائة سنة الى ذكرو بعدها مئون قلت
فهذا جهل بمراد هذا الحديث واما المراد به ما يبين اخرجه
ابي سعيد عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما على
الارض نفس منفوسة يعني اليوم ياتي عليها مائة سنة رواه
مسلم والترمذي وعن ابن عمر قال صلى بنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذات ليلة صلوة العشاء في اخر حياته فلما سلم
قال ارايتكم ليلتكم هذه على راس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو
على ظهر الارض احد قال ابن عمر فوهل الناس في الناس
يتحدثون بهذه الاحاديث عن مائة سنة وانما قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض احد
يريد ان ينخرم ذلك القرن اخرجاه في الصحيحين
ورواه ابو داود والنسائي والترمذي وقال حديث
حسن صحيح وحديث ابي سعيد ان لم يكن فيه هذا التقييد فهو
محمول عليه بهذين النصين قال العلماء وفائدته اخبارهم
بذلك ان يبادروا الى العمل ويغتنموا مدة المهل ولعمري
ان هذا النص الى معنى ورد في سوء فهم لهذا الحديث
اذ كان بعض الصحابة وهم فيه ثم العجب ممن يعم هذا الحديث
غير ما ذكرناه مع انه عليه السلام وعد باشياء لم توجد الى قيام
الساعة كالدجال وياجوج وماجوج ونحوها من نفخ الصعق والقواطع الدالة
على بقاء العالم لكن الوهم لم يسقط عن احد والله اعلم قال

46

في باب الطلاق وفي البخاري عن سهل بن سعد الساعدي قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين مشيرا بالسبابة
والوسطى وفي باب قرب الساعة من البخاري ومسلم عن عائشة
ان رجالا من الاعراب كانوا ياتون النبي فيسالونه عن الساعة
فكان ينظر الى اصغرهم فيقول ان يعش هذا لا يدركه الهرم
حتى تقوم عليكم ساعتكم قلت اما الحديث الاول
فصحيح المعنى اذ معناه انه بعث في ايام قيام الساعة لان البعد
والقرب اضافيان فقد يكون الشيء قريبا بالنسبة الى البعد منه
بعيدا بالنسبة الى اقرب منه والتفاوت بين الوسطى والسبابة
نحو سبعها تقريبا ومن بعث ادم الى حينئذ نحو سبعة
الاف سنة على خلاف في ذلك ومن عهد النبوة الى الان قريب
من الف سنة فهذا تقريب صحيح ووقت القدح في هذا الحديث
لم يات بعد كان تمادى العالم نحو الف او الفي سنة اخرى
فقد يجد للقادح ان يقدح او يبحث عن جواب اخر واما الحديث
الاخر فصحيح ايضا والمراد بقيام ساعتهم فيه موتهم لان من
مات فقد قامت قيامته لانه يصير الى اوائل احوال القيامة
اذ القبر اول منازل الاخرة ثم هذا معارض بما في اخر العقيلي
الرابع والعشرين من الجمل مرفوعا والتاسع والعشرين من
الجمل موقوفا حيث يقول المسيح ان هاهنا قوما من العالم
يموتون حتى تعاينوا ملكوت الله ومراده بملكوت الرب
القيامة في سائر المواضع من الانجيل ولا يصح حمل ملكوت
الله هاهنا على الايات والمعجزات لانهم كانوا قد عاينوها
قلت وفي تفسير ابن عطية لسورة القمر قال ابن خطب
رسول الله وقد كادت الشمس تغيب فقال ما بقي من الدنيا
فيما مضى الا كمثل ما بقي من هذا اليوم فيما مضى وقال اني لارجوا
ان يؤخر الله امتي نصف يوم قلت هذا حديث لا اصل
في الرواية لكنا لا نعلم صحته لغيره لكن قد رواه النسائي
وابن ماجه والترمذي وحسنه فلا يلزمنا الجواب عنه
لما في الاحاديث الابعد في الرواية كما يدب البخاري ومسلم
لا يلزمنا الجواب عنها في هذا المقام لانها احاد والاحاد
غايتها ان يثبت بها احكام الفروع لا ان يورد نقضا على اصول

Margin notes (left page): به · نسبه · نحو · سبعها

الشرائع ولهذا قال اكثر طوائف المسلمين لا يثبت باخبار الاحاد
صفة لله ولا مسائل الاصول القطعية لانها لا تفيد القطع واما
نحن فقد شرعنا بالجواب عن تفاصيل هذه الاحاديث تبرعا
وهذه فائدة نافعة في هذا الباب وقد سبقت في اول الكتاب
ثم ان شرعنا بالجواب عن هذا فانا شرعنا فيه عن غير ضرورة فمعنى قوله
ما بقي من الدنيا فيما مضى الا كمثل ما بقي من هذا اليوم فيما
مضى هو قريب من قوله بعثت انا والساعة كهاتين والمعنى
الجامع من الحديث تقليل ما بقي من الدنيا بالاضافة الى ما مضى
منها وهذا صحيح فانه عليه السلام اخبر بجملة من اشراط الساعة
وقد ظهر كثير منها فما عادت تتاخر ولو عاش هذا الحصر
لا يصح واما قوله واني لارجو ان يؤخر الله امتي نصف
يوم فالمراد باليوم من ايام الاخرة وهو الف سنة لقوله تعالى
وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ولا شك ان علم
وقت الساعة من كنوز الغيب الذي استبد الله بعلمه
لقوله ان الله عنده علم الساعة وقوله قل انما علمها عند
ربي لا يجليها لوقتها الا هو فالنبي صلى الله عليه وسلم ما كان يعلم
عن وقت الساعة لانا لم نعتقد الهانا اعتقاد اليهود
المسيح بل هو رسول نعم يعلم ما اعلمه الله سبحانه كما قال
عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول
فكان يعلم امارات الساعة وقد اخبر بها ووقع بعضها ولكن
سيظهر الباقي لا عن وقتها ولذلك قال اني لارجو ان يؤخر
الله امتي نصف يوم يعني خمسمائة وها قد اعطاه الله رجاه
وزيادة فهذا اليوم تسعمائة سنة وبضع سنين في هذا الزمان
فتراخى قال [illegible] الطب البخاري عن عائشة
قالت سمعت النبي يقول ان هذه الحبة السوداء شفاء
من كل داء الا السام قلت هذا الحديث صحيح متفق
عليه وفي لفظ البخاري عن ابن ابي عتيق قال عليكم بهذه الحبة
السوداء فخذوا منها خمسا او سبعا فاسحقوها ثم اقطروها
في انفه وفي المنخر بقطرات زيت وبها هذا الحديث
وبهذا الكتاب قال عن عائشة حدثتني انها سمعت النبي صلى
الله عليه وسلم يقول الحديث اه وعن قتادة قال حدثت

ان ابا هريرة قال الشونيز دواء من كل داء الا السام قال قتادة يأخذ
كل يوم احدى وعشرين حبة فيجعلهن في خرقة فلينقعه فليسعط به
كل يوم في منخره الايمن قطرتين وفي الايسر قطرة والثاني
في الايسر قطرتين وفي الايمن قطرة والثالث في الايمن قطرتين وفي
الايسر قطرة اه قلت فالظاهر ان هذا عن توقيف فلا
ينبغي ان يقدح في هذا الخبر حتى يجرب على هذه الصفة فان صح فقد
حصل المقصود وان لم يصح امكن الجواب من وجوه احدها ان اثر
الشيء قد يتخلف لمانع فربما يتخلف اثر الشونيز لعدم خلوص نية
المستشفي به في تلقي خبر الشارع ولا شك ان الشارع لم يبعث
طبائعيا ولا طبيبا وانما يصف ما يصف من هذا على جهة التبرك
باختياره فيصير كالدعاء عند الله امرها وقد صح عنه انه قال
ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة فان الله لا يستجيب
دعاء من قلب غافل لاه او لغير ذلك من الموانع الثاني
حمل الخبر على القصد بما اذا كان المعالج به النبي صلى الله عليه وسلم
كرامة له واعجازا الثالث نفسه بما اذا كان مع
ادوية خاصة مركبا خاصا او في زمن خاص او في مزاج خاص
وليس هذا باول لفظ قيد من الفاظ الانبياء فان الاطلاقات
في كلامهم كثيرة والعلماء يقيدونها ثم ماذا ينكر من الخبر وقد
ذكر الاطباء للشونيز منافع كثيرة قال ابن جزلة في المنهاج
الشونيز حار يابس في الثالثة مقطع للبلغم جلاء محلل للرياح
والنفخ ويقطع الثاليل والكلف والبهق والبرص والجرب
وينفع من الزكام البارد وخصوصا مقلوا مجموعا في خرقة
[illegible] ويطلى به جبهة من به صداع بارد وينفع السدد
والسعوط به ينفع ابتداء الماء وشربه ينفع من انتصاب النفس
ويقتل الديدان ولو طلي على السرة ويدر الحيض والبول
والعسل للحصاة ويحل الحميات البلغمية والسوداوية
ودخانه يطرد الهوام وهو ينفع من لسع الرتيلا وقدر
ما يؤخذ منه الى درهم وذكر غيره له غير ذلك من المنافع
ثم انه اذا كان يطرد لسع الرتيلا فانما هو منصوص الخبر
منه معقول وذلك لانه يتملك طبع الحياة وهو الحرارة
فهذا اصل يبنى عليه ثم المرض ينقسم باقسام العناصر

الا ان بعد — لمعاينة دهي معجزة وقد تقرر ان العلاج مع الشيء بضده
فان كان المرض باردا رطبا فالشونيز مضاد له فيصلح دواء له
وان كان باردا يابسا فقد تضاد في الحرارة واشترك معه في اليبوسة
يعدل بالمرطبات ولذلك ان كان المرض حارا رطبا او يابسا
تضادا في الحرارة وما اشترك فيه يعدل على ما شرحته الصناعة
وبهذا التقرير يصح ان فيه دواء لكل داء اغنى ان يقال فعلى هذا
بطل فائدة التخصيص بالشونيز لان هذا صحيح في كل حار يابس او رطب
فيقال يجوز انه خصه بالذكر لما اختص به من خواص لا يشاركه
فيها او لانه اعم وجودا عندهم او ان هذا ولا يلوح على
اسفا الحكم بغيره ولــــ واذ قد فرغنا من امتحان
الشرط الاول وهو الصدق وحصلنا من ذلك على ما الفتح وظهر
فلندخل الى امتحان الشرط الثاني وهو الطهارة فنامل ما
صح عنه في ذلك ولـــــ قوله وحصلنا من ذلك على
الفتح وظهر يوهم انه حصل على مطلوب ولم يحصل مع ما
احتجنا به على شيء فليجمع خاطره ولــــ من ذلك حديث
البخاري عن انس قال كان النبي يدور على نسائه في الساعة
الواحدة من الليل والنهار وهن احدى عشرة قيل له وكان
يطيقه قال كنا نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين ثم ساق احاديث
عشرة النبي عليه السلام لنسائه واستمتاعه بهن نحو ما روت
عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبلها وهو صائم ويمص
لسانها وقولها خالط ريقي ريقه في اخر ايام الدنيا وكان
يامرني وانا حائض فاتزر ويباشرني وقصة تزوجه زينب
وقوله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها وقول
عائشة حين نزلت ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء
ما ارى ربك الا يسارع في هواك وما ذكره المسلمون
من ان خصائصه انه كان اذا وقع بصره على امراة ورغب
فيها وجب على الزوج طلاقها وانه لما راى زينب حاسرة
قال سبحان مقلب القلوب وان صفية صارت لدحية
فوصفت لرسول الله فبعث الى دحية فاعطاه ما اراد
ثم اخذها فقال لام انس اصلحيها وذكر السبب في قوله
تعالى لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك
واشباه هذا ولم يذكر في هذا الشرط شيئا بناء على ما
قدم في اول الباب من كلام موسى عبد الله وعلاوة ان حاشيته

النكاح عار فهذه مقدمة ثم اثبت هنا ان محمدا كان مولعا بحاشية
النكاح فانتظم له الدليل فصار ذو الفقه يقرره هكذا محمد كان مولعا
بحاشية النكاح وحاشية النكاح عار فمحمد كان مولعا بالعار ومن
كان مولعا بالعار لا يكون طاهرا والنبي شرطه ان يكون طاهرا فمحمد
ليس بطاهر فلا يصلح ان يكون نبيا والجواب عن هذا قد سبق
اول الكتاب تاما فلا نكرره هنا ووجه بطلان مقدمته وذلك
بمنع ان حاشية النكاح عار بل هو من احسن الافعال واجل القرب
لان فيه مصالح عظيمة احداها وجودية وهي اقامة النوع
الانساني بتكثير العباد والعبّاد والثانية عدمية وهي
اعدام الزنا بالاكتفاء بالحلال ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم
لاصحابه في فعل كذا صدقة وفي كذا صدقة وفي بضع احدكم
صدقة فقالوا يا رسول الله ايأتي احدنا شهوته ثم يثاب
قال ارايتم لو وضعها في حرام اكان يعاقب قالوا نعم قال
فكذلك ثم نقول ان كان هذا عارا فالانبيا المتقدمون
اولى به فقد كان لسليمان الف من زوجة وسرية وطاف
في ليلة واحدة على سبعين امراة وكانت له امراة يحبها
فعبدت صورة ابيها في داره بغير علمه فعاقبه الله عن ذلك
بان نزع عنه الملك اربعين يوما وكان لداود تسع وتسعون
امراة ثم صعد يوما السطح فراى امراة اوريا بن حنان
تغتسل وكان من فرسانه وقواده فارسله فشدد عليه
في الجهاد حتى قتل ثم تزوج امراته فكانت هي ام سليمان وكانت
تلك خطيئته ومحمد عليه السلام انما احل امراة من زوجها
باجازته باذن الله وفي التوراة ان ابراهيم اشرف يوما
على اسحق وهو يلاعب امراته رفقا وان لوطا اسكرته ابنتاه
حتى احبلهما وان روبيل بن يعقوب وطئ سرية ابيه ونجس
فراشه وان يهوذا بن يعقوب زنى بكنته على الطريق ورهنها
عمامته وخاتمه وقضيبه على اجرة يعطيها اياه فاي العارين
اشد ان ينكح النسا حلالا ام من يلحق زنا على انبيا لا نصدق
هذا في الانبيا بل هو عندنا محرف مبدل فلا يلزمكم
لانه في التوراة وانتم تحتجون علينا بها ثم انا نقول لهذا
النصراني ان اول من نكح النسا ادم ثم تتابع بنوه في النكاح
الانبيا والاوليا والصالحون والطالحون فليت شعري هذا

عارًا في حق بعضهم دون بعض وهل هذا الا عناد ولاجل هذا السؤال
الفاسد انزل الله على نبيه عليه السلم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك
وجعلنا لهم ازواجا وذرية ولعلك حسبت ان المسيح لم ينكح النسا
تلزم العار جميع الانبيا وذلك لا يلزم فان المسيح على رايك
ان هو الله او ابن الله فلا يجوز عليه النكاح وعلى راينا ان ذلك
كان منه زهدا وعزوفا عن الدنيا ولو تزوج واولد لكان اكمل له
وعلى راي بعض الناس انه كان حصورا كيحيى زكريا لا يقدر على اتيان
النسا وعلى راي اخرين ان ذلك كان رايه لانه كان وجوده لا على
بشرية فالزامك على طريق المسيح ما يعود بالقدح على النوع
الانساني على الاطلاق لا يجوز ولا يسمع منه قال ـــ الشرط
الثالث الاعجاز ولم يات محمد بمعجز ولا خارق من خوارق العادة
قال ـــ والدليل على ذلك ما جا في كتاب السير ان اشراف
قريش اجتمعوا عند الكعبة فقالوا يا محمد ما ادخل احد على قومه
ما ادخلت علينا لقد شتمت الابا وعبت الدين وسببت الالهة
فان كنت تريد السيادة سودناك او المال اغنيناك
او كان بك جنون بذلنا اموالنا وابراناك فقال لا شي من
ذلك كله بل الله ارسلني اليكم بشيرا ونذيرا قالوا فان
لست غير قابل ما عرضناه عليك فقد علمت انه ليس احد
من الناس اضيق بلادا منا ولا اشد عيشا فسل ربك الذي
بعثك فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا وليبسط
لنا بلادنا وليخرق فيها انهارا كانهار الشام والعراق
وليبعث لنا من مضى من ابائنا وليكن فيمن يبعث قصي بن كلاب فانه
كان شيخ صدق فنسالهم عما تقول فان صدقوك وصنعت ما
سالناك صدقناك وعرفنا منزلتك من الله وانك رسوله
فقال لهم ما بهذا بعثت اليكم انما جيتكم من الله بالذي بعثني به
قالوا فسل ربك ان يبعث معك ملكا يصدقك فيما تقول
ويراجعنا عنك وسله فليجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا
من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي بالاسواق وتلتمس
المعاش كما نلتمسه قال ما انا بفاعل ولا انا بالذي يسال هذا
وما بعثت اليكم بهذا ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا قالوا فاسقط
السما علينا كسفا وقالوا [illegible] من مقالهم الى ان قالوا

افما علم ربك انا سنسالك عما سالناك عنه فيعلمك بما تراجعنا به
ويخبرك بما هو صانع بنا اذ لم نقبل منك ما جئتنا به وقد بلغنا انه
انما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن وانا والله لا نؤمن بالرحمن
ابدا فانصرف محمد حزينا الى اهله قال ـــ افلا ترى كيف سالوه
عن جملة معجزات فلم يات بواحدة فظهر انه انما كان يعلمه
القرآن الرحمن الذي ذكروه لا غيره قلت ـــ اما
قوله ان محمدا لم يات بمعجز فسنذكر من معجزاته ما يكفي بعضه العاقل
واما ما ذكره من انه لم يجب قريشا الى ما سالوه من المعجزات
فجوابه من اربعة اوجه احدها انه علم انهم معاندون
وانه لو اتاهم بذلك لم يؤمنوا والدليل على ذلك في كلامهم فانهم قالوا
له ازل عنا هذه الجبال وخرق لنا الانهار في ارضنا
ووسعها علينا وابعث لنا اباءنا نسمع قصي فان صدقوك وصنعت
ما سالناك صدقناك فعلقوا تصديقهم له على شرط ازالة الجبال
ونحوها وتصديق الموتى له ولم يكتفوا باحد الشرطين ولا شك
ان من له نية في متابعة الحق يكفيه بعض ذلك فان بعد تصديق
الموتى له بسا ذلك لا يبقى الا العناد فلما علم عنادهم لم يجبهم
الى ذلك ولهذا اوحى الله اليه ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شي قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا
ان يشا الله وكذلك كان فانه لم يؤمن من قريش الا يسير
في اول الامر الوجه الثاني انه علم باستقرا احوال
الامم الخالية مع انبيائهم انه ان عاجلهم باظهار الايات مع
ما علمه منهم من العناد انهم يهلكون كما هلك قوم فرعون بعد اظهار
موسى اياته وعاد وثمود وغيرهم وكما مسخ قوم من قوم المسيح
خنازير لما لم يؤمنوا بعد نزول المايدة ونحو ذلك فاراد
التمادي بهم رجا ان يفيئوا الى الحق وقد جا في الحديث انه عليه
السلام قال خيرت بين ان يجعل الله لي الصفا ذهبا ثم ان
لم يؤمنوا هلكوا وبين ان ينظروا حتى ادعوهم الى الاسلام فاخترت
ان ينظروا ومعنى الحديث هذا فهو عليه السلم كان حريصا
على اسلامهم لا على تعجيل هلاكهم ولهذا قال الله سبحانه
وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون واتينا
ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالايات الا تخويفا

رحمن اليمامة

أي الآيات كذب بها الأولون فأهلكناهم وأنت استأنيت بقومك فاجتباك
إلى ذلك ولهذا لما أتاهم بعد ذلك بالخوارق كانشقاق القمر وتسليم
الشجر وعجزوا عن معارضة القرآن ولم يؤمنوا جاءهم العذاب
فاستؤصلوا بالسيف يوم بدر وغيره ⊙ الوجه الثالث
أنهم سألوه ما يسقط فائدة التكليف بالإيمان بالغيب وبيانه أنهم
سألوه إحياء الموتى فلو بعثهم لهم لأخبروهم بصدق ما وعدهم من ثواب
وعقاب وجنة ونار فكان يحصل لهم بذلك العلم الضروري
بما هناك فيصير إيمانهم كإيمان فرعون لما عاين الملك لقبض روحه
قال آمنت فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا والمقصود
إنما هو الإيمان الاختياري لا الضروري وما يفضي إلى سقوط
فائدة التكليف لا يجوز الإجابة إليه ولذلك إنزال الملك
عليهم يسقط فائدة التكليف ⊙ الرابع المعارضة بما في الفصل
الحادي والعشرين من إنجيل مرقس أنهم سألوا المسيح آية
فلم يأت بها والجواب مشترك ⊙ وهذا يدل على جهلهم وعنادهم
في سؤالهم له أنهم أنكروا عليه فقره وابتغاءه الرزق بالأسواق
وقالوا قل لربك يجعل لك جنانًا وقصورًا وكنوزًا من ذهب
تغنيك عن ذلك وهل في ابتغاء الرزق عيب عند أحد من العقلاء
وقد كان الأنبياء يبتغونه بالصنائع العمل وغيرها وهل علم
حال أحد من الأنبياء أن الله جعل له جنانًا وقصورًا وكنوزًا
من ذهب إنما يفعل ذلك بالفراعنة ليطغيهم كقارون وفرعون
وهامان ونظرائهم ولذلك عاب الله عليهم قولهم حيث قال
وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعًا إلى أن قال قوله
قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرًا رسولًا ثم قال تبارك
الذي إن شاء جعل لك خيرًا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار
ويجعل لك قصورًا بل كذبوا بالساعة ⊙ وأما قولهم
أما علم ربك أنا سنسألك عما سألناك فيخبرك بما نراجعك
به وبما نفعل بنا إذ لم نقبل منك فإنما نقول الذي راجعهم
به هو الذي أمره به إذ كان لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي
يوحى وقد كان يتوعدهم بما سيجري لهم كقوله ولتعلمن نبأه
بعد حين وقوله إن أنا إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد

ونحو ذلك كثير وقولهم وقوله إنما يخبره بذلك ويعلمه رحمان اليمامة
الجواب عنه من وجوه أحدها أنه لم يصح لنا عن محمد صلى
الله عليه وسلم أنه دخل اليمامة ليجتمع برحمانها ولا جالس أحدًا من
علماء الأولين ولا الكهان بمكة ولا غيرها فهذا الكذب منهم وافترا
وإنما هذا منهم كان على جهة الاستهزاء لما قال لهم اسجدوا للرحمن
يعني الله قالوا لا نعرف الرحمن إلا رحمان اليمامة أنسجد له كما أنه لما توعدهم
بالزقوم قال لهم أبو جهل أتدرون ما الزقوم الذي يتوعدكم
به محمد إنما هو الزبد بالعسل أما والله لئن رأيناه لنتزقمنه



تزقمًا ولذلك يقول الله له ولذلك نصرف الآيات
وليقولوا درست وقال وما كنت تتلو من قبله من كتاب
ولا تخطه بيمينك إذًا لارتاب المبطلون ⊙ الثاني أن محمدًا
صلى الله عليه وسلم كان أميًا لا يكتب نشأ لا أب له مستضعفًا
بين قريش وجبابرتها فكيف يخصه رحمان اليمامة دون غيره
من أصحاب الكتابة والقوة ⊙ الثالث أن الذي نسبته إلى
التعليم رحمان اليمامة إنما هم نفر يسير من قريش جبابرتها
وجهالها على ما ظهر من حيرتهم وجهلهم في سؤالهم فكيف
هاولا نعلم ذلك دون بقية سائر العرب الذين اتبعوه من
سائر القبائل كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم مع أن المسيح
يقول في الإنجيل ما من خفي إلا سيظهر ولا مكتوم إلا سيعلن
فلو علم بقية العرب ذلك وصح عندهم لما تابعوه ولكانوا مع
الذين خالفوه وهذا مما تتوفر الدواعي على نقله وظهوره فاختصاص
نفر يسير به دون سائر العرب محال عادة ⊙ الرابع
أن علماء العرب وعقلاءهم كانوا يصدقونه في دعواه كورقة
ابن نوفل وأبي طالب حيث يقول ⊙
وعرضت دينًا لا محالة أنه من خير أديان البرية دينا ⊙
إلى أن قال ولقد صدقت وكنت ثم أمينا ⊙ ورأى ابنه
عليًا يصلي مع رسول الله فقال يا بني ما هذا قال علمنيه محمد
فقال يا بني اتبع ابن عمك فإنه لا يرشدك إلا إلى خير وإنما
منع أبا طالب من الإسلام ما ذكره في شعره حيث يقول ⊙
لولا الملامة أو حذاري سبة لوجدتني سمحًا بذاك مبينا ⊙

وكذلك عمرو بن نفيل من الكهان الذين بشروا بنبوته سطيح وشق
وخطر فاهن ذكره الاباربكرى في تفسير قوله الا من استرق السمع
وذكر له حكاية عجيبة من الرهبان بحيرا وسلمان واصحابه
وغيرها وكم لبيرا الخامس ان رحمان اليمامة ان كان عالما
بمثل هذا العلم العزيز كيف لم يدع به النبوة ويستغني عن واسطة
غيره مع ان مثل منصب النبوة مما لا يوثر به احد غيره ويجهد
ان لا يدعه يستقر لغيره لما علم من حب النفوس للرياسة
وقد كان امية بن ابي الصلت يطمع في النبوة فلما لم يحصل له مات
غيظا وحسدا ولم يتابع محمدا على ان المعروف ان رحمان اليمامة
هو مسيلمة وقد اظهر الله فضيحته يوم الحديقة فقتل ولما
رهقته السيوف قال له اصحابه اين ما اوحى اليك ربك فقال
قاتلوا عن احسابكم وخرج عنهم واعترف بالكذب على الله
السادس ان هذا السوال الزم للنصارى منه للمسلمين لان محمدا
كان اميا لا يختلف في ذلك اثنان فاتيانه بمثل هذا العلم
والناموس ان سلمتم انه لم يستفده من غيره فهو معجز في
نفسه وان اتهمتموه بانه تعلمه من غيره فالمسيح اولى بالتهمة
لانه تعلم الكتابة صغيرا وجالس العلماء وسمع منهم وكانوا
يعجبون من فرط ذكائه وادراكه في هيكل اورشليم وغيره
كما ذكر في الانجيل وحينئذ يتسع لنا ان نقول ان اتيان
المسيح كان بسحر العلماء والكتب ومعجزاته كانت شعبذة وتخيلا
كما نسبه الى ذلك اليهود فانهم في الطعن على محمد كاليهود في الطعن
على المسيح فان صدقوا صدقتم وان كذبوا كذبتم والفرق
عليكم متعذر عسير ه قال — ومن الادلة على كونه
لم يظهر معجزة ما قال في سورة الاسرا وقالوا لن نومن لك
حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله سبحان ربي هل كنت
الا بشرا رسولا ه وقوله وما منعنا ان نرسل بالايات
الا ان كذب بها الاولون وحسبك بشهادته انه لم يرسل
بالايات ه قلت — لقد اتى هذا السايل في هذا السوال
عن بلادة عظيمة وسوء فهم مع انه متفلسف والمعهود من
الفلاسفة جودة الذهن وحسن الفهم اما قوله سبحان
ربي هل كنت الا بشرا رسولا فليس فيه ما يدل على انه

لم يات بمعجز بل قد اعترف بما ليس به والرسالة والعبودية
لربه عز وجل ونحن نقول ان المعجز خلقه الله على يدي انبيائه
لا انهم هم يخلقونه على ايديهم وقد روي ونحوه في القصص قال
سعيد عن قتادة عن الحسن ان موسى لما غشيه فرعون تقدم الى
البحر فقال له ان الله امرني ان اسلك فيك طريقا وضرب
بعصاه البحر من غير ان يوحي الله فانطق الله البحر فقال له يا موسى
انا اعظم منك سلطانا واشد منك قوة وانا اول منك خلقا
وكان على عرش ربنا وانا لا ادري فعرى ولا ابرك احدا
يمر علي الا باذن ربي وانا عبد مامور ولم يوح الي فيك شي
ولم يفرق له حتى اوحى الله اليه بذلك وذكر ايضا قال
قال حازم بن مصعب عن ابي الياس عن وهب ان موسى
كان يضرب الحجر بالعصي فيتفجر الانهار لبني اسرائيل فقالوا يوما
لو ضاعت العصي او الحجر متنا عطشا فاراد الله ان يريهم
قدرته وسوء ظنهم فاوحى الى موسى فاخبره بذلك وقال
الان لا تضرب الحجر بالعصي ولكن كلمه واعزم عليه باسمي فانه يطيعك
فغضب موسى من كلام بني اسرائيل ونسي ما قال له ربه
فضرب الحجر بالعصي فلم يتفجر الانهار على عادتها فذكر عهد
ربه فاقسم على الحجر باسمه فاجاب وقال انما نسيت يا موسى
ان نسيت عهد ربك هلا كان هذا قبل الان ثم تفجرت منه الانهار
فالانبياء بشر وليسوا كما اعتقدتم في المسيح انه اله يفعل
الاشياء بنفسه فمعنى قوله هل كنت الا بشرا رسولا اي لا
اتي بالمعجز الا ان ياذن فيه ربي وانه لم ياذن له في ذلك الوقت
للوجوه التي بيناها قبل وهذا ايضا معنى قوله تعالى واقسموا
بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية ليومنن بها قل انما الايات
عند الله اي ان اظهارها موقوف على ارادته ه واما
قوله وما منعنا ان نرسل بالايات ه فليس اخبارا بنفي
الارسال في عموم الاوقات حتى ينفي معجز النبوة بل بنفيه
في وقت خاص وهو في اول الامر ثم ارسل بها بعد ذلك
يدل له قوله اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا اية
يعرضوا ويقولوا سحر مستمر الى قوله ولقد جاءهم الايات

ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغني النذر. قال: ولما أسرف
عليهم في طلب اعترافهم له بالنبوة وألحوا عليه في طلب الآيات
وهو لا يظهر منه غير تلاوة القرآن عليهم عظم ضجرهم حتى ضجوا
منه واستغاثوا فقالوا في صياحهم اللهم إن كان هذا هو الحق
من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم
قال فلم يأتهم بآية ولا لحقهم ضرر فلما رأى ذلك اعتذر
بأن تلا عليهم وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم الآية. قلت
وهم في هذه الحكاية وهي حجة عليه والصواب فيها أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما التقوا يوم بدر استفتح عليه المشركون أبو جهل
والنضر بن الحارث وغيرهما فقالوا اللهم إنا لا نعرف ما جاء
محمد فافتح بيننا وبينه وقال أبو جهل اللهم انصر أحب الطائفتين
إليك اللهم أقطعنا للرحم وأفسدنا للجماعة فأحنه اليوم فقتل
أبو جهل والنضر في سبعين قتيلا وأسر مثلهم في ذلك اليوم
فكان استفتاحهم عليهم ثم لو سلمنا من أنهم قالوا ذلك لضجرهم
منه لكن قد أتاهم العذاب الأليم يوم بدر وغيره وأي عذاب
يكون أشد من أن يقتل الشخص ذليلا حقيرا ثم يصير إلى العذاب
الدائم. وأما قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم قال
الكلبي معناه لو أراد أن يعذبهم أخرجك من بينهم. قلت
لأن الأنبياء رحمة لا عذاب فلا يعذب من هم فيه ألا ترى أن لوطا
لم يعذب قومه حتى خرج عنهم وصالح ونوح وموسى وغيرهم
من الأنبياء كذلك فهكذا محمد لم يعذب أهل مكة حتى خرج
منها وقوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فيه
قولان أحدهما وفي أصلابهم من سبق في علم الله أنه سيوحد
فيكون من المؤمنين المستغفرين. والثاني ومنهم الذين أظهرهم
مؤمنون مستخفون يستغفرون فلما خرجوا من بينهم عذبوا
بفتح مكة وقتل يوم بدر. قال: فإذا كان أعداؤه
المكذبون له لا يعذبون وهو فيهم فكيف عذب أصحابه يوم أحد
وهزموا وقتل منهم جماعة. والجواب أن ما جرى
لهم يوم أحد ليس عذابا بل شهادة يدل له قوله تعالى وتلك
الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم
شهداء والله لا يحب الظالمين. وقوله ولا تحسبن الذين

قتلوا

قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون وفي شهداء أحد
ولئن كان قتل المؤمنين في سبيل الله عذابا فليكن قتل يحيى وزكريا وصلب
المسيح عذابا ونعم الله سبحانه على خلقه تارة تكون بأسباب سهلة
كالأكل والشرب والنكاح وتارة بأسباب شاقة كالشهادة
والعبادات والرياضات كما أن صحة البدن تارة تكون بتناول
الأغذية والأشربة المستلذة وتارة بتناول الأدوية المستكرهة
كالصبر ونحوه. قال: وجاء في السير أن زينب بنت
الحارث أهدت لمحمد شاة مصلية والسم في الذراع
لأنه كان يحبها فلاك منها مضغة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء
ابن معرور فأساغ منها لقمة فهلك ولفظ محمد لقمته وقال
إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم وساق القصة قال: وقد كان
هذا الموضع أحق المواضع بالمعجز وأن يعلم بالحال فيحذر الآكل
ويحذر صاحبه. قال: وأما قوله إن هذا العظم ليخبرني بأنه
مسموم فليس يصح لأنه إما أن يكون أخبره قبل أن يسيغ بشر لقمته
أو بعد ذلك فإن كان الأول فلم لم يخبر بشرا حتى مات باللقمة
وإن كان الثاني فالمخبر له موت بشر في الحال وانزعاج روحه هو
حين لاك اللقمة المسمومة وكان سبب موته بذلك. قوله
ما زالت أكلة خيبر تعاودني حتى كان هذا أوان قطعت أبهري
قلت: أما هذه القصة فصحيحة وأما قوله هذا الوقت كان أحق
بإظهار المعجز فقد بينا أن المعجز وجوده إلى الله لا إلى الأنبياء والله
بالغ أمره فإن شابه ثم هذا يرد عليكم في المسيح حين صلبه
اليهود فإنكم زعمتم أنه كان إلها وأنه كان يزجر الريح فتسكن
والبحر فيركد وكان يحيي الموتى ويستخفي عن أعين الناس إذا أراد
فلما صار في الخشبة صاح صيحة عظيمة وسلم الروح وقد
كان هذا الوقت أحق بإظهار المعجزات فلم كان ذلك باختياره
قلنا هذا كذب ومحال فإن في الإنجيل أنه جمع التلامذة
وصعد بهم إلى الجبل وقال اسهروا معي الليلة لأني سائل
إلى أن يعبر عني هذه الكأس وسأل ذلك فلم يجب وجاء
أعداؤه فأخذوه وهناك إلى حكم الموت. وأما إخبار
العظم للنبي عليه السلام بأنه مسموم فهو حق كما أخبر وما
ذا يستبعد منه وقد سبح في يديه الحصى وحن إليه الجذع

وسلم عليه الحجر واطاعه الشجر قوله اما ان يكون اخبره قلت
اشاعته بشر لحمه او بعدها فجوابه من وجوه احدها ان هذه
قضية عين خاصة فجواز انه اخبره بعد اشاعته بشر لحمه
وقبل بلعه فان السم ما لقاها بلغ ليس صاعقة تحرق بمجرد
ملامستها الجسم بل لابد من نفوذه الى الروح ثم سريانه الى القلب
الثاني انه من الجائز ان بشرا اسيغ بلقمته فابتلعها
ثم صبر على ما وصل من الماء طمعا ان ذلك لعارض يزول اذا ان
لقمته كانت من الموضع الذي سمه فلعل كان في العضة التي اكل الموت
السم في الذراع وسمت سائر الشاة فلم يحس به بشر تعاونا ان
النبي عليه السلام اشتغل بالاكل ولم ينتبه الى بشر لما عرف من ادبه
في الاكل انه لا ينظر الى جلسائه فاخبره الذراع حينئذ ثم ظهر
بعد ذلك باثر السم في بشر الثالث لو حملنا اخبار
الذراع هاهنا على مجازه وهو الاسد لا لسان بانزعاج الروح
بالسم كما يقال اخبرني الشيب بما لقي من الوقائع الشديدة
بقولك مضار به على ذلك واخبرني المنزل برحيل اهله
منه حين لدروس رسمه ونسج الرياح اثاره لما كان فيه محذور
فان لمحمد عليه السلام المعجزات المحققة ما يغنينا عن المنازعة
في هذه وحينئذ تكون الاخبار صحيحا بلا نزاع قوله
وهاهنا قد سالك نص القرآن على طريق الاختصار انه لم
يات بمعجزة ويبين ذلك من الحديث الصحيح عندهم وذلك حديث
مسلم ما من نبي من الانبياء الا قد اعطي من الآيات ما امن على مثله
البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحى الله الي وارجوا
ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة قال فمن حاول التعصب
له ورام الانتصار لسهوه بغفلته فليتمسك بنقل الآحاد
للمعجزات المردودة عند علماء الملة فقال انه فعل وصنع
سيان من المعجزات فهو مكذب لقرانه وحديثه الصحيح له
قلت وقوله في هذا الحديث اني لارجوا ان اكون اكثرهم
تابعا يوم القيامة مسلم له فان جميع اهل الباطل والذين
سيعوه الى جهنم يوم القيامة واهل الحق الذين هم قليلون
بالنسبة الى هؤلاء يشقون بسيدنا المسيح الى الحياة الدائمة

قلت قوله قد سالك نص القرآن انه لم يات بمعجزة قد بينا لك من القرآن
انه لم يبين سياق ذلك واما مادة كلامه اما ان الهوى وقصر
باع في العلم وسوء فهمه واما قوله في حديث مسلم وانما كان
الذي اوتيته وحيا فجوابه من وجوه احدها انه يجوز ان هذا
الحديث قاله في اول الاسلام قبل تكامل معجزاته الثاني
ان الاصوليين اختلفوا في انما هل تقتضي الحصر ام لا بل الاثبات المؤكد
وهو الذي يدل عليه الدليل وحينئذ لا يفيد هذا الحديث انحصار
معجزه في القرآن على انه لو افاد لكان فيه ما يدل على سلبه
فيقدر الكلام اذن وان الذي اوتيته كان وحيا وانما خصه
بالذكر لانه اول ما ظهر على يديه ورأى بسببه الملائكة
وهو قديم على اصل اهل السنة وسائر معجزات الانبياء
مخلوقة وهو المتواتر التواتر اللفظي فلهذا اختصاص خصه بالذكر
وقوله فمن حاول التعصب له فليتمسك بنقل الآحاد
للمعجزات المردودة عند علماء الملة فقال انه فعل وصنع
فهو مكذب لقرانه وحديثه الصحيح فجوابه انا قد
بينا ان القرآن والحديث الصحيح لا يدلان على انه لم يات بمعجزة
واما قوله بنقل الآحاد المردود عند علماء الملة فهذا عدم
علم باصول الملة واصطلاحهم فيحتاج الى ان نشير في
ذلك شيئا ليعرفه من وقف عليه ممن لم يعرفه فنقول اعلم
ان الخبر اما متواتر او آحاد والمتواتر اما لفظي او
معنوي فالمتواتر هو الخبر الذي ينقله عدد لا يتواطأ مثلهم
على الكذب لكثرتهم عن مثلهم عن مثلهم الى محل صدوره
يستوي طرفاه وواسطته في ذلك ويستند اصله
الى حس لا الى نظر ثم اللفظي منه ما كان الاتفاق فيه على قضية
واحدة معينة بجزئياتها وهو العموم بالشرط المذكور
كطوفان نوح واغراق فرعون وقلب عصا موسى حية
واحيا المسيح الموتى وقول محمد اني رسول الله وتحديه
العرب بالقرآن ونحو ذلك والمعنوي ما كان اخبار
المخبرين فيه عن قضايا جزئية تشترك في امر واحد
كسخاء حاتم وشجاعة علي فان التواتر لم يوجد في قضية واحدة

من مكارم حاتم ولا من شجاعة علي بل يقال يوم ان حاتما وهب يوما فرسا
ويوما قطعة ابل ويوما قطيع غنم ويوما باع نفسه بعض من
نحوها لضيفه في قصص كثيرة حصل التواتر بمجموعها لا بواحد
واحد منها وكذلك في شجاعة علي فيحكى عنه انه كان يوم بدر
اول مبارز ويوم احد اول مقاتل ويوم الخندق بارز
عمرا وقد نكل عنه الناس ويوم خيبر حصنه النبي عليه السلام بالراية
بعد رجوع الشيخين بها لم يفتح عليهما فقتل مرحبا في جماعة من
اليهود وكان الفتح على يده وفي يوم حنين قتل ذا الخمار بارزا
وفر الناس عن النبي عليه السلام فلم يبق معه الا هو سابع سبعة
وانه لم يرجع عن مقبل ولا اتبع مدبرا ونحو ذلك مما حصل بمجموعه
العلم بشجاعته وان سمي قسم الاول تواترا مفردا والثاني
تواترا من جهة المعنى لمجموع قضايا وان سمي القسم الاول لفظيا
والثاني جزئيا لا مشاحة في شيء من ذلك واما الآحاد فهو ما رواه
العدل الضابط عن مثله عن مثله الى محل صدوره ثم ينقسم
الى مستفيض وغيره فالمستفيض اعلى درجات الآحاد ودون
التواتر فاذا عرفت هذا فمعجزات النبي صلى الله عليه وسلم متواترة
ثم عدا القرآن من معجزاته آحاد مردوده عند علماء المسلمين لا ما
شخص غير محصل واما المردود عندهم هو اخبار الواحد عن
الواحد والاثنين في قضية واحدة فهذا يوجب العمل ولا يفيد
العلم ولا يثبت به اصل من اصول الشريعة ولا يرد به عليها
قدح وقد تبين فيما سبق ان جميع ما اورده هذا الخصم من اخبار
الآحاد التي زعمها قادحة في الشريعة لا يرد علينا ولا يلزمنا
الجواب عنها وانما اجبنا عنها تبرعا اذا عرفت
هذا فالقرآن معجزاته بالتواتر اللفظي كما تبين وباقي
المعجزات بالتواتر المعنوي وقد صنف الناس فيها كتبا كثيرة منها
كتاب الشفا للقاضي عياض وكتاب الوفا بفضائل المصطفى لابي الفرج
ابن الجوزي وكتاب دلائل النبوة للبيهقي وكتاب البشر بخير البشر
لابن ظفر ورأيت لبعض المغاربة دلائل النبوة ومعجزاته في
عشر مجلدات وغير ذلك مما لم اقف عليه كثير وانما
اذكر منها هنا جملة منبها على غيرها فمنها ما اخرجاه

القرآن تواتره لفظي ومعنوي وما عداه [illegible] معجزاته تواتره معنوي [illegible]

في الصحيحين عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم شقتين حتى نظروا اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشهدوا وفي الروايات بانشقاق القمر في الصحيح عن ابن عمر وابن
عباس وانس. ومنها ما روى جابر بن سمرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بمكة حجرا كان يسلم علي ليالي بعثت
اني لاعرفه الان. رواه مسلم والترمذي وقال حسن غريب
ومنها ما روى علي بن ابي طالب قال كنت مع النبي صلى الله
عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر
الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله. رواه الترمذي
وقال حديث غريب. ومنها ما روى انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يخطب الى لزق جذع واتخذوا له منبرا
فخطب عليه فحن الجذع حنين الناقة فنزل النبي صلى الله عليه
وسلم فمسه فسكن. رواه الترمذي وقال حسن صحيح
ورواه احمد والبخاري بالفاظ متعددة. ومنها
ما روى ابن عباس قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال بما اعرف انك نبي قال ان دعوت هذا العذق
من هذه النخلة تشهد اني رسول الله فدعاه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فجعل ينزل من النخلة حتى سقط الى النبي صلى الله
عليه وسلم ثم قال له ارجع فعاد فاسلم الاعرابي. رواه
الترمذي وقال حسن صحيح والعذق شمراخ النخل الذي فيه
الرطب. ومنها ما روى يعلى بن مرة قال خرجت مع النبي
ذات يوم الى الجبانة حتى اذا برزنا قال انظر ويحك
هل ترى من شيء يواريني قلت ما ارى شيئا الا شجرة
ما اراها تواريك قال فما قربها قلت شجرة مثلها او قريب
منها قال فاذهب اليهما فقل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يأمركما ان تجتمعا باذن الله قال فاجتمعتا فبرز لحاجته ثم
رجع فقال اذهب اليهما فقل لهما ان رسول الله يأمركما
ان ترجع كل واحدة منكما الى مكانها فرجعت قال وكنت معه
ذات يوم جالسا اذ جاء جمل يخبب حتى برك بين يديه
ثم ذرفت عيناه فقال ويحك انظر لمن هذا الجمل ان له لشأنا

قال فسألت فوجدته لرجل من الأنصار فدعوته إلى الله فقال
ما شأن جملك هذا قال لا أدري عملنا عليه ونضحنا عليه حتى عجز عن
السقاية فأتمروا البارحة أن ينحروه ويقسموا لحمه قال فلا تفعل هبه
لي أو بعنيه قال بل هو لك يا رسول الله قال فوسمه بسمة الصدقة
ثم بعث به. ومنها أنه صح أن قتادة بن النعمان وقعت
عينه يوم أحد فقال يا رسول الله إن لي امرأة وأنا أحبها وأخاف
أن تقذرني لعوري أو كما قال قال وكانت قد سالت على خده
فأعادها النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكانها فكانت أحسن عينيه
بعد. وروى البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله الأنصاري دعا
النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيته في الخندق وقد ذبح له شاة
وطبخها وكان له ابنان صغيران فقال أحدهما للآخر قم حتى أفعل
بك كما فعل أبونا بالشاة فذبحه ثم جاء ليجعله في التنور وهو مسجور
فوقع الآخر على رأسه فمات فاحترق فوقع الصايح في دار جابر
فأخبر النبي بذلك فدعا بهما فسمّاهما كما أدخلوه ثم توضأ وصلى
ودعى الله فقاما حيين إلا أن هذا لم يثبت عندي من الخوارق
ومنها أنه عليه السلام يوم حنين لما ولى أصحابه نزل عن
البغلة ثم قبض قبضة من تراب الأرض ثم استقبل به وجوههم
فقال شاهت الوجوه فما خلق الله منهم إنسانا إلا ملأ عينيه
ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله وقسم رسول الله
غنائمهم بين المسلمين رواه مسلم. وفي بعض الروايات أنه قال للبغلة
الصقي بالأرض فلصقت فأخذ ترابا ثم قام. وهذا لا ينافي
قوله في رواية مسلم نزل عن البغلة لأنها لما لصقت بالأرض
صار كالنازل عنها بالأرض فيشتبه على الراوي فظنه
نزولا حقيقيا خصوصا في ذلك الوقت الذي يشتبه الحقائق
فيه على الإنسان لاشتغاله بالحرب والقتال. ومنها
قوله لأصحابه إني لأراكم من وراء ظهري. ومنها ما
تواتر عنه من نبع الماء من بين أصابعه كما يجيء في مرات كثيرة
يطول علينا ذكرها. ومنها ما أخرج مسلم في أفراده
من حديث أبي هريرة قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير

فنفذت أزواد القوم حتى هموا بنحر بعض حمائلهم فقال عمر يا رسول الله لو
جمعت ما بقي من أزواد القوم فدعوت الله عليها ففعل قال فجاء
ذو البر ببره وذو التمر بتمره فدعا عليها حتى ملأ القوم أزودتهم
فقال عند ذلك أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى
الله بهما عبد غير شاكّ إلا دخل الجنة. وفي أفراده أيضا عن
سلمة بن الأكوع قال خرجنا مع رسول الله في غزاة فأصابنا
جهد حتى هممنا أن ننحر بعض ظهرنا فأمر نبي الله فجمعنا تزاودنا
فبسطنا له نطعا فاجتمع زاد القوم فإذا هو كربضة العنز
ونحن أربع عشرة مائة قال فأكلنا حتى شبعنا جميعا ثم
حشونا جربنا. قلت وهاتان قضيتان لوجهين
أحدهما أن الحديث الأول كان بإشارة عمر وهذا كان
ابتداء من ~~رسول الله~~ النبي صلى الله عليه وسلم على ما هو الحديث الثاني
أنه بين في غير هذا الطريق أن إشارة عمر كانت في غزاة
تبوك وكان عسكرهم فيها فوق ثلاثين ألفا وهذا الحديث
أخبر أنهم كانوا أربع عشرة مائة إلى قضايا كثيرة غير هذه
حصل للناس بمجموعها العلم الجازم بظهور الخارق المطلق على
يديه وإن لم يحصل العلم بوجود كل واحدة واحدة من هذه
القضايا الجزئية بعينها فهذا هو التواتر المعنوي وهذا المدد
في الطعام الخلق الكثير من زاد قليل أعظم مما حكاه النصارى
في الإنجيل عن المسيح أنه أطعم أربعة آلاف رجل وامرأة من خمس
خبزات وحوتين وفضل اثنتا عشرة سلة لأن العسكر
في تبوك فوق ثلاثين ألفا. فإن قيل هذا إنما تواتر عند
المسلمين ولم يتواتر عندنا قلنا لا يخلو إما أن يشترط في
التواتر ما شرطه اليهود من أن المخبرين به لا يجمعهم دين واحد
أو لا تشترطوا ذلك فإن اشترطتموه فلا يلزمكم تواتر هذه
الخوارق ولا يلزمكم مثله لليهود فإنهم يقولون ما تواتر عندنا
خوارق المسيح والنصارى متهمون وإن لم تشترطوه فهذه خوارق
قد تواترت عند المسلمين في شرق الأرض وغربها فيلزمكم التصديق
بها ثم نعرض الكلام فنتكلم في هذا الخارق الخاص وهو إطعام
الخلق الكثير الطعام اليسير فنقول كما لم يتواتر ذلك

عن محمد؟

عندكم كذلك لم يواتر عندنا عن المسيح بل في انجيلكم رأيناه فان سلمتم
سلمنا وان منعتم منعناه فان قلتم نمنع ونمنعون ثم نرجع الى ما سلمتموه
احتجنا الى الموالي ونحوه فانتم الى ماذا ترجعون قلنا اما الاول فنحن
ما سلمنا معجزات المسيح المطلق الذي تعتقدونه ابن الها او ابن الله
وتعتقده اليهود ابن يوسف النجار او لغية واما سلمنا معجزات
المسيح الذي بشر بمحمد وشهد له بالرسالة وامر من ادركه منكم
باتباعه اما مسيحكم الذي تعنونه ولا نسلم انه كان له وجود فضلا
عن انه اتى بمعجز او غيره ولو سلمنا ذلك لكم للزمنا ان نعتقد
الهيته كما اعتقدتم وذلك خروج عن دين الاسلام والسلام واما
ثانيا فانا نرجع الى القران وسنبين وجه كونه معجزا وقوله
ان اهل الممالك والذين سبقوه الى حجهم يوم القيامة قلنا
هذا سوء ادب لا يليق على عامة الناس بل اشرافهم فضلا عن الانبيا
ارباب الاديان العامة والنواميس المشهورة ولكن هذا النصراني
قد يعذر طبعا في هذا السفه فانه قد عاش في ارض الاسلام عمره
ذليلا مهانا عليه الجزية ملتزما احكام الملة لم يقدر على شفاء
غيظ ولا اراقة فيض فشفا غيظه بسفه خفية كما قال
بعضهم اوسعتهم سبا وراحوا بالابل وكما قالت العامة في
المثل الشتم في الهوا والصفع في القفا قوله واهل
الحق القليلون بالنسبة الى هؤلاء يسعون بسيدنا المسيح الى الحياة الدائمة
قلنا هذا مستدرك من وجهين احدهما قوله اكثر فالقليلون
بالنسبة الى المسلمين ان عنيت في دار الاسلام فهو صحيح لكن من رأى
خلافه يعصي الامة يسعون بسيدنا المسيح فان هذا يعم كل
نصراني ينتحل دين المسيح فكونه الها فيتعلق هذا التقدير بلفظك
ومرادك وان عنيت مطلقا فالنصارى اكثر الامم فانهم استقلوا
بالبلاد الشمالية واطراف السواحل وهم اهل الحبشة وبلادها
وبهم ويأجوج ومأجوج يمتلئ جهنم ان شاء الله الوجه
الثاني قولك بسيدنا المسيح ومن سيدك المسيح لعمرك ان
مع التحقيق سيدك المسيح ضائع لان المسلمين قالوا انه قتل ولا صلب
بل رفعه الله اليه وانتم تقولون قتل وصلب ودفن بعد تلك
الاهوان واليهود وافقوكم على صلبه وخالفوكم في قيامته
فعلى قولكم سيدكم المسيح قد صار رميما ثم اذا كان يوم القيامة
كان لكم اشد الناس خصما لكذبكم وافترائكم عليه واتخاذه الها

فنحن لفننكم لو صادفناه من بعده ثم يلزمه في هذا الكلام مناقض اخر وهو انه
قد يستثنيه انكار النعيم الحسي في الاخرة من الاكل والشرب والنكاح
ثم قد اثبت ها هنا جهنم وذكرت في الاناجيل مواضع كثيرة تارة بلفظها
وتارة بمعناها فيقول هنالك تلقون الظلمة وصرير الاسنان وهذا
عذاب حسي فالحكمة تقتضي اتحاد جنس الثواب والعذاب فاما
ان يكونا حسيين وهو نقض لما سبق منه من انكار النعيم الحسي واما
عقليين كما احتج عليه في طرف النعيم بقول ابن سينا في الاشارات
فيلزمه ان يكون العذاب عقليا كما قرره الفلاسفة وفي ذلك
ترك ما صرح به الانجيل من العذاب الحسي قال واذ
قد عرفنا من الكلام في انه لم يأت بمعجزة قد بها يبرهن دعواه ولا
اظهرها بعد ذلك فلا نتمسك لمنازع الان بقول القران معجزة
لفصاحته قال ولا حجة في ذلك لان الفصاحة هي التعري من
البغية والتباعد من حشو الكلام وتسهل دلالة اللفظ على المعنى
لشرط الفصاحة وجه المعنى ونظامه وقلة الالفاظ واختصارها
وانا اذا تأملت جميع القران وجدت اكثر عباراته لا توضح
وجه المعنى ولا تأتي بمعانيه على نظام مناسب والدليل على ذلك
ان المفسرين مع كثرة عددهم يفنون اعمارهم في الاختلاف في تأويله
ويصنفون فيه التصانيف الطويلة ويقع بينهم الشرور والمخالفات
ولا ينفصلون عن معارك النزاع والتضاد في تفسيره ويفترقون
فرقا ملقبة كالعلوية والبكرية والمعتزلة والاشعرية وغيرهم
من طوائف عديدة يكفر بعضهم بعضا ويلعن بعضهم بعضا ويفتح قوم
مذهب قوم ولا يقفون على تفسير يتفق اهل الملة بجملتهم عليه
ولا يتظاهرون ويتمسكون في ذلك بشهادة القران لما قلناه حيث
يقول وما يعلم تأويله الا الله قلت [illegible] قد بان
محمد صلى الله عليه وسلم تحلى بالمعجزات واما القران فهو معجز عظيم
لفصاحته واشتماله على الاخبار بالغيوب وانخارمه العرب
العارفة اهل الفصاحة واما ما ذكره من حد الفصاحة
اولا فهو حد وهو موجود في القران فان معانيه الى الفهم تسبق
الفاظه الى السمع واما ما ذكره ثانيا فما يتبين به الا حلاف
عند احد من العالم ان العرب كانوا فصحاء في نثرهم ونظامهم

مع ان في كلامهم الفصيح ما هو مجمل لا يتضح فيه وجه المعنى ثم انك ان تصغي الى
مجمع اهل اللسان ما لك وللفصاحة والبلاغة كما قوم تكلموا فيهما
فقالوا الفصاحة خلوص اللفظ من التعقيد الموجب لغرابة فهمه
وازادة اسماعه وذلك باشتماله على صفات ذكرت في مواضعها
والبلاغة كون الكلام الفصيح موصلا للمتكلم الى اقصى مراده
وقال امير المؤمنين علي عليه السلام البلاغة ما رضيته الخاصة
وفهمته العامة انتهى وقال في لفظ اخر البلاغة ان يقول فلا
يبطي ويصيب فلا يخطي انتهى وهذا كله موجود في القران وقوله
عبارة القران لا توضح وجه المعنى ولا تاتي على نظام متناسب سوء
فهم وقصور في النظر ويكفي في بطلان قوله ان عامة الناس وخاصتهم
يفهمونه اذا استمعوه انتهى واما اختلاف المفسرين في بعضه
فليس لما ذكره بل تارة للخلاف في اسبابه وتارة لاختلاف
مذاهبهم فيطلبون تاويله عليها وتارة لاجمال في الفاظه وذلك
من وجوه اعجازه حيث كان فصيحا بالنسبة الى كل قوم يفهمون
منه ما يدعونه وليس من شرط الفصاحة المنصوصية على المراد
الا ترى الى شعر امرئ القيس ونحوه من الشعر الجاهلي
لا خلاف في فصاحته مع كثرة احتمالاته واجمالاته انتهى واما
تكفير بعض الطوائف بعضا فليس سببه اشتباه القران
بل ذلك لمواد عقلية وفلسفية دخلت على الاسلام كما
عرف من مذهب المعتزلة ونحوهم انتهى واما قوله لم
يتفقوا على تفسير شي منه فباطل بل قد اتفقوا على كثير منه
والخلاف فيما اختلفوا فيه ليس لامر عائد الى لفظه
ولا تبديل والى امور خارجة وبالجملة فان من وقف الامر يعرف
على شرف فصاحة القران استرجح ان الفصاحة ترجع
فيها الى اهلها وقد اتفقوا على فصاحته انتهى وقوله ما يعلم
تاويله الا الله ليس في جميع القران كيف وقد ادعى ان الناس
صنفوا في تاويله التصانيف الكثيرة وهل يصنف احد فيما
لا يعلمه وانما ذلك فيما تشابه منه حيث قال الله سبحانه
هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام
الكتاب واخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون

ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله يعني
تاويل المتشابه اتفق العلماء على ان هذا مراده انتهى ثم ان ما ذكره في القران
والمسلمين لازم عليه في الانجيل والنصارى فان في الانجيل احتمالات
كثيرة يتوجه اليها الاحتمالات ولذلك اختلف النصارى حتى كانوا
يعقوبية وملكانية ونسطورية وغير ذلك يكفر بعضهم بعضا انتهى
قال ووجدت ايضا الفاظه قليلة الاختصار كثيرة التكرار
في ايراده القصص وغير ذلك كسورة قل يا ايها الكافرون وسورة
الرحمن فانك تحدثها ما تعنيك وتقع بمعاداتك انتهى قلت هذا
كلام من لا يعلم وهو جدير بان يتعلم ثم يتكلم انتهى اما تكرار القصص
فله فوائد احداها ان القران كان ينزل سابقا ويحتاج
ان يحمل الى اقطار الارض ليسمع الناس بما فيه من امر ونهي
ووعد ووعيد ووعظ واخبار ونحوه وكان المهم دعاءهم الى الاسلام
وذلك بترهيبهم بما جرى للمخالفين من الامم قبلهم وترغيبهم
فيما فاز به المؤمنون وكررت القصص وكانت مختلفة الالفاظ
لنشرها في البلاد كذلك فيسمعها الناس في الاقطار وتكون
باختلاف الفاظها ادعى الى القبول لان النفوس مشغوفة بمعاداة
المعادات كما قد انكرت ابن التكرار العابد الاسنة
ان اعادة القصة الطويلة في مواضع مع اتحاد معناها واختلاف
لفظها طولا وقصرا ادل على الاعجاز وقدرة المتكلم على الكلام
واما ما ذكره من التكرار في بعض السور فالقول المفصل فيه
قد ذكرته الا انكر مسوغه وذكره الناس كثيرا فلا
يخفى عليك ذكرها هنا ولكن اذكر فيه قولا مجملا وهو ان التكرار
كما يستغنى عنه في بعض المواطن قد يحتاج اليه في بعضها كالتاكيد
والتقرير والتنبيه على الاهتمام بالامر فلعل تركه حيث
ينبغي كذكره حيث لا ينبغي والله اعلم قال ووجدته
ايضا غير خارج على نظام متناسب لقوله في سورة النساء وان خفتم
الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث
ورباع قال ولا مناسبة بين العدل في اليتامى وبين نكاح النساء
ولهذا وغيره يظن انه كلام منثور لا نظام له ولا تاليف
قلت هذا الخصم معذور في انه لم يتضح له هذا الكلام لانه لم

المشكلات التي يخفى على كثير من علماء الاسلام لكنه ملوم في ايراده طعنا
على القران قبل ان يبحث هل له محمل على الصواب ام لا ولا شك
ان العلماء ذكروا لارتباط بعض هذا الكلام ببعض وجوها
صحيحة مناسبة احدها ما روي عن عائشة انها قالت نزلت
هذه الاية في اليتيمة تكون عند الرجل ولها مال فيرغب في مالها وجمالها
فينكحها بدون صداق مثلها فنهوا ان ينكحوهن حتى يقسطوا اي الصداق
وامروا ان ينكحوا ما شاؤوا من النساء غيرهن الثاني ما روي
عن ابن عباس قال كان الرجل في الجاهلية يتزوج العشر من
النساء فاذا افتقر عدا على مال اليتيم فانفقه فامروا
بالاقتصار على العدد الخاص لئلا يحتاجوا الى المد على مال اليتيم
الثالث ما روي عن سعيد بن جبير انه قال كانوا يتحرجون الا
يقسطوا في اليتامى ويتحرجون من ذلك فنزلت الاية ومعناها
فخافوا عدم القسط في النساء ما خفتم منه في اليتامى فل
هو من باب قوله لا تنه عن خلق وتاتي مثله اي لا تتحرجوا من الجور على
اليتامى وتجورون على النساء فهو كما تقول لصاحبك ان كنت تخشى
الله في ظلم زيد فلا تظلم عمرا وان تحرجت من اخذ اموال الناس
فلا تاخذ اعراضهم لذلك هذا الرابع ما ذكره الحسن البصري
وهو ان معنى الكلام ان تحرجتم من المد على اليتامى فتحرجوا من الزنا
فانكحوا ما احل الله لكم من امراة او اثنين او ثلاث او اربع
لتدفعوا داعية الزنا الحرام بالنكاح الحلال قلت والمعنى
لا تتحرجوا عن بعضه وتواقعوا اخرى فلو توبوا لذي تسامح
في الزنا وتحرج من العزل او ترك الغسل فهذه اربعة
اوجه محتملة احتمالا ظاهرا فتناسبه مناسبة صحيحة معقولة
فالمبادرة بالطعن مع ما له هذا التوجيه قبل استيفاء النظر فيه
اما جهل او عناد والله اعلم وقد استفسرت لي الاحتمال
الاربعة واوردت عليها الاسولة ما لا اظن على وجه
الارض نصرانيا يقدر على ان يجيب عن شيء منها فعلى هذه الاوجه
عن اية النساء تفصلا عن وضح منها فان لزم بذلك الطعن في
القران فهو على الا يحمل الزم ثم قال ثم هو متناقض
بعض بعضه بعضا ولكن مع وقوفك على هذا الالماع تقول

اي جهل اعظم من جهل من ادعى ان اعجاز هذا الكتاب في اثبات السورة
لا يعلو اقلاب الجماد حيوانا والبحر يبسا والحجر الصلد عينا لموسى ولا احياء
الموتى وابراء الاكمه والابرص لعيسى ان هذا الجاهل ما يفقه قلت
اما دعواه التناقض في القران فوهم وقد اورد الزنادقة
صورا كثيرة ظنوها تناقضا فاجيبوا عنها صنف في ذلك الامام
احمد وغيره من جملتها قوله ان الله يحب المقسطين مع قوله
واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا قالوا هذا تناقض وذلك
جهل منهم لانه يقال في لغة العرب اقسط وهو مقسط اذا عدل
وقسط فهو قاسط اذا جار وهذا يكفي في السخرية بهم واما
هذا الخصم فما اورد سوى التناقض حتى نجيب عليه واما
قوله ان اعجاز هذا الكتاب لا يساوي اعجاز بعض المعجزات
لموسى وعيسى فنقول له قد بينا لك اول الكتاب ان المعجز هو
الامر الممكن الخارق للعادة المقرون بالتحدي الخالي عن المعارضة
والقران يشارك جميع المعجزات في هذا لانه كما عجز فرعون عن
قلب عصا حية حتى عدل الى تجييش الجيوش وايقاد الحرب
كذلك العرب عجزت عن معارضة القران بعد ان تحداهم
بمثله ثم خفف عنهم فتحداهم بعشر سور مثله ثم خفف عنهم
فقال بسورة من مثله ونزل معهم هذا التنزل فعدلت الى
الحرب والتحام الطعن والضرب وزاد القران على ما ذكر لزم
من المعجزات بوجهين احدهما انه صفة قديمة من صفات الله تعالى
وتلك المعجزات محدثة بلا خلاف ولو لم يكن الا وقوع الخلاف
في قدم القران وحدوثه من المسلمين لكان له مزية على سائر
المعجزات الثاني انه كلام يبرئ ان ينسب الى انه سحر لانا
لم نعلم ان السحر كلام قط نعم يلعب بالكلام ولا يلبس عليك وانما
عرفنا السحر افعالا محسوسة فتطرق شبهة السحر الى ما
اتى به موسى وعيسى اقرب من تطرقها الى ما اتى به محمد ولهذا
قال فرعون ان هذا لساحر عليم وفي موضع ان هذان
لساحران وفي موضع قالوا ساحران تظاهرا يعني موسى
وهرون وقالوا للسحرة حين اعترفوا انا لنعلم انه لكبيركم
الذي علمكم السحر ولان اثر السحر في اسرائيل ولسنوهم

الى مواطاته لكونه منهم وانما ظهر الفرق في القران وغيره من
المعجزات من حيث انه مسموع وهي مبصرة على حسب التفاوت بين
المسموعات والمبصرات وذلك مما يتنبه له في حقيقة الاعجاز
والسبب الموجب لهذا التفاوت هو ان الله سبحانه ارسل
كل رسله بما كان غالبا على قومه تحقيقا لاعجازهم فبعث موسى
الى قوم مهروا في السحر فاعجزهم بالعصى ونحوها والمسيح الى قوم
اهل كهانة وطب وحكمة فاعجزهم بما ابدى به وصالحا
الى قوم اهل الابل فاعجزهم بناقة خرجت من جبل ولذلك ارسل
محمدا الى قوم اهل فصاحة يعدون الفصاحة والخطابة
اكبر مآثرهم وبها فخروا بها وكانت الفصاحة تعدل عن
نسبة السحر فبعثه بالقران الفصيح وبلغ الطاعن في فصاحة
القران بعد عجز العرب عن معارضته ان الوليد بن المغيرة حكيم
قريش وفيلسوفها لما سمعه انصت له ثم استعاده فاعيد عليه
ثم قال والله ما هو بسحر ولا شعر ولا كهانة ولقد سمعنا
ذلك كله وما هو بشيء منه وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر
وما هو بقول بشر ثم قال له الكفار بما تقول ان نقول فيه
قال قولوا انه ساحر فانزل الله سبحانه ذرني ومن خلقت
وحيدا الى قوله ان هذا الا قول البشر سأصليه سقر قال
وان بقي التباس في هذا على مسلك ناقص الفطرة قلنا له تعالى
نعرض ان القران فصيح لا تكرار فيه ولا تناقض وانه جار
على نظام واحد في معانيه ونجعل ذلك اعجازا له الا ان شرط
المعجزات يكون من غير جنس الافعال المعتادة وهو كلام لا يفضل
جميع الكلام وانما يختلف بالاقل والاكثر ويقع فيه المماثلة
والمفاضلة فهو جنس واحد وبحسب التفاضل بينه وبين كلام
سائر الخطباء والبلغاء من العرب والمجيدين يتوزع السورة
على كل فصيح بليغ بحسب رتبته من الفصاحة فيكون في السورة ما يستوجبه
فصاحته * قلت الجواب عن هذا اما اولا فانه
ناقض في كلامه لانه طلب شرط الاعجاز على ثبوت
الاعجاز والمشروط لا يثبت الا بعد كمال شرطه فمن
هذه الحيثية يلزم وجود شرطه ومن حيث طلب شرطه يلزم

ان شرطه لم يوجد وذلك يناقض ما قاله لكن لا نستبعد مثل هذا
ممن يقول ان الله هو المسيح وابدى السماء حاله لونه الارض واما
ثانيا فقوله شرط المعجزات يكون من غير جنس الافعال المعتادة
فجوابه من وجهين احدهما انا نقول من شرط هذا الشرط
ومن سلمه لك انه شرطه وبحثت مع نفسك بغير العادة
وهواك وفساد دعواك ونحن قد بينا انفا وقدمنا في الكتاب
حيث ذكرت ان الذي اتفق عليه المحققون في المعجز انه الامر
الممكن الخارق للعادة المقرون بالتحدي الخالي عن المعارض
وبينا ما فيه من القيود والاحترازات وبينا انه موجود في
القران * الثاني ان الاعجاز بالمعتاد ابلغ من الاعجاز
بغير المعتاد بالضرورة لانه اذا اعجز عما هو عادة وهو
مندرب فيه عارف باصوله وقواعده فهو عما لا انسة له
به اعجز وذلك كما اذا قيل للنجار اعمل مثل هذا الباب
فلم يقدر فانا نعلم بالضرورة انه عن صناعة الزركش وحياطة
الثياب الرفيعة ونسخ الخط المحرر اذا لم يكن ذلك من
صناعته اعجز واعجز ولهذا لما تحداهم بسورة منه فعجزوا
دل على انهم عن معارضة سورتين فاكثر اعجز * واما ثالثا
فقوله هو كلام لا يفضل جميع الكلام فهو جنس واحد * قلت
الجواب من وجهين احدهما لا نسلم انه لا يفضل جميع الكلام
بل يفضله بخصيصة الاعجاز كما بينا وذلك مدرك بالحس والاستدلال
اما الحس فان كل من سمعه يحس من نفسه ادراك انه
ليس كلام ادمي * واما الاستدلال فعجز العرب عن
معارضته * الوجه الثاني ان سلمنا انه مع الكلام
جنس واحد فلذلك قلب العصا واحيا الموتى مع جنس
الفعل جنس واحد وانما اختصا عليه بخصيصة الاعجاز
كذلك القران والله اعلم * واما رابعا فقوله
يتوزع السورة على كل فصيح بليغ ثم بينه من الفصاحة
فيكون في السورة ما يستوجبه * جوابه من وجوه
احدها انا لا نسلم اتحاد الجنس في القران وسائر الكلام

لان هذا صفة الاله القديم وذاك صفة المخلوق المحدث واما
يطلق عليهما كلام وكلام كما يطلق على الباري سبحانه وما سواه موجود
وموجود وحينئذ لا يلزم التماثل ولا يلزم التوزيع اه الثاني
ان المسيح عندكم اله او ابن اله واجمعنا على ان الانبيا شاركوه
في حسن الخارق فلزمكم على هذا المساق ان يوزعوا الالهية
او البنوة عليه وعليهم فيحصل لكل منهم قسط من الالهية او بنوة
الله في مقابلة قسطه من ظهور الخارق على يديه اه الثالث
ان ادم شارك المسيح في انه ليس من بشر ذكر وسائر بني ادم
شاركوه في انهم من ام فيجب ان يوزع الالهية او البنوة بينهم
فيحصل لكل من بني ادم منها بحسب ما شارك فيه اه الرابع
ان اعجاز القران ليس لمجموع مفهوم الفصاحة ولا القدر المشترك
بينه وبين سائر الكلام وانما اعجازه بفصاحته الخاصة
به وهي القدر الزائد على ما به فصاحة البشر وذلك ليس
مشتركا بينه وبين غيره حتى يجب التوزيع في النبوة بحسبه
وهذا كما يقولون ان من خصوصية المسيح على سائر الانبيا
هو انه كلمة الله او ظهور اللاهوت في ناسوته وليس
ذلك لاحد غيره اه قال فان قلت اعجازه من جهة
انه لم يعارضه احد من الناس ولم ياتوا بسورة من مثله قلنا
ان محمدا لم يقل للناس في عصره قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان
ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله وقوله فاتوا بسورة من مثله
الا بعد ان استتبت رياسته وظهر سلطانه فمن كان يقدم
على معارضته واسيافه تقطر دما ولذلك لما شرع النضر
ابن الحرث في معارضته انهض الله علي بن ابي طالب فقتله شر
قتلة اه واما بعد موته فالحماية عنه بسيوف ملوك المسلمين
عظيمة لا يقدم احد منها على ذلك وقد عارضه ابو العلا
المعري والعنسي بعد موته عارضه ومن معارضته له انا
اعطيناك الجواهر فصل لربك وهاجر وما يطع كل كافر
وساجر ولاجل ذلك صلب على العود وقيل له وهو

في الصلب انا اعطيناك العمود فصل لربك على العود وانا ضامن
عنك ان لا تعود اه قلت الجواب عن هذا اما قوله ان محمدا ص
لم يتحد الناس بالقران الا بعد ما تمكن رياسته فلم يقدم احد
على معارضته فهو كذب واقرأ بل هذه سورة البقرة من اوائل
ما نزل من القران وفي اولها وان كنتم في ريب مما نزلنا على
عبدنا فاتوا بسورة من مثله الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا
وتلا حم السجدة على عتبة بن ربيعة حتى بلغ قوله فان اعرضوا
فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود والذين من بعدهم
فقال حسبك يا ابن اخي نشدتك الله والرحم ثم سكت ثم
رجع الى اصحابه وكانوا بعثوه اليه ليستخبر له عما يقول فقالوا
نقسم بالله لقد جاء ابو الوليد بغير الوجه الذي فارقكم به وكان
ذلك ابتهارا منه بالقران وخشية ان ياخذه الصاعقة وسمعه
الوليد بن المغيرة يقرا ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية
فقال انه ما هو ما ذكرتم وقال وما هو قول بشر
وكلهم كانوا يعترفون بعجزهم عن مثله وهو بينهم وحيد مستضعف
حتى انهم اخرجوه الى الطائف ثم عاد فاستجار بالمطعم بن عدي
حتى يبلغ القران وكان يقول من يمنعني من قريش فانهم قد منعوني
ان ابلغ كلام ربي فلو امكنهم معارضته لما كان لهم منه مانع
ثم سلمنا انه لم يتحد به الا بعد ظهور سلطانه فقد كانت طوائف
العرب كثيرة فاما سرية القريش وقياصرة الروم موجودين
فقد كان يمكنهم المعارضة ان ياووا الى منعة منهم ثم
يعارضوه فاذا اتى بمثله بطل كونه معجزا ثم كان من تبعه
يتخلى عنه ومن خالفه يشتد عليه حتى يوول امره الى الانحلال
والاضمحلال كما آل امر مسيلمة الكذاب والاسود العنسي
وطليحة الاسدي والانبيا الكذبة من اسرائيل وما
زال امره كذلك بل لم يزل الناس يدخلون في دينه
حتى طبق المشرق والمغرب اه واما قوله قتل النضر
ابن الحرث حيث شرع في معارضته فليس بصحيح ايضا بل
انما قتله بعد ان اسره يوم بدر في جملة الكفار وذلك انه
كان يرد على الفرس في بلادهم يحفظ شيئا من اخبار رستم

واسقفه ما يدعان يقول لقريش انا احدثكم كما يحدثكم به محمد ويحدثهم
بذلك وهو في عزه ومنعه من اهله بمكة قبل بدر بحين ومحمد يتحداهم
مستضعف فلو كان ما عنده مما يصلح معارضا لاستفاض واشتهر
وملا البدو والحضر ومع هذا فانه اسلم الى النبي عليه السلام عند
ذلك لسرايتهم لما قتله وسمع ما قالت اخته قتيلة بنت الحرث
في مرثيته واستعطاف النبي عليه وقال لو سمعت شعرها قبل
ان اقتله لما قتلته واما حمايه ملوك المسلمين عنه ولا منع
معارضة المعارضين لجاز ان يعارضوه سرا ثم يتواقفوا ويظهر
معارضتهم كما ظهرت معارضات المعري والمتنبي وغيرهم مطلب
من الزنادقة بل هذا المحض بعينه صنف هذا الكتاب في الطعن
على الاسلام مستخفيا ثم انه على طول الايام ظهر ونقض
وليس عند احد من رؤساء الاسلام منه خبر حتى الان وهذا
الكلام حققه قول المسيح في الانجيل ما من مكتوم الا سيظهر
ولا خفي الا سيعلن به واما معارضة المعري واضرابه
من الزنادقة فهي ركيكة تشبه كلامهم ولو كانت مساوية للقران
في فصاحته لظهر لها عصابة من اهل الملل يبصرونها ثم اختلفت
كلمة الاسلام كما ان ما في ابي بكر وعلي لما كانا متساويين او
متقاربين اختلفت الامة فيهما فمن قائل انهما افضل وقائل
مروان بن الحكم ومعوية وعمرو بن العاص بل سلمان وعمار
بل غالب الصحابة لما لم تقارنت مناقب هذين الرجلين لم
تختلف الامة فيهم كما انه ليس كل فضيلة توجب النزاع
في صاحبها وغيره كذلك كل معارض لا يصلح ان يكون
معارضا مفرقا للناس واتفقا ان كل من عارض القران
انما سرق بعض الفاظه وتابع اسلوبه فلم يلحق به لانه
مادته كان التلامذة لما كانت مادتهم في التلاميذ من جهة
المسيح لم يفضلهم احد عليه ولم يساووه به واما
العنسي الذي صلب على العود ولا احق لفظه لانه مشتبه
الصورة في الكلام الذي يطلب منه فان اراد الاسود العنسي
بعين مهملة ونون وشين مهملة فذاك قتيل غيلة ولم
تعا

تعلم انه صلب وان اراد القبيسي او غيره من الالفاظ فلا نعلم
من هو الا ان يكون مسيلمة الكذاب ولم نعلم انه صلب ايضا
ومن قرانه ضفدع بنت ضفدعين نقي ما تنقين اعلاك في الماء
واسفلك في الطين وقوله والزارعات زرعا فالحاصدات حصدا
فالطاحنات طحنا فالخابزات خبزا فالاكلات اكلا فاللاقمات
لقما اهالة وسمنا لنا نصف الارض ولقريش نصف الارض
ولكن قريشا قوم لا يعدلون وهذا مع كونه منسوجا على
اسلوب سورة والمرسلات عرفا فهو مضحكة مثل قائله
وكذا قول القايل انا اعطيناك الجماهر وقول بعضهم
انا اعطيناك الفلق فصل لربك وازعق ان شانيك هو
الابلق فان هذا منسوج على منوال انا اعطيناك الكوثر ولقد
عدم اهله من يضحك عليهم فضحكوا على انفسهم ولعمري ان قول
القايل انا اعطيناك العمود الى اخره خير وافصح وارشق
هذا كله وشعر الشعراء المجيدين لجرير والفرزدق
وذي الرمة ومن المحدثين ابو تمام والبحتري والمتنبي خير من هذه
المعارضات بما لا يتناهى وهي دون القران بما لا يتناهى
والله اعلم قال ومن لم يقنعه هذه الادلة التي
اوردناها وبقي له نزاع او جدل في شي من ذلك من جهة الفصاحة
فساده وبيانه ولم يمسك بعلاقة منازعه فهو كالحية قطع
راسها وبقي ذنبها يتحرك به قلت قد بان ما
اورده شبهة صادرة عن سوء فهم وضيق علم وانها
كحبال سحرة فرعون وما حكمنا به عليها لعصي موسى تلقف
ما يافكون به قال الشرط الرابع حسن الشريعة
والدين وكمالها في الخير والفضل والمعدلة وذلك ان يتصور
ويتدين الامة على حب الله وتوحيده والعمل الصالح
وحسن العبادة وموالاتها وان يحب الانسان لغيره ما
يحب لنفسه فليتحرر دين هذا الرجل هل هو موافق للدين
الطبيعي المذكور وشرايع الله التي ارسل بها رسله كموسى
وغيره وهل هو حائز على هذا المنزع ام لا قلت

اما هذه الخصال التي ذكرها فهي منصوص عليها وعلى غيرها من خصال
الخير في دين الاسلام وفي الكتاب والسنة بها نهوان ولولا ان
ذكر ذلك يستدعي كتبا ويخرجنا عما نحن بصدده من مناقضة
هذا الخصم لذكرناه واما قوله حفظ الامة على حب الله
وتوحيده فهو مموه ومزور ان النصراني في التوحيد مع قوله
بالتثليث وأما اشتماله على مصالح العباد العامة والخاصة
الضروريات وغيرها فامر لا نشك فيه على ما اشرنا
اليه في القاعدة الاولى من القواعد الفروعية وغيره في القواعد
الدمشقية وأما شرائع الانبياء المتقدمين فاحكامها
قسمان ما ورد شرعنا بنسخه فليس حجة علينا ولا شرعا لنا
وما لم يرد شرعنا بنسخه فهل هو شرع لنا ام لا فيه
قولان للعلماء ومن اصل شرعنا جواز نسخ الشرائع بعضها ببعض
وان شرعنا ناسخ لما قبلها في الجملة ومن نازعنا في جواز
النسخ او وقوعه ادنى احكامه فقد بينه الاصوليون
في كتب الاصول قال فرأيناه قد ذكر في
سورة النساء فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث
ورباع في قوله او ما ملكت ايمانكم فاجاز نكاح اربع نسوة
والتسري بملك اليمين في غير عدد محصور على اي دين كن من
الاديان وان يطلق الرجل ما شاء ويستبدل ما شاء لذلك
ما شاء قلت هذا نقل صحيح عن دين الاسلام الا قوله
في ملك اليمين على اي دين كن من الاديان فليس بجيد بل انما
يباح الكتابية دون الوثنية والمجوسية ونحوها وان كان
قد ذهب الى ذلك احد العلماء فليس معتمدا قال
وبين بطلان هذا بحجة كثيرة ادلها ان الله تعالى لم يعط آدم
الا زوجة واحدة وهي التي خلقها من الضلع ليبين بذلك
تأبيد الصحبة والمحبة بينهما كتأبيد المحبة بين اعضاء الجسد ولهذا
حكي عن آدم في التوراة انه قال هذه عظم من عظامي ولحم من
لحمي سميت امرأة لانها اخذت من المرء فلذلك يترك الانسان
اباه وامه ويلزم زوجته ويهدينا انه بحسب الفطرة
تكون واحدة لو احداد لو كان في كثرة الزوجات فضيلة لكان

مطلب للمؤلف كتاب اسمه القواعد الفروعية وفي القواعد الدمشقية

آدم اولى بها لانه كان واحد العالم لكثرة نسله قلت
اما كون آدم لم يكن له الا زوجة واحدة فلا يدل ذلك على وجوب
الاقتصار على الواحدة قوله ولو كان في كثرة النساء فضيلة
لكان اولى بها اذ كان منفردا ولكثر نسله قلت اما من نسله
فما كان يجوز له ان ينكح ولو عاش الى يوم العامة لانهن بناته
وان سفلن ونكاح البنات حرام فيما علمناه ولم نعلم نبيا وطئ
بنته الا ما حكي في التوراة عن لوط انه احبل ابنتيه وهو سكران
فعلى من قال هذا او صدقه لعنة الله واما من غير نسله
فان يخلق الله له مثل حواء فلجواز ان حواء كانت تكفيه فلم يحتج الى غيرها
لانها خلقت في الجنة وقد ملأ الله من نسلها الدنيا منفردين
فلو كان له غيرها لما وسعتهم الارض فان قيل كيف يمنع
آدم من نكاح بناته وقد زوجه الله حواء وهي خلقت من ذاته
من ضلعه قلنا لانها تباينه من جهة الولادة وحواء
ليست على جهة الولادة وقد فرقتم انتم بين آدم وحواء والمسيح
بهذا بعينه فقلتم المسيح خرج من الرحم فكان ابن الله قوله
خلقت من ضلعها ليبين بذلك تأبيد الصحبة بينهما كتأبيدها
بين اعضاء الجسد قلنا ليس ذلك لهذه العلة بل لما
ذكر في القرآن من قوله تعالى ومن آياته ان خلق لكم من
انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة وهذا
لا يقتضي تأبيد الصحبة وترك الرجل اباه وامه ولزوم زوجته
لا يقتضي ايضا ذلك بل سببه المودة والرحمة بينهما وذلك
مشترك بين المرأة الواحدة والزوجات واما انكاره جواز
الطلاق حيث شاء الانسان فانما استفاده مما حكوه عن
المسيح في الانجيل في الفصل الرابع من انجيل متى ان الفريسيين
قالوا للمسيح ليجربوه هل يحل للانسان ان يطلق امرأته لاجل
كل علة فقال لهم اما قرأتم ان الذي خلق في البدء خلقهما
ذكرا وانثى ومن اجل ذلك يترك الانسان اباه وامه
ويلصق بامرأته ويكونا كلاهما جسدا واحدا وما جمعه الله
لا يفرقه الانسان فقالوا له لماذا موسى اوصى ان تعطى كتاب
طلاق وتخلى قال لان موسى علم قساوة قلوبكم فاذن لكم

ان يطلقوا نساكم ومن البدء لم يكن هكذا واقول لكم من طلق امراته من غير
زنا فقد الجاها الى الزنا ومن تزوج مطلقة فقد زنا لكن الجواب
عنه من وجوه احدها الجواب العام وهو عدم الوثوق بالانجيل
الباقي بقدر الاحتجاج بالانجيل لكن هذا الكلام بعينه مما نقله
متى النهائي فلا يلتفت نسبته الى المسيح ويستبين وجه ما فيه
الثالث الجواب من حيث التفصيل اما قوله خلقهما ذكرا
وانثى وان الانسان يشتد بالالفة بامراته فلا يقتضي عدم جواز
الطلاق ولا يناسبه واما قوله ما جمعه الله لا تفرقه الانسان
فيقول اولا الجمع بين الزوجين ليس حقيقيا كاجتماع بدن الانسان
ونحوه وان سلمناه فهو عام مخصوص يتصور لتبدية كثير من اعضاء
البدن لمصلحة العضو به وغيرها .. واما قوله لم يكن هكذا في
البدء فلا يدل على ذلك ايضا لجواز النسخ واما اعتذاره عن
تجويز موسى الطلاق بعلمه بقساوة قلوبهم الى اخره ففي المناقشة
عليه من وجوه احدها ان قساوة قلوبهم ان كانت مقتضية
لجواز الطلاق فلم لم يجزه المسيح ايضا لذلك ولعل محمد عليه السلام
اجاز الطلاق توسعا على قساوة القلوب من امته فان قيل
نسخ ذلك في دين المسيح قلنا ونسخ ما في دين المسيح في دين محمد
وان لم يكن مقتضية لجواز الطلاق لزم ان يكون موسى شرع غير
الحق لغير موجبه الثاني انه لما جاز ان يكون حقا في دين
موسى فما المانع ان يكون حقا في دين محمد الثالث ان قوله
من طلق امراته من غير زنا فقد الجاها الى الزنا كلام مستدرك
فان ذلك غير لازم من طلاقها لانا اذا ابحنا لها ان تتزوج الغيره
لم يحصل من طلاقه لها الالجاء الى الزنا ثم ان مفهومه جواز طلاقها
اذا زنت وعموم قوله من تزوج مطلقة فقد زنا يقتضي
ان احدا لا يتزوج مطلقة سواء طلقت لكونها زنت او مع
عدم الزنا وذلك يلزم منه الجاؤها الى الزنا اعني جواز
طلاقها اذا زنت والمنع من تزوج المطلقة مطلقا على ظاهر
هذا العموم لانها حينئذ تبقى مطلقة بطالة فيحملها البطالة
على التشاغل بالزنا لا سيما في الوحدة عن لذته فهو ذا لما مات
زوجها

زوجها احوجها البطالة الى ان يعرض نفسها هوزا على الطريق حتى زنا
بها ونحن نبرأ الى الله من هذا ونتهم بان يناقي هذا الكلام من المنافات
وعدم المناسبة بحيث يجب تنزيه السيد المسيح عن مثله والله اعلم
قال وايضا فان الطبيعة لا تجوز الى انسان في فعل التناسل
فينبغي ان لا تكون للرجال الا زوجة واحدة كما قلت هذا الكلف
من الكلام فانه ان اراد انها لا تجوز اتيان اثنتين في حالة واحدة
فهو مسلم لكنه لا يقتضي ذلك الا الاقتصار على واحدة وان اراد
في وقتين فهذا ممنوع وحينئذ يجوز ان يطوف الانسان
في ساعة على جماعة من النساء واحدة بعد واحدة قال
وايضا فان اكثر الحيوانات ليس للذكر منها الا انثى واحدة
مثل الاسد والذئب وغيرهما من البهائم ولا كثر الطيور فالانسان
لخصوصية عقله اولى بذلك قمعا للشهوة قلت جواب هذا
من وجوه احدها انه معارض بما يتخذ الحيوانات عدة اناث
فلم كان التأسي باحد القبيلين اولى من التأسي بالاخر الثاني
ان اقتصار هذه الحيوانات على انثى واحدة هل هو على جهة
قمع الشهوة او على جهة الحيوانية والطبيعة وعدم الشعور
بحقائق الامور فان كان الاول لزم ان تكون هذه الحيوانات
عقلاء كملاء العقل حتى قمعت شهواتها بعقلها وان الدواب اعقل
من ابرهيم حيث كان له قرائنه سارة وهاجر ومن يعقوب حيث
جمع بين خالته ليا وراحيل وجاريتهما في فراش واحد
فضلا عن ان تكون هذه الحيوانات اعقل من بقية عقلاء الادميين
وان كان الثاني لم يصح الاولوية ولا القياس والتنظير
فكونوا وقد جمعهم اسم وبعض الحيوان الهم على راي ونحن وبقية
العالم على راي وموافقة الاكثر اولى من موافقة شرذمة
قليلة تقلد في دينها ودنياها ومعاشها ومعادها حيوانات
بهائم خصوصا مثل السبع والذئب اللذين هما من اوضع الحيوانات
والامهة ولعل هذا من جملة الاسباب الموجبة لاطباق الحكماء
على الاسد لا يطبيعه في الاصل حارة وباقتصاره على انثى
واحدة يقل نزوه فتحتقن الحرارة في بدنه فيشتد القلب

الشاة تواجيد وهذه حقيقة الحمية وقد بينا في أول الكتاب أن من منافع
النكاح تخفيف البدن وتنشيطه فإن قلت والأسد له الشجاعة
والنشاط على الغاية بخلاف سائر الحيوان وما ذكرته يقتضي
تنشطه لثقل بدنه قلت وما ذكرتك لعله لو لكثرة النزو و
حسب ما يقتضيه حاله كان يكون أشجع وأنشط قلت
وأيضا فإن فائدة آلة التناسل في الزوجين الذرية لا اللذة
اللذة وإن كانت تصحبها تبعا لا بالقصد الوضعي فلمن استعمل الآلة
للذة فقط استعمال سوء مائل عن الاستعمال المستقيم ولذلك
هو ذنب قلت هذا ممنوع بل المقصود من آلة
التناسل الذرية واللذة جميعا بالقصد الأول أما الذرية
فبالاتفاق وأما اللذة فلأن الباري سبحانه ابتلى خلقه بمركب
الشهوات فيهم خصوصا هذه الشهوة فإنها أشدها فلو لم يجعل
لها قضاء بها طريقا مباحا للزم منه تكليف ما لا يطاق إذ كان يكون
حال الشخص في النساء مع كثرة نسائها مثل شخص جلس في دار
مملوءة حيات بحيث لا يطأ إلا على جماعة منهن ثم يقال له إياك
أن تطأ منهن شيئا واحترس أن يلدغك ثم قد أجمع الناس على جواز
نكاح العاقر والصغيرة التي لا تلد ومن ارتفع حيضها ونحوهن
فلو لم تكن اللذة مقصودا أصليا لما جاز ذلك وأما قوله
إنه ذنب فجوابه أن يقال هو ذنب إذا كان حراما أو مطلقا
الأول مسلم والثاني ممنوع ولو كان كذلك لم يفعله الأنبياء
وأيضا لو كان استعمال الآلة للذة فقط ذنبا واستعمال سوء مع أن
حصول الذرية منه غير مقطوع به كان في نحو كثرة لأجل الذرية
أو دوام على ذنب محقق لتحصيل فائدة غير محققة وذلك ينافي
السياسة العقلية ثم قال وأيضا لذة اللحم ليس شأنها
اجتلاب فائدة بل دفع الفوائد الروحانية وهي في نفسها
جسمانية رديئة مهلكة فإنها كالخمر تسكر الذهن الإنساني وتذهب
قوته كالضباب تصير العيون مظلمة قلت قد بينا
فوائد هذه الحاسة أول الكتاب ونص عليها الأطباء وعلى
مضار تركها ولو صح ما قاله في دفعها الفوائد الروحانية

لوجب أن تكون مجالس النصارى وغيرهم الذين لم ينكحوا قط أفضل من
الأنبياء كإبراهيم وموسى وهرون ويوشع بن نون والأنبياء الآخرين
وإسماعيل وداود وسليمان والكثير وجماعة منهم ولقد جربت هذا العلج
في أمره يتلونه فإنه تارة نصراني ملك أو غيره وتارة
فيلسوف معطل وتارة عامي جلف نعوذ بالله من التلون
قوله هي في نفسها جسمانية رديئة مهلكة إن أراد بجسمانيتها
فهي صورتها طبعا ورد عليه حالة البول والغوط بل
حالة الأكل لأنها يشبهها لا يقال هذه الأحوال ضرورية طبعا
لأنا نقول مثله هنا إذ النكاح ضروري بحسب الطبيعة
والشهوة تنادي بتركه الذهن في البدن كما سبق وقوله
مهلكة إن أراد هلاك الدين بالتتابع فيها فذاك إنما هو في الحرام
لا الحلال وإن أراد هلاك البدن بإضعافه فذاك يختلف
بحسب اختلاف الأمزجة والعقول والمحمود منه القدر
المتوسط الذي لا ينهك البدن بكثرته ولا يفضي إلى إهمال
الدين بالإقلال منه وحكي أن أبا مسلم الخراساني كان لا يأتي
النساء في السنة إلا مرة ويقول هذا جنون فاكتفي
منه مرة لا يكونه قلت ويغلب على ظني أنه قد كان به علة مانعة
أو فكرة شاغلة فإن قيل فمحمد كان أولى بهذا التماسك
من أبي مسلم لفضله بمنصب النبوة وكثرته في الجهاد وإقامة
الدين وكمال معرفته بأحكام الآخرة قلنا كذلك كان
ولهذا قالت عائشة كان أملككم لإربه لكنه لو بالغ في التماسك
عن هذه الشهوة لشق على أمته التأسي به فإنه كان يطيق
ما لا يطيقون فكان يلزمهم الحرج وذلك ينافي نصوص الشريعة
برفع الحرج فأكثر منه دفعا للحرج عن أمته وأيضا فإنه كان
مشرعا معلما كما قال إنما بعثت معلما وعلمان في صورة
هذا الفعل ما تحتشمه النفوس وتتجنبه منه فجرأهم عليه بإكثاره
منه فعلا وقولا لئلا يتقاصروا عنه حياء أو يتقدموا على
على وهم والجانبين مخرجوا بذلك فأراد أن يوسع عليهم المجال
في الحلال ويخالف أهل الزور والمحال النصارى الضلال

قوله انها الخمر تسكر الذهن الانساني وتذهب قوته قلنا انه صحيح
هذا وهو لا يكاد ان يكون مطلقا على ان الانسان اذا داوم بركة
بعد اعتياده يجد لذلك ثقل بدن وكرب وانقباض نوره
بلا ذه ووسواسا ويحصل له بفعله انشراح وانبساط ولذلك
هو اشتهر ذوو العشاق حيثما ذكر الاطباء قال
ولانها مضادة لانواع السرور الروحانية العلية في تصرف
النفس بالكلية عنها اذ تفسد ذوق القلب فلا يستطيب شيئا
من الخير في العلن وهو ان الذين يستطيبون الامور الروحانية
الى ان لا يستطيبون اللذات الجسدانية بل يكرهونها ويهربون
عنها قلت اما قوله انها مضادة للروحانيات فباطل
بالانبياء اذ هم اعظم للنشر وجانبه ولانوا يستعملون هذه اللذة
وكلما ذكر في هذا الفصل باطل والحق خلافه بل هذه اللذة
اذا استعملت على الوجه الحلال قصد الافراط ولا تفريط
وقصد بها اعفاف الذين وتحصيل الذرية والفرح والتفرغ
قلق الشيوخ لطاعة الباري في النهار والغسق كانت افضل
عبادات لديه ولهذا قال بعض علماء المسلمين ان الاشتغال
بالنكاح افضل من التخلي لنوافل العبادة حسما لمادة فساد
الدين بالزنا ونحوه واما ترجيح الروحانيات عند اصحابها
فلانهم لا يحصلونها الا بعد قهر الطبيعة برياضة البدن وكسر
شرته واضعاف قوته بصيام الهواجر وقيام الدياجي
بقوى قوى النفس على البدن وحينئذ يصير لها له نصيبهم
عنه في الماراد ولو كان ما ذكر صحيحا لوجب حين استعمل الله
لابراهيم واسحق ويعقوب وعلى لموسى وتاخر ان يكونوا يطلقون
نساءهم لا يجمعون بهن ابدا لله قال فقد قال ان اللذة
اللحمية ينبغي ان تبقى بحسب استطاعة الطبيعة واذا كان
الواجب ان تبقى فاولى ان لا تحمل بشيء لاجلها فينبغي ان يعدل
ويمتنع حيث لا يستطاع ان يبقى على كل حال قلت
المسلم له من هذا وجوب ابقاء الحرام وما ينهك البدن اما
غيره فلا وهذا الكلام في التزويج قال وينبغي ان لا يكثر
الزوجات والجواري بل يقتصر على واحدة ولكن يصلح بحسب

الروحانيات قلت هذا حاصل ما ذكره بعد ما سبق من كلام
مختلط متهافت واعلم ان النكاح بالغا ما بلغ منه الانسان لا يشغل عن
الروحانيات لمن له نية صادقة ونفس صافية وهمة عالية
قال ويقال ايضا الشهوة اللحمية اما ان يقال ينبغي
ان تقمع او لا يقال فان قيل لا ينبغي ان تقمع لزم ان تتبع الطبيعة
الانسانية ذاهبة في كل كاسد ولواط وبهيمية وان قيل
ينبغي ان تقمع لكن باستعمال النساء والجواري الكثيرة كما قال
محمد فهو مردود بوجوه الاول ان الشهوة مستمرة لامر
النسل فينبغي ان يكون للمراة ازواج كما للرجل زوجات ولم
يقل به احد الثاني ان المراة الى الزنا اقرب من الرجل
لوفور شهوتها ونقصان عقلها فاحتياط للرجل بكثرة النساء عكسه
ان كانت واحدة مريضة او عاقرا لا تحمل فوجد الاخرى صحيحة
تحمل لزمه ان يجعل للمراة ازواجا حيث ان كان احدهم مريضا
او غائبا وجدت الاخرى تصونها عن الزنا الثالث ان الكلاب
البالي في ذات اروب مثل البهائم تعلك وطيور السماء برتك
قال والبهائم وطيور السما يتبع عادة اباها ينبغي لنا
ان نتبع عادة ابينا ولم يكن له الا زوجة واحدة الرابع
ان تكثير الزوجات والجواري موجب لتحاسدهن وتشتت
قلوبهن والغضب والقطيعة وذلك شر والله اخبر محض
فلا يفعل الشر ولا يامر به قلت الجواب عن هذا
انا نقول يجب قمع هذه الشهوة بالطريق الشرعي وهو النكاح
والتسري او الصوم لمن لا يقدر على ذلك قوله الشهوة
مستمرة لامر النسل قلنا نعم قوله ينبغي ان يكون للمراة
ازواج كما للرجل زوجات قلنا هذا كان مقتضى العدل
لكن منع منه مانع اقوى منه وهو اختلاط المياه واشتباه
الانساب ونحن شرعنا مبني على مراعاة المصالح والمفاسد
فاذا انفردت المصلحة حصلناها او المفسدة نفيناها وان
تعارضتا فان رجحت المصلحة حصلت او المفسدة نفيت
وان تساوتا تخيرنا وها هنا تعارضت مصلحة العدل
في النساء بتسويتهن بالرجال في تعدد الازواج ومفسدة

اختلاط الاسباب لكن ترجحت هذه المفسدة فنفاها الشرع
وحفظ المرأة وتحصينها عن الزنا يحصل باحجابها في البيت على حسب
الامكان على انها لو كان لها ازواج لما تركت الزنا بالكلية كما ان
الرجل على ما هو مشاهد وان كان له زوجات لا يتركه بالكلية
بل يطمح الى غيرها من ذكر وانثى لواطا وزنا لكن غاية ما يقال
ان على تقدير كثرة ازواجها كان يكون دواعيها الى الزنا اضعف ويكون
وقوعه منها اقل لكن يعارضه مفسدة اختلاط النسب وتغاير
الرجال الذين نفوسهم اقوى وهممهم اعلى من همم النساء ثم انهم لم
يقولوا بذلك من جانب الرجل وهذا سؤال قد احكمت الجواب
عنه في اوائل الفوائد وما طلب ان احدا اورده لكن فرضته
واجبت عنه وبهذا حصل الجواب عن سؤاله الثاني
واما الثالث فقوله في كتاب ايوب على تقدير الوثوق
بصحته فليس المراد به ان الطيور تعلمه امر دينه والاحكام
هذا م الشرعية ثم هو مطلق لا عموم له فلم قلت ان سؤالها يعني
ان يكون عن الحكم بل لعلة التوكل من حيث انها تصدق بتوكلها
تغدو خماصا وتروح بطانا فيأمره ان يكون في التوكل مثلها او
غير ذلك فقد قال الله تعالى في القران وما من دابة في الارض
ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ٥ واما قوله
ينبغي ان يتبع عادة ابناء الامصار على واحدة فجوابه
من وجهين احدهما ان يقول له هات لنا مثلك جوابا
حتى تعتمد عليها ٥ الثاني ان شرعنا امرنا بمتابعة
الحق بالحجة وقد نعى على مقلد الاباء بقوله قالوا بل نتبع ما
وجدنا عليه اباءنا في ايات كثيرة ٥ واما
السؤال الرابع فان يكثر النساء وان كان موجبا للتغاير
بينهن وتقاطعهن لكن هذه مفسدة عارضتها مصلحة ارجح
منها وهو تحصين فروج الرجال وازديادهم ولم يعارض هذه
المصلحة مانع اختلاط النسب كما عارضتها في حق النساء
تحصلت هذه المصلحة الراجحة لما قررناه من مراعاة
شرعنا للمصالح واعلم انا بحمد الله اهل صدق وعدل
وانصاف وعلى ذلك اسسنا دين الاسلام ولا نشك

انا نرى غالب الناس من المسلمين وغيرهم مع اباحة التزوج والتسري
لهم قد استحوذ عليهم الشيطان حتى يترك احدهم ما يحل له من ذلك
وان كثر ويعدل الى الزنا بالنسوان واللواط بالغلمان فلو
حصروا في واحدة كما اشار به هذا الخصم لعمري لقد كانوا يتبون
على الشيوخ والكهول والشبان والبهائم في البر والحيتان
في البحر فكان فيما جاء به دين الاسلام من تكثير مجالات النكاح
عليهم تقليل لهذه المفسدة ولعل هذا النصراني غرته اختيار
رهبانيتهم للسيح والديارات فظن ان ذلك يمنعهم عن الفجور
ولو علم انهم يدبون على الشباب ميتة وكل صبي وشيخ يدخل اليهم
لاجاز لهم التزوج بعشرين ولولا ما هم فيه من الرياضة وكونها
لدبوا على الحمية المذبح ٥ قال وفي سورة البقرة
نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم قال التفسير يعني من
اي وجه شئتم مقبلة ومدبرة قال وهذا تعليم يستنكف
منه البهائم فضلا عن ان الله يعلمه خلقه ٥ قلت هذا
بيان نقصي غباوة او عناد فان لهذه الاية اسبابا تقتضي ما قصمه من الحكم
منها ان اليهود كانت تقول اذا جامع الرجل زوجته من
دبرها في قبلها جاء الولد احول فرد الله تعالى بهذه الاية ان لا
اثر لذلك بل للرجل ان ياتي امراته مقبلة ومدبرة ومن دبرها بشرط
ان يكون في القبل ٥ الثاني ان المهاجرين كانوا يجبون
نساءهم يعني يأتونهن مدبرات في القبل فلما جاؤوا المدينة
جعلوا يفعلون ذلك بازواجهم من الانصار ولم يكن لهن به
عادة فاخبرن بذلك النبي عليه السلام ووقع فيه الكلام
فبين الله حكمه ٥ الثالث ما روى ابن عباس قال جاء
عمر فقال يا رسول الله هلكت قال ما اهلكك قال
حولت رحلي الليلة فانزل الله هذه الاية فأتوا حرثكم
انى شئتم اقبل وادبر واتق الدبر والحيضة ٥ رواه الترمذي
والنسائي ٥ وحينئذ نقول ما المحذور في ان الله سبحانه
بين له في كيفية الوطء ما ينبغي وما لا ينبغي واما استقبح هذا
الخصم هذا فانا نجيبه بان الفاسد في ان اللذة ليست مقصودة
لذاتها في الجماع وقد تعدم معه وما جعل النساء الا للمتعة

على ان النساى قد روى في سننه الكبير عن ابن عمر ان رجلا اتى امراته
في دبرها على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فوجد النبي لذلك وجدا شديدا
فانزل الله سبحانه فاتوا حرثكم انى شئتم ويصحح بهذا اتيان
المراة في دبرها وتعزى الى مذهب مالك واهل الحجاز
وهذا اشد واغلظ على النصارى . قال ـــــ وفي هذه
السورة الطلاق مرتان الى قوله فان طلقها فلا تحل له من بعد
حتى تنكح زوجا غيره وذكر حديث امراة رفاعة القرظي
حتى يذوق عسيلته وتذوق عسيلتك . وكان قد علمنا ذكره
امكان فراق المراة بالطلاق او المرض او العيب ونحوه
قال ـــــ ولو جاز ترك المراة لاجل شيء من العيوب لجاز للمراة
ترك الرجل لذلك لانها احوج الى الرفق بها لضعفها فكان
ينبغي ان يجاز للمراة ذات العيب لاجل الضرورة ولا يفارق
لا واحدا لمتعاهدين اذا فارق صاحبه حال المرض والضرورة
غدرا قاسيا خائنا . قلنا ـــــ اما الطلاق فجائز باجماع
المسلمين وقد تقدم البحث معه فيه وان النكاح عقد معاوضة
في الحقيقة فجاز فسخه كالبيع نعم جاء في الحديث عن النبي صلى الله
عليه وسلم ابغض المباح الى الله الطلاق وعليه اشكال وهو
ان البغضة تقتضي الكراهة والاباحة تقتضي التسوية فالجمع
بينهما متعذر . واجيب ـــــ بان المباح قد يراد به ما تساوى
الطرفين وقد يراد به القدر المشترك من المتساوي الطرفين
وراجح الترك وراجح الفعل من غير جزم وبهذا يستقيم
معنى الحديث لانه يصير تقديره ابغض ما للانسان فعله
الطلاق وهو اعم من المتساوي وغيره . قوله لو جاز
ترك المراة لعيب ونحوه لجاز لها ترك الرجل قلنا
هكذا نقول على تفصيل فيه تقريره مختصرا ان العيب في
احد الزوجين اما ان لا يخل بمقصود النكاح او لا فان لا
يثبت به الفسخ او يخل بذلك فيثبت به اقامة للعدل
وازالة للمكروه عن المكلف . ثم العيوب الموجبة للفسخ
اما خاص بالرجل كالجب والعنة او بالمراة كالعتق
و

والرتق او مشترك بينهما كالجنون والجذام والبرص . ولكل من الزوجين
فسخ نكاح صاحبه لما يخل بمقصود النكاح من ذلك . قوله
تمكن المراة للضرورة ولا يفارق قلنا فيه الزام للرجل بمكروها
له فيه متزوجه وذلك ينافي العدل . قوله احد المتعاهدين
اذا فارق صاحبه حال الضرورة غدر قاسيا خائنا . قلنا
النكاح من باب العقود العوضية لا من باب العهود والعقود .
يجوز فسخها بعيب واتفاقه فلذلك النكاح يفسخ بالعيوب
والخلع وهو نظير الاقالة في البيع ونحوه والفرق بين العقد
والعهد ان العقد يتضمن عوضا والعهد لا يتضمن عوضا وقد امر
الله بالوفاء بالامرين الوفاء بالعقد الفسخ عند قيام المقتضي
له . ولو كان اجتماع الزوجين على صحة العهد على ما ذكرنا
لكان جائزا اما باجماع المسلمين وحينئذ نقول لنسخ العقد
لا فسخ فيه ولا خيانة بل انما ذلك في العهد . فاما
قوله تعالى واخذن منكم ميثاقا غليظا فقال المفسرون
عقدا مؤكدا وهي كلمة الله التي اخذها للنساء على الرجال
وهي الامساك بالمعروف او التسريح بالاحسان قال
قتادة وكان ذلك يؤخذ عند عقده النكاح نعم ان شرط في
العقد ان لا يفسخ احد الزوجين بعيب ظهر بصاحبه
فان قلنا لا يفسخ بالعيب الحادث كان هذا الشرط
مؤكدا للحكم وان قلنا يثبت به الفسخ احتمل ان يلزمهما
موجب الشرط لقوله عليه السلام المسلمون على شروطهم واحتمل
ان يبطل النكاح من اصله بناء على الشروط الفاسدة في العقود
واحكام الانكحة الفاسدة معلومة ثم ان كثيره ينقض بالملك
مع المسيح حيث آمنوا به وبايعوه على دينه ثم لما قبض
اليهود عليه فروا عنه خصوصا بطرس التلميذ الكبير الذي
قال له لو انكرك كل احد لما انكرتك ثم انكره قبل صياح
الديك ثلاث مرات فهذا هو ترك العهد لا طلاق الزوجة
وفراق الزوج باذن الشارع الذي كان باذنه قلنا وطلاق الزوجة
والزوجين وغيرهما باذن الشارع الذي هو الله المسيح ومحمد
العالمين فان منعوا ان ذلك باذن الله

عدنا الى النزاع في تصديق الرسول وخرجنا عن مسألة انكار الطلاق وذكر
فان قيل ثم ان جاز ان يترك المراة بلا سبب او بسبب ضعيف
في ملة المسلمين افضى ذلك بسبب الهجرة والغضب الى تبديل
الزوجات الكثيرة وتخبيثهن واحدة بعد اخرى وافتضاض الابكار
وتركهن وذلك يورث البغض بين النسا وازواجهن واقاربهن
وذلك خلاف الدين الطبيعي والصيانة والمروة قلت
اما افضا ذلك الى تبديل النسا فلا محذور فيه بنا على
ما ذكرنا ان النكاح عقد والمراة معقود عليه كالفرس
والشاة لا فرق بينهما الا ان هذه في الحسن بخلاف الفرس
واما تخبيثهن فالنكاح لا نجاسة فيه واما هذه لفظة
استعارتها النصارى من قول يعقوب لابنه روبيل وطئت
سريتي ونجست فراشي وهذه حكاية باطلة ثم لو صحت كان
التنجيس هنا مجازا عن انتهاك حرمة فراشه والحاق العار
به لذلك والعلاقة المجوزة فيه ان تاذي الانسان بلحوق العار
كالتاذي بلحوق النجاسة وان تفاوت الاذيتان او يكون
اراد كنجاسة الفعل يعني قبحه لا سريان النجاسة والفعل
القبيح في القبح واما افتضاض الابكار وتركهن فتلك
منفعة امتن الله بها خلقه فالمانع منها متحجر فضولي والدليل
على ذلك صريح العقل فان الخلق كلهم ذكورهم واناثهم عباد الله
واماؤه فاذا ابيح لعبده بوطء امائه على وجه مخصوص جاز
كان الواحد من الخلق يجوز ان يهب لعبده الف جارية له
يقول افعل بهن ما شئت فانه يجوز ان يتصرف فيهن بسائر
التصرفات من بيع وعتق ووطء للبعض دون البعض او للكل
والانتقال من واحدة الى واحدة وغير ذلك فان نازعونا
في ان الله سبحانه اذن لنا في ذلك خرجنا عن المسألة كما سبق
واما قوله ذلك يورث البغض بين الرجال ونسائهم
وازواجهن فممنوع وبيانه هو ان الشرائع فوائد منفعة لا حرج
عليها يهون اهلها فاذا علم الناس من شرعهم جواز التزوج
والطلاق وافتضاض الابكار وتركهن وجب عليهم ان

لا يتباغضوا لذلك ولا يتجافوا قدر الواجب عليهم ان لا يتباغضوا لتادية الحقوق
المالية كالديون ونحوها وان كان اداؤها على خلاف الطبع وما
فائدة الشرع الا كف الطباع عن الشر الذي جبلت عليه وهذا
منه فان غلبتهم النفوس على البغضاء والحقد بالطبع كان ذلك
مزاحمة للشرع فتعصى فيه ولا يكون بفعله اعتبار كما انه
لما حرم اخذ المال بغير حق كان فعل قطاع الطريق ونحوهم
اثما عليهم يستحقون به العقوبة وهو ساقط الاعتبار لا يعد
ملكا ولا يجيز تصرفا وبعد فان الطبايع لا يلزم موافقتها
للشرايع فما وافق الشرع منها كان حقا كالنكاح وما خالفه
كان باطلا كالسفاح ثم هذا معارض بان الطلاق اذا كان يفضي
الى التباغض فلزوم النكاح ابدا او الحبس على زوجة واحدة
يفضي الى نكرة كل منهما بالاخر وتبرمه به وتضجره منه وقد
ان يطيب مع ذلك عيش لهما فضلا عن ان يدوم المسك
وربما انتفى لذلك مقصود النكاح وربما افضى الى مفارقة
الدين كما حكي ان بعض النصارى تزوج امراة فلما دخلت
عليه راها عورا فقال عورا تا قالت بلشتا قال محمد عبد الله
على الباب ثم خرج فاسلم فخير الدين فيها فلو كان سادر النصارى
فسحة في الطلاق لقال عوض كلمة الاسلام انت طالق ثم
استراح منها ولم يحتج الى فراق دين يعتقدونه حقا الى دين يعتقدونه
باطلا مع ان فراق كل شي في الدنيا اهون من فراق الدين فان
قيل نحن مع قولنا بلزوم النكاح ابدا او ارتباط الرجل
على زوجته نوجب على كل منهما احتمال صاحبه وعشرته بالمعروف
وان لا يتبرم به ولا يتضجر منه فان خالف ذلك كان فعله خلاف
الشرع وهو غير معتبر قلنا فيقال في الطرف الاخر
هكذا وهو انا اذا اجزنا الطلاق والفراق اوجبنا على الرجال
والنسا ان لا يتباغضوا ولا يحقد بعضهم على بعض فان خالفوا ذلك كان
فعلهم على خلاف الشرع وهو غير معتبر ثم نرجح ما قلناه بوجهين
احدهما انه اذا لم يكن بد من البغضة الطبيعية فتباغض
الزوجين بعد ان يصيرا اجنبيين اسهل من تباغضهما في عصمة
النكاح مجتمعين لافضا ذلك الى نكد عيشهما باجتماعهما وربما

غلبت المرأة لو فرض شهوتها وقلة دينها وعقلها على ان يعمل زوجها
سم او غيره ليستريح منه ويصير الى غيره ولم يقدم مثل هذا
وذلك مأمون بعد الفراق في البلاد الى ان الفرقة عذاب
والعذاب موجب فاذا افترقا ربما استعاد احدهما للآخر
فعادا بعد نكاح جديد او قبله بخلاف ما اذا داما مجتمعين فانه
لا يرجى لهما استقامة بل كلما جاء في ساعة وملك وليضجر
ويتبرم والله اعلم قال ـــــ وايضا ما اشد ما يكون طلبه
النساء بوقوع الطلاق عليهن بلا ذنب قلت ـــــ هذه غفلة
عن الصواب فان الطلاق فسخ عقد معاملة لا ايقاع معاقبة
وانما يكون كلما ايقاع العقوبة بلا ذنب ولو كان الطلاق عقوبة
لوجب انها اذا اذنبت وخبثت فراشه يكون اسداله
لها افضل في حقه للاجماع من عقلاء العالم ان الحلم عن المذنب
افضل من العقوبة عليه وهذا لا يقول به عاقل اللهم الا ان
يكون [illegible] ناقصة النفوس قد بلغت بالنصارى الى رتبة القيادة
والصبر على الدياثة فقد قال بعض الحكماء ان لذبائح الامم
الشهوات اكل اللذائذ فاورثتهم [illegible] فالترك الشهوات اكل
لحم الخيل فاورثتهم القوة والقسوة والعرب الشهوات لحم الابل
فاورثتهم الجلد والكرم والحبشة الشهوات لحم القردة
فاورثتهم الرقص والنصارى الشهوات لحم الخنزير فاورثتهم
الدياثة وعدم الغيرة وينقل القرطبي في تفسيره عن محمد بن سيرين
انه قال ليس شيء من الدواب يعمل عمل قوم لوط الا الخنزير
والحمار فلعل النصارى ورثوا من اكل لحم الخنزير اللواط بنسائهم
حتى اكتفوا بالواحدة من نسائهم وعدم الغيرة حتى صبروا على
القيادة قال ـــــ وايضا ان هذا افضى الى انقطاع
النسل الذي هو اعظم خير في الزواج اذ يجوز لكل واحد منهم
في اليوم ان يتزوج اربعا ويطلقهن ويأخذ اربعا غيرهن كذلك
في جميع زمانه وهذا ليس سنة العقلاء والاعفاء بل سنة
الفجار والعواهر بل سنة الكلاب والحمير قلت ـــــ
هذا جهل منه بحكم دين الاسلام فان الرجل لو تزوج اربعا وطلقهن
في يوم واحد جاز ذلك له والنسب محفوظ بوجوب العدة

التي يتبين بها الحمل فيلحق بابيه وان لم يكن حمل فلا محذور وحينئذ يكون فهمه
هو فهم الكلاب والحمير لا سنة المسلمين قال ـــــ وايضا ما اقبح
واشنع توقف رجوع المرأة بعد طلاقها الى زوجها على نكاح زوج
غيره اذ تأبى ذلك نفس الرجل والمرأة وذلك خلاف الطبيعة
بالنسبة الى الناس بل الى كثير من الدواب والطيور كالاسد
والديك فان رجلا واحدا من اشخاص هذه الانواع لا يتعدى الى
انثى الآخر قلت ـــــ لو عقل هذا العلج لكفاه هذا الحكم
في الدلالة على حكمة شريعة الاسلام وصحتها ولكن لقد اسمعت
لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي وبيان ذلك ان الشارع
لما علم من طبيعة البشر كراهة ذلك والنفور منه جعله شرطا
في جواز نكاح الرجل زوجته ليكون ذلك مانعا له عن المبادرة
الى طلاقها وحاملا له على الصبر على عشرة الازواج بالمعروف و
احتمال بوادره وسوء اخلاقه فكان اشتراط نكاح المرأة
زوجا غير مطلقها مفضيا الى بقيته وتقليله جدا حتى ان هذا
انما يقع في النادر بالنسبة الى كثرة الانكحة والطلاق و
نظيره القتل بالقصاص فانه نافٍ للقتل بالعدوان ومقلل
له والى هذا الاشارة بقوله تعالى ولكم في القصاص حياة وبقول
العرب القتل انفى للقتل وبقول الشاعر
فسفك الدما يا جارتي تحقن الدما وبالقتل تنجو كل نفس من القتل
واما الاسد والديك ونحوهما فليسوا مكلفين بشرع حتى
يحفظهم ما يمنعهم من المبادرة الى الطلاق وفي كتاب التنافس مسلم
قال سئل ابن عباس عن متعة الحج فرخص فيها وكان
النهي عن ابن الزبير عن جابر قال كنا نستمتع بالقبضة من التمر
والدقيق الايام على عهد رسول الله وذكر حديث
الربيع بن سبرة الجهني وحديث عمران بن حصين قال انزلت
اية المتعة في كتاب الله ففعلناها مع رسول الله ولم ينزل
قرآن يحرمها ولم ينه عنها حتى مات قال فهل فاحشة او
نجاسة اكبر من هذا الفعل في الكلاب ان يعطي الانسان
المرأة ما ترضى به فيزني بها هذا مشرع الزنا لا غير هذا
امر الشيطان لا امر الله وهذا هو المتعة والعقلاء من المسلمين

او لما كان ذلك مما ليس في طبيعة ما

يستنكفون من ذلك واكثر من اهل الحجاز ومكة يفتون عليها الى الآن
قلت هذا غلط منه على الشريعة حيث جعل المتعتين واحدة
واما المتعة في حديث ابن عباس فهي نسك من انساك الحج و
هو قرينة الافراد والقران وصورتها ان يعتمر اولا ثم يحل
ثم يحرم بالحج. واما المتعة في الاحاديث الاخر فلا شك
انها ثبتت في اول الاسلام لضرورة وهو غيبتهم عن اوطانهم
في الجهاد وحاجتهم الى النساء فرخص لهم فيها بشهادة عدول وصورته
فكان ذلك خيرا مما يفعلونه زنا محضا ثم نسخ ذلك في عهد النبوة
وليس عليه اليوم من المسلمين الا شرذمة قليلة والكثير يقول به
الرافضة. واما حديث عمران بن حصين وانه نهى عنها حين مات
فلانه لم يبلغه النهي عنها وقد بلغ غيره ينقله على ان المحاسن
شرعا وعقلا جواز المتعة واما منع الشرع منها بعد الما
شرعا فلان الله انما حرم الزنا والمتعة ليست زنا لان الحد
فيها ساقط والنسب لاحق والزنا ليس كذلك. واما
عقلا فلانها منفعة من منافعها يجاز معاوضتها عليها مطلقا
كالخدمة بل الزنا ليس قبيحا عقلا اذ ليس فيه الا انتفاع كل
من الشريكين بالاخر وانما قبح شرعا ثم تلقت العقول قبحه من الشرع
ونفرة الطبع. واما تشنيعه بالمتعة فقد بينا في غير
موضع ان في التوراة ان يهوذا بن يعقوب لقي كنته ووجد
انه على الطريق في صورة زانية فوطئها على ان يعطيها جديا
من الغنم ثم رهنها عليه عمامته وقضيبا تبعه. وهذا اصرح المتعة
بل صورة الزنا والجواب مشترك وايضا المتعة احسن حالا
من وطء تزويل يعقوب جارية ابيه لانه زنا محض انتهى
قال وفي كتاب العقول البخاري عن ابي هريرة قال
قال النبي ان الله تجاوز لامتي عما وسوست به صدورها
ما لم تعمل به او تكلم. قلت لا اعلم ما وجه ايراده لهذا
الحديث الا ان يكون انكارا لوسوسة الشياطين او للعفو
عنها بناء على انه لم يذكر فيها شيئا. فاما الشياطين ووسواسها
فثابت. واما عدم ذكر ذلك في شريعتهم فاحتجاج بالعدم

وقد سبق في غير موضع انه اعتماد على الجهل هم وذكر
احاديث العزل وعدمه عندهم ما جنه يحصل الذرية
فلعلهم لذلك يمجوه ولا شك انه من المسائل من فروع الشريعة
وفيها خلاف فقيل يجوز مطلقا وقيل لا يجوز مطلقا وقيل
يجوز باذن الزوجة واذن سيد الامة. ومسئلة
فيها هذا الخلاف في الحكم والدليل لا تزيد دامة لشريعة
ثم اذا وافقناهم فاما ان نمنع قبح العزل وتحريمه
ونطالبهم بالدليل على ذلك فلا يستطيعونه وليس فيه الا
وهم الاحتشام الطبعي ولو كان ذلك موجبا للعار لوجب
ان يكون نفس الجماع عارا وقد بينا بطلانه واما ان نسلم
تحريمه ونحتج عليه بما روى ابو سعيد قال ذكر العزل
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لم يفعل احدكم
فانها ليست نفس مخلوقة الا الله خالقها. اخرجاه في الصحيح
ورواه ابو داود والنسائي والترمذي وصححه فقوله
لم يفعل استفهام انكار وذلك يوجب المنع وان فيه
فرارا من القدر وهو حرام ونوع عبث اذ لا فائدة له اذا
كان لا مانع لما اراد الله خلقه ثم يجعل هذا ناسخا لاباحة
الاباحة فلا يمكنهم النزاع في ذلك والله اعلم. قال
وفي سورة النساء واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم الى
قوله واللذان يأتيانها منكم فآذوهما وذكر ما قاله
المفسرون في الاذى انه التعيير والتوبيخ او السب والجفا
او النيل باللسان واليد والضرب بالنعال ونحوه قال
وفي هذا تكثير للزنا لطمع الزاني بتعذر اجماع اربعة شهود
غالبا في قضيتها وطرحها لضعف هذه العقوبة اذ لا
تزجر مثلها عن هذا الفعل وشريعة الزنا ووقوعه في
الخلق امر مغضب للرب وموجب حلول نقمته وسخطه
فينبغي ان يحتم بتشديد العقاب حتى لا يقع او لا يقع الا نادرا.
قلت قد تبين بهذا السؤال ان هذا السهو قد
كان باخذ ما يورده على الشريعة من كتب التفسير والحديث
من غير ان ينظر في كتب الفقها اذ لو نظر فيها لعرف احكام

الشرع لم يورد هذا الزور والمحال ولعمري ان الكتاب والسنة
وان كانا اصل الشريعة ومادتها لكن اقتباس الاحكام منهما
يحتاج الى تصرف في التركيب كما ان مفردات الادوية مادة ولا بد
في الانتفاع بها من تصرف في التركيب ولذلك مقدمات الدليل
مادته ولا ينتفع بها في اثبات الحكم الا بمعرفة تركيب الدليل
منها وكذا الكلام في مفردات كل مركب واذا عرفت
هذا فحكم دين الاسلام في الزاني ان كان محصنا الرجم حتى
يموت وهل يجلد قبله فيه خلاف على قول وان كان بكرا جلد مدو
مائة وغرب عاما الى مسافة القصر لان قوله تعالى فان شهدوا
فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا
السبيل هاهنا مجمل بينته السنة فيما روى عبادة بن الصامت
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا عني قد جعل
الله لهن سبيلا الثيب بالثيب جلد مائة ثم الرجم والبكر
بالبكر جلد مائة ونفي سنة رواه مسلم وابو داود والنسائي
وابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح وفيه احاديث
غير هذا وبهذا تبين ان ما ذكر في تفسير الاذى ضعيف
لا يثبت او منسوخ بهذا الحديث او محمول على البكر او على
انه يتعلق بالزانيين ولا يقتصر لها عليه بل يقام عليهما
الحد كما ثبت به السنة في بيان السبيل لهن واما قوله في
اعتبار الاربعة بكثرة الزنا للطمع في تعذرهم فجوابه
انا قد بينا ان شرعنا مبني على مراعاة المصالح والمفاسد وترجيح
بعضها على بعض ولا شك ان اعتبار الاربعة في الزنا وان كان
مفضيا الى تكثيره بما ذكرت لكن الزنا تتبعه مفاسد
عظيمة منها ضياع النسب ومنها لحوق العار
بالزانية واهلها ومنها وجوب القتل عليها او الجلد
الذي يفضي الى القتل ومنها سلب العدالة فيحرم
عليه رد الشهادة وسلب اهليه الولايات الدينية والدنيوية
وهذه المفاسد كلها راجعة الى حقوق الادميين فكان ما يتعلق
ثبوت الزنا بتكثير الشهود لتعلق هذه المفاسد في الحكم
واما معصية الزنا الواقع في نفس الامر فالعقوبة عليه

خو

خوف الله والدنيا ليست دار جزاء انما هي دار تكليف فتاخر حق الله
الى الاخرة لصبر الله فيعاقب او يعفو ولهذا غالب المعاصي
لم يشرع فيها عقوبة في الدنيا الا فيما كان فيه افساد لنظام العالم
فشرع فيه العقوبة لذلك واخر حقوقه في سائر المعاصي
الى الدار الاخرة دار الجزاء ولهذا لا يوجد في كلام المسيح ترتيب
عقوبة دنيوية على شيء من المعاصي بل انما توعدهم بالظلمة
وصرير الاسنان على ما تضمنه الانجيل وما تضمنه دين النصارى
من الاحكام الدنيوية فهو اما متاول من التوراة او من جهة علمائهم
على جهة السياسة بناء على قول المسيح ما حللتموه في الارض فهو محلول
في السماء وما ربطتموه في الارض فهو مربوط في السماء مع ان دين
الاسلام مبني على اثبات الستر والاغضاء ومكارم الاخلاق
لطفا من الله بخلقه ولولا ما في المعاصي ذوات الحدود من
المفاسد الدنيوية لما شرع فيها حد والجواب عن هذا السؤال
ذكرته مبسوطا في القواعد الدمشقية وانما اشرت اليه
هنا اشارة قال ________ وفي الموطا عن زيد بن اسلم
ان رجلا سال رسول الله فقال ما يحل لي من امراتي وهي
حائض فقال رسول الله لتشد ازارها ثم شانك باعلاها
قلت ________ لانه يستمتع منها بما دون الحائض قلت
وهذا لا محذور فيه لانا اجمعنا على جواز وطء المراة اذا
لابست طاهرا والحيض انما اختص بالفرج وقضية العقل ان
المانع يختص تاثيره بمحله ما لم يقم دليل على تعدي حكمه وذلك
يقتضي اختصاص الفرج فقط بالاجتناب في زمن الحيض وبقية
البدن يجوز الاستمتاع به وكذلك نص القران ويسالونك
عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض يعني موضع
الحيض وهو الفرج وفي حديث صحيح اصنعوا كل شيء ما خلا
النكاح وفي حديث عمر اتق الحيضة والدبر اللهم الا ان
يكره هذا للوطء في غير الفرج ليس محلا لزرع الولد فتضييع
الماء ويصير بمثابة العزل بناء على ان مقصود النكاح الاصلي
انما هو الولد لكن بعد هذا فيه فمعناه وسياتي الجواب عنه
قال ________ وفي كتاب الرجم من مسلم ان سعد بن عبادة قال
لرسول الله ارايت لو اني وجدت مع امراتي رجلا امهله
حتى اتي باربعة شهداء قال له رسول الله نعم قلت

وقد عدم هو وجه السؤال عن هذا وهو بلغ الزنا وقد مر
جوابه قال ... وفي حديث ابي موسى حيث جاء يستحمله
فقال والله لا احملكم ثم حملهم فسالوه فقال ما انا حملتكم بل
الله حملكم واني والله ان شاء الله لا احلف على يمين فارى غيرها احسن
منها الا كفرت عن يميني واتيت الذي هو خير. قلت
وجه سؤاله هذا ان الحنث في اليمين استخفاف بحق الله وهو من
تعظيمه بنا على ما عندهم في الاحكام عن المسيح انه قال سمعتم
ما قيل للاولين لا تحنث في يمينك واوف الرب قسمك
وانا اقول لكم لا تحلفوا البتة لا بالسماء فانها كرسي الله ولا
بالارض لانها موطئ قدميه ولا بيروشليم فانها مدينة الملك العظيم
ولا براسك تحلف ولتكن كلمتكم نعم نعم ولا لا وما زاد على ذلك فهو من
الشرير. والجواب ان دين الاسلام مبني على رفع الحرج و
الضيق بنا على ان الغرض من تكليف الخلق تعظيم الله والانقياد له
في الحقوق المشقة لهم بذلك فمتى امكن الجمع بين تعظيمه تعالى ورفع الحرج
عن المكلف كان ذلك حسنا جائزا وتعظيم الله سبحانه في باب الايمان يحصل
اما بالتزام العقد معه بان لا يحنث فيها مثل ان يحلف ان
يفعل فيفعل او لا يفعل فلا يفعل او بالتكفير ان خالف ما حلف
عليه لان في التزام التكفير بخروج المال المحبوب طبعا او بالتعبد
بالحاق المشقة بالصوم للبدن تعظيما لله سبحانه ولا بد وقد
نص عليه القران ولعل التعظيم بذلك اشد من التعظيم
بالتزام ما حلف عليه اذ قد يحلف ان لا ياكل هذه اللقمة فتركها
عليه يسير غالبا فاذا اكلها لمصلحة دينية واعتق عوض ذلك
رقبة او اطعم او كسا عشرة مساكين او صام لله ايام متتابعة
كان ذلك لا شك ابلغ في تعظيم الله جل جلاله وتبارك اسمه
واما ما ذكروه عن المسيح من قوله لا تحلفوا بالسماء فانها
كرسي الله فكلام فيها ... لا يليق نسبته الى المسيح وبيان سخافته
انه في سياق عيسى اذ النهي عن الحلف بالسماء يقتضي عدم تعظيمها
وكونها كرسي الله يقتضي تعظيمها وجواز الحلف بها ثم ان هذا الكلام
في الفصل الخامس من انجيل متى وهو مناقض لما في الفصل
السادس والعشرين منه حيث يقول من حلف بالسماء فهو يحلف
بكرسي الله وبالجالس عليه فانه يقتضي صحة الحلف بالسماء

وجوازه وان الحالف بها حالف بالله سبحانه فانظر الى العاقل الى هؤلاء
الذين يعدون في دين الاسلام بهذا الكلام المتناقض لمهاوته وذكر
حديث قتل كعب بن الاشرف وان محمد بن مسلمة خدعه حتى استنزله
فقتله وذلك بان النبي عليه السلام ... ووجه السؤال
منه انهم خدعوه بان محمدا امن وسلم نفسه اليهم ثم قتلوه
وهذا غدر. قلت وجوابه من وجهين احدهما ان هذا
من باب الخديعة في الحرب وهو جائز في دين الاسلام وقد قال
النبي عليه السلام الحرب خدعة وغاية ما في الباب انه كذب
لكن الكذب ليس قبيحا لذاته عندنا بل لما فيه من المفسدة فاذا تضمن
مصلحة دينية وهو انه كان يهجو النبي عليه السلام والمسلمين ويغري
سفهاءهم في شعره وياخذ اعراضهم وهو يهودي ملعون من اعدا
المسيح وملته على زعمكم وبعض هذا اوجب قتله وقتل كل يهودي
في وجه الارض واجمع العقلاء على ان الكذب واجب على من راى
ظالما يتبع نبيا او وليا او مظلوما ليقتله اذا سال عنه
فليصدق عنه بالكذب ولو صدق حتى قتل ذلك المظلوم لاثم بالصدق
قال العلماء الكذب واجب ومندوب ومباح وحرام
فالواجب في الصورة المذكورة انفا والمندوب الكذب
للاصلاح بين المؤمنين وفي الحديث الصحيح ليس بالكاذب من اصلح
بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا والمباح كذب الرجل
لامراته في الوعد والتاميل ليكف شرها عنه او لا تكدر عليه
والحرام ما سوى ذلك وهو كل كذب لم يتضمن مصلحة
راجحة على مفسدته وقد صرحت التوراة بان ابراهيم واسحاق
جميعا قال كل منهما عن زوجته انها اخته حين خاف عليها من
ابيمالخ ملك الاردن وفلسطين لما تضمن ذلك مصلحة لم يقبح
منهما فهذا مثله سواء لا جرم ان محمدا واصحابه كانوا مظلومين مع كعب
في هجائه لهم وقدحه بلسانه كان ابراهيم مظلوما بتغلب
ابيمالخ على زوجته لولا عصمة الله لها منه الوجه الثاني ان غلظ سالم
قربه شخيم لما فضح ... يعقوب واراد ان يزوجها صعب على يعقوب ...
ذلك فقالوا له ان تزوجتها ... احتتنت انت واهل
قريتك زوجناك فلما احتتنوا جميعا دخلوا عليهم وهم في الم
الختان لا يستطيعون الدفع عن انفسهم فقتلوهم واخذوا اموالهم
وهذا غدر صريح والجواب عنه مشترك لان

الجمع ابدا و قد نصب الدراه على هذه الحكايه و ذكر حديث اعطيت
خمسا لم يعطهن احد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت
لي الارض مسجدا وطهورا واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي
واعطيت الشفاعه وكان النبي يبعث الى قومه خاصه وبعثت الى
الناس عامه قلت لا اعلم ما وجه السؤال من هذا الا ان
يكون تكذيبا للاخبار بهذه الاشيا بناء على عدم علمه بها او على
تحريفه لها ولو ذكر وجه سؤاله منه لاجبته بحسبه
وذكر قوله عليه السلام ان الله يحب العطاس ويكره
التثاوب الى قوله واما التثاوب فهو من الشيطان فاذا
تثاوب احدكم فليرده ما استطاع فانه اذا ثاب ضحك
منه الشيطان قلت قد سبق ذكرنا القواطع الاجلية على
جسمية الشيطان ومناقشتنا لمن في قوله الشياطين بسائط مجرده
عن الماده ومع جسميتهم لا يمتنع الضحك والاكل وسائر خواص
الاجسام منهم واما قوله ان الله يحب العطاس ويكره التثاوب
ومعنى كونه من الشيطان فله تاويلان احدهما ذكره الخطابي وهو ان
العطاس يكون عن خفة البدن من الطعام والتثاوب عن ثقله
فالحب والكراهه راجعان الى سببيهما وهما قلة الاكل وكثرته
الموجبان لخفته وثقله لا الى ذاتيهما الثاني ان العطاس يعقبه
حمد الله وذكره بخلاف التثاوب فلذلك فرق بينهما في الحب
والكراهه وعدم ذكر الله من اخلاق الشيطان ومما يؤثره
فلذلك قيل في التثاوب انه من الشيطان وذكر
ان رسول الله امر بلعق الاصابع والصحفه وقال انكم لا
تدرون في ايه البركه وقوله اذا اكل احدكم فلا
يمسح يده حتى يلعقها او يلعقها وانه كان ياكل بثلث اصابع
ويلعق يده قبل ان يمسحها وقوله ان الشيطان يحضر احدكم
عند كل شي حتى يحضره عند طعامه فاذا سقطت من احدكم
اللقمه فليمط ما بها من اذى ثم لياكلها ولا يدعها للشيطان واذا
فرغ فليلعق اصابعه قلت هذه اداب حسنه
اداب الاكل فان لعق الاصابع والصحفه تعظيم ما علم
من نعمه الطعام بالكليه وتنظيف الاصابع والصحفه ولعله على
في ذلك سرا اخر من خصائص النبوه والله اعلم

فليمط

لا تدرون في ايه البركه قد سبق في اول الكتاب قول ارسطو
وغيره انه لا بد في معرفة الشرائع من توقيف الهي لان
العقل لما يقصر عنه وليس من شانه ادراكه وذكر
حديث ابي ذر يقطع الصلاه الحمار والمراه والكلب الاسود
وقال الكلب الاسود شيطان قلت الجواب
من وجوه احدها ان الشيطان لا يمتنع ان يختص بالدخول في
الكلب الاسود لخصيصه فيه من خبثه او نحو ذلك كما
ذكر في الانجيل ان المسيح اخرج الشياطين من الناس وقد طلبت
في قطيع خنازير من الفقهاء في البحر فغرقت وقد ذكر الاسلاف
مطرا ان عيص في مقرر الثالوث ان الله سبحانه ظهر في الكنس
ابن مريم فاذا جاز في عقولكم ان خالق السموات والارض يظهر
في لتس كيف يمتنع ذلك من بعض مخلوقاته ان يظهر في كلب
الثاني قال الجاحظ معنى قوله الكلب الاسود شيطان
ان يعلمه فعل الشيطان لانه اخبث الكلاب واكثرها عقرا
للحيوان قلت انا لكن هذا لا يناسب قطعه للصلاه
تحملك ان يقطع للشره خبثه ويدل على خبثه سواده فان السود لوا
على خبث الاسود من الحيات لسواده وحيث اشتد خبثه
قاربت طبيعته طبيعة الشيطان في الشر فناسبه والشكول
اقارب فلا يبعد وقارب المصلي ليهزمه فرصه كما دخل
ابليس في الحيه الى الجنه حتى اغوا ادم وقد ذكر بعض اهل
التاريخ احسبه الشيخ ابا الفرج في المنتظم ان ادم لما كان تجاوزا
كان ابليس يطوف به ويتعجب منه في بعض الايام بصق عليه
فوقع بصاقه في موضع السره منه فقطع موضع البصقه منه
فالقي فخلق منه الكلب الاسود فان ثبت هذا صح ان في الكلب
الاسود طبيعة من الشيطان لاجل تلك البصقه وان كان
المخلوق من بصقة ابليس كلبا غير اسود فلعله انضم الى الاسود
خصيصه حلت بها شيطنته فاختص بما ذكر من قطع الصلاه
وتحريم صيده ونحوه الثالث قال الخطابي في قوله
يطلع الشمس من قرني الشيطان هذه الفاظ الشرع التي
اكثرها ينفرد هو بمعانيها ويجب علينا التصديق بها والوقوف
عند الاقرار باحكامها والعمل بها قلت انا

والاختلاف في ان هذا معقول المعنى او هو تعبد اختلف الفقهاء فيما
لو اتفق ان مر بين يدي المصلي شيطان حقيقي هل يقطع الصلاة ام لا
على وجهين احدهما يقطعها لمقتضى تعليله ان الكلب الاسود شيطان
والثاني لا لانا لا نعقل ما معنى شيطنته فهو اذن تعبد
نتلقاه بالتسليم والتعدية فرع المعقولية وحيث لا معقولية
فلا تعدية وقد ذكر عن ابن قتيبة في مختلف الحديث قال
وقد رخص في الكذب في الحرب لانه خدعة وفي الاصلاح
بين الناس وفي ان يرضي الرجل اهله ورخص ان يوري في يمينه
المتقي اذا ظلم او خاف على نفسه والتورية ان ينوي غير ما
نوى مستحلفه وكانت الرخصة في المعاريض وقيل ان فيها
مندوحة عن الكذب قلت ______ هذه احكام صحيحة
في الاسلام وقد سبق الكلام على انواع الكذب واما
التورية والمعاريض كما قال ابرهيم عن زوجته انها اختي
وعنى باعتبار الاخوة في الدين وفي الاسلام ولذلك استحق
في الحديث النبوي الصحيح قال لم يكذب ابرهيم الا ثلث
كذبات ما حل بهن عن دين الله ذكر قوله عن زوجته انها اختي
وقوله لقومه اني سقيم اي ساسقم وقوله بل فعله
كبيرهم هذا وهذه معاريض وسماها كذبا مجازا قال
حديث يكذبه النظر والخبر ان الشمس تطلع على قرني شيطان
فلا تصلوا لطلوعها فجعلوا للشيطان قرونا تبلغ الى السماء وجعلوا
الشمس التي هي مثل الارض مرات تجري بين قرنيه وهم مع هذا
يزعمون ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم فهو في هذه
الحال الطف من كل شيء وفي تلك الحال اعظم من كل شيء وجعلوا
علة ترك الصلوة وقت طلوع الشمس طلوعها بين قرنيه
وما على المصلي لله اذا خرجت الشمس بين قرني الشيطان وما
في هذا ما يمنع من الصلاة لله قلت ______ الجواب
عن هذا الحديث قد سبق لكنه لم يوجه السوال فيه هناك
لا جرم هاهنا فيحتاج ان نعيد فنقول الجواب وجوه
احدها ما ذكر عن ابرهيم الحربي وحسبك به اماما في
معرفة الحديث ومعانيه قال هذا التمثيل اي حيث يجري

الشيطان ويتسلط يعني حيث يرى الكفار قد اسرعوا اليه وسجدوا
للشمس في الشروق والغروب وهو المراد بقرنيه قال وكذلك
الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم اي يتسلط عليه فيوسوس له
لا انه يدخل جوفه ثم الوجه الثاني جواب مفصل قوله
جعلوا للشيطان قرونا تبلغ الى السماء اما القرون له فمبني على جسميته
وقد اثبتناها قبل هذا وان كانت مادته لطيفة وعند ناب (?)
الملائكة منهم على صور البقر وعلى صور الاسد وعلى صور النسور
وعلى صور الناس واذا جاز هذا في الملائكة جاز في الشياطين
احوز لان الجميع مشترك في التجرد عن المادة عند الفلاسفة
وفي اللطافة عندنا واما ان قرونه تبلغ الى السماء فلم نقل به
ولا هو لازم لقولنا بل يجوز في راي العين ان تخرج الشمس
حيث شاء من بين جدارين صغيرين بل الشياطين (?)
بين قرني ثور متباعدين فلم لا يجوز ما قوله تغرب (?)
عن جهته قوله وهم مع ذلك يزعمون انه يجري من ابن ادم
مجرى الدم قلنا نعم ولذلك توجهات احدها ان الشيا
طين كثيرة فالذي يجري من ابن ادم مجرى الدم هو قرينه الملازم
له كما سبق في قوله عليه السلام ما منكم احد الا معه شيطان
والذي يطلع الشمس بين قرنيه شيطان اخر وهو البرمنه (?) فان جنود
ابليس كثيرون على انواع وصفات مختلفة منهم في اشغاله
ومهماته ولا يمتنع انه يبعث بعض مردة الشياطين العظمى الخلقة
او غيرهم فيقارن الشمس ويزينها في اعين الكفار بان يسميه (?)
صنما او الهة على جهة الشعبذة والتخييل فيسجدون لها لزينتها
في اعينهم كما قد علمنا في بني ادم من يأتي من التخيلات بما لا
يشك الرائي في ثبوته في الاعيان وهو سيميا وتخييل
لا حقيقة له في الخارج وانما هي خيالات وهذه تغلب
وتقوى وتستولي حتى تغلب الاحكام الخارجية بحيث يرى الانسان
لانه يراه يقظان وقد علم هذا بفعل سحرة فرعون حيث
خيلوا ان حبالهم حيات تسعى الوجه الثاني ان مادة
الشيطان لطيفة وقد جعل له من القابلية والقوة ما انه

يتشكل في اشكال مختلفة وصور شتى صور متباينة فان سلمنا ان الشيطان
المقارن للشمس هو الجاري من ابن ادم مجرى الدم وانه ليس له عظم
ها بل لطيف الخلقة فلا يمتنع ان يكون يتشكل عند مقارنتها بشكل عظيم
وعند جريانه من ابن ادم يتشكل صغيرا فقدرته على الاشكال
مطردا حمق وهو فصلا النصارى في ان الله خالق السموات والارض
ظهر لابرهيم في صورة كبش ولاسرايل في صورة رجل صارعه
في الصبح ولموسى في صورة نار في عليقة وظهر للناس في صورة
المسيح فهذا وان كنا ننكره عليكم لكنه يلزمكم تجويز نحوه اذ ان ما
ادعيتموه من هو موافق لكم على مقالكم اولى بعضها مما ذكرناه في الشيطان
اولى بالجواز واما الملائكة فمثل ذلك منهم في دين الاسلام
كملك الموت الديان عليه السلام لذلك ذكر انه جاء الى موسى
في صورة رجل فاراد قبض روحه ففقأ موسى عينه وجبريل
تراءى للنبي صلى الله عليه وسلم في اول الامر قد ملأ ما بين المشرق
والمغرب ثم كان ياتيه بعد ذلك في صورة دحية الكلبي رجل
اعرابي وجاءه مرة في صورة شاب ابيض الثياب يسأله
عن معالم الدين ليعلمها المسلمين ثم هذا امر لا يمتنع عقلا ان يكون
المادة منطبعة لطيفة تقبل تواردات الاشكال عليها لرقتها سمعا
ان سبب صورتها قد يشاء او فلا او حجرا او شجرة كبيرا او صغيرا
وكالنور والماء اذا اوجدا بلا فتيل الا بسطاقة كشعاع الشمس
في الفضاء والماء في البحار واذا التقتهما الاجرام الكثيفة
انقبضا فالنور يراه البصر دقيقا ضئيلا والماء في
ساقية الدولاب وانبوب القصب ونحوه يرى دقيقا
قليلا هذا انتهى ما يصل اليه عقول البشر في هذا التصوير
والتمثيل ووراء ذلك امر لا نزاع فيه * الوجه الثالث
ما سوى قول الخطابي ان قوله من قرني الشيطان من الفاظ
الشرع التي اكثرها ينفرد بمعانيها ويجب علينا التصديق بها
والوقوف عند الاقرار باحكامها والعمل بها يعني التسليم
المحض والتقليد الصرف بناء على ما سبق من قول ارسطو
وغيره ان عقولنا عند احكام المبادي الاولى كالخفاش عند
شعاع الشمس قوله جعلوا علة ترك الصلاة لله طلوع

الشمس من قرني الشيطان وليس بمناسب * قلنا قد سبق جواب
هذا ان من اصول شريعة الاسلام المبالغة في خلاف الكفار
فيما انفرد شرعنا بوقفه حتى في التشبه بهم ولو ادى الى مشابهة
ولا شك ان عند طلوع الشمس يسجد لها الكفار فلو صلى المصلي حينئذ
لكان مشابها لهم * قلت ____ وهذا سؤال يورده الملحد
على هذا الحديث ومع السهو لا جواب عنه الا بنسبته الى التعبد
المتلقى بالقبول وذلك لانا لا نجد شيئا ظاهرا نعلل به
منع الصلاة عند طلوع الشمس الا ما ذكرناه من مشابهة الكفار
لكنه يعارض بان الصلاة حينئذ مخالفة للشيطان ومحاربة
ومراغمة لهم اشد من التشبه بهم وقد حكي في مناقب معروف
الكرخي انه كان يمر عليه يهودي يوم السبت الى الكنيسة فقال
في نفسه ان هؤلاء يتقربون بالله في هذا اليوم لاراغمنهم ولاخالفنهم لعنهم
بان اقطع هذا اليوم بالصلاة والصوم فجازاه الله على ذلك بان
جعل زيارته يوم السبت تسرع الى ضريحه على غيرهم فيه
الخصوص ولا ريب ان وفاق الكفار بالصلاة عند طلوع الشمس
بالصورة الفعلية وخلافهم بالقصد والنية لانهم يعبدون
الشمس ونحن نعبد الله وقد قال الله تعالى ومن اياته الليل
والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا
لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون فالاعتبار هنا بالقصد
والنية لا بالمشابهة الصورية * فان قيل لما تعارض
عندنا مفسدة المشابهة ومصلحة المراغمة غلب الشارع
جانب مفسدة المشابهة لان الخطاب كان في صدر الاسلام
والقوم قريبو عهد بالجاهلية فمنعهم من الصلاة حينئذ سدا
عن المشابهة مبالغة في تلزيه الكفر وشعائره لكنهم ارادوا
ذلك سنة متبعة فلزم الترك وزالت حكمته التشبيه
وبقيت صورة الشبهة * قلنا جوابه من وجهين
احدها ان بعدهم من الكفر وتمكن يهد النهي بامرهم
مراغمته ومناقضته اهله بعبادة الله حين عبادة
غيره ابلغ * الثاني ان ذلك منقوض بصلاة الفرض
فانه اجازها لهم وهي جائزة بالاجماع في تلك الاوقات
المنهي عن التطوع فيها مع ان مشابهة الكفار الصورية موجودة.

فان فعل الفرض واجب فلا يترك حق لباطل قلت والتطوع
مندوب فلا يترك حق لباطل وخصيصة الوجوب لا تصلح فارقا
فان بهذا البحث والتفريق ان هذا الحكم وامثاله مما يتلقى عن
الشرع لا بالعقول ولا يصادم بتصرفات العقول ولا شك
ان دين الاسلام مشتمل على الاحكام التعبدية والمعقولة العلية
كما قررته في القواعد الصغرى وبينت الحكمة فيه على الوجه
الاظهر ه وذكر حديث ابي هريرة وابي ذر من تقرب
مني ذراعا تقربت منه باعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة
قلت ووجه سؤاله منه ان ظاهره التجسيم قلت
وقد سبق تقرير ما على هذه الاحاديث ثم الجواب عن هذا من
وجهين احدهما ان هذا الحديث مما جاء عندنا على التقريب
بالرحمة واللطف والاكرام كما يقال فلان قريب من السلطان
والامير قريب من فلان يعني بتقارب القلوب والمنزلة و
انا وان كنت اثري في ايات الصفات واخبارها الا ان المختار
عندي في هذا الحديث بظاهره غالب فلا سوف فيما تاويله الا
جاهد ويحقق الكلام في هذا المقام ان النصوص في الصفات من
حيث السند على ثلث طبقات صحيح مجمع على صحته بين اهل النقل
وضعيف متفق على ضعفه ومختلف في صحته فالاول مما
ثبت به الصفات والاخيران لا يعول عليها في ذلك وفي
الاول ثم الحديث المجمع على صحته من حيث دلالة المعنى
على ثلث طبقات ما ترجح فيه ارادة الحقيقة وما ترجح فيه ارادة
المجاز وما استوى فيه الامران فالاول كحديث الساق
والقدم والاصابع ونحوه فهذه ارادة المجاز فيها مرجوحة
حكمها ان يحمل على حقايقها لا يليق بالبارئ جل جلاله ولا يلزمنا
تعيين تكييفها كذاته سبحانه اثبتنا وجودها وعجزنا عن
احكامها بعقولنا ه والثاني كهذا الحديث قوله من تقرب مني
تقربت منه وقوله قلوب الخلق بين اصبعين من اصابع الله يقلبها
كيف شاء والحجر الاسود يمين الله في الارض وقوله ساعد
الله اشد وموسى الله احد ونحو فان المجاز فيه راجح وحمله
التاويل على ما ترجح فيه ه والثالث كقوله ويبقى وجه ربك
فانه متردد بين الصفة الوجهية اللايقة بمنصب الالهية

صنف المولف كتابا سماه القواعد الصغرى

ومن الرتبة الكافية الراجعة الى العظمة الذاتية فحكم مثل هذا
راجع الى ترجيح المجتهد في احكام العقايد فان غالب مسايلها هذا
واشباهه اجتهادية لكنها اعلى رتبة من مسايل الفروع فهذا
هو الطريق الذي اراه قصدا بين الافراط والتفريط تنشا له
الخبط والتخليط واسس وراءهم تخبط ه الوجه الثاني انه قد
ثبت في التورية ان ادم لما اكل الشجرة انفتحت عينه وبان له
انه عريان فاستتر بالشجر وجعل يخصف عليه الورق وسمع حس
الله يمشي في الجنة فاختفى منه فقال له الله الرب مالك يا ادم
قال انا عريان استحي منك وسمعت حسك يمشي فاستخفيت
فقال لعلك اكلت من شجرة معرفة الخير والشر قال
نعم وقد سبق ذلك وهذا تصريح بان الله يمشي والمجاز فيه
مرجوح جدا فما ينكر علينا من حديث المجاز فيه راجح جدا
هذا ما هو الا عناد ولو وقع الانصاف لارتفع الخلاف
قال وفي حديث ابي هريرة من يقم ليلة القدر ايمانا واحتسابا
غفر له ما تقدم من ذنبه وذكر حديث من صام رمضان
ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وقوله اذا امن
الامام فامنوا فمن وافق تامينه تامين الملايكة غفر له ما تقدم
من ذنبه وحديث سلمان من اغتسل يوم الجمعة وتطهر بما استطاع
من طهر الحديث الى قوله غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى
وقوله حق على كل مسلم ان يغتسل في كل سبعة ايام يوما
يغسل فيه راسه وجسده وحديث ابي عبس سمعت النبي
يقول من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار
وقوله من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته
امه وحديث ابي ذر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اتاني
جبريل فبشرني قال بشر امتك انه من مات لا يشرك بالله
شيئا دخل الجنة قلت وان زنا وان سرق قال نعم كررها
ثلاثا حتى قال في الثالثة وان شرب الخمر وذكر البخاري
في لفظ اخر للحديث قال لي جبريل من مات من امتك لا يشرك
بالله شيئا دخل الجنة ولم يدخل النار ه وقوله
لكل نبي دعوة يدعو بها واريد ان اختبي دعوتي شفاعة لامتي
في الاخرة وقوله لله تسعة وتسعون اسما مائة الا واحدا

[illegible]

لا يحفظها احد الا دخل الجنة وقوله من صلى البردين دخل الجنة
وقوله قد حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغي بذلك
وجه الله ثم قال النصراني فقد ظهر انه لم يوجد فيه شي
من الشروط الاربعة التي ينبغي ولا بد ان توجد في النبي قلت
سرد هذا الخصم هذه الاحاديث ولم يبين وجه شواهده منها
والذي فهمته من ذلك انه اوردها استشكالا على وعد النبي امته
على الطاعات المذكورة مغفرة الذنب ودخول الجنة والتحريم
على النار اما استبعادا من هذا الخصم لذلك بنا على اعتقاده في المسلمين
انهم عنده كفار او على ما صح في السنة من دخول عصاة الامة النار
واخراجهم بالرحمة والشفاعة فيكون ذلك تناقضا في الاخبار
والجواب ان هذه الاحاديث صحيحة واحاديث الشفاعة ثابتة
عندنا ولا مطعن فيها لطاعن اما استبعاده لما وعدت به
هذه الامة بنا على سوء اعتقاده فيهم فلا وجه له اذ لا اعتبار
به انما الاعتبار بالحجة ثم هو معارض باستبعاد المسلم ما زعم
النصارى ان المسيح وعدهم به في قوله من عرفني وآمن بي كان
معي عند ابي الذي في السموات ونحوه فان من اعتقد في المسيح كما يقول
النصارى يدعي انه الله او ابن الله فهو كافر عند المسلم خالد في النار
قد حرم الله عليه الجنة فلم كان اعتبار احد الاعتقادين اولى
من الاخر واما دعواه التناقض فمردودة لان هذه ظواهر
وعمومات كانت في اول الاسلام واخره فلما كمل الاسلام
وتم اركانه وشروطه ومتمماته ثم لما كمل الاسلام صار
غفران الذنوب ودخول الجنة والتحريم على النار موقوفا
على كماله وتمامه فمن اخل بجميعه كان كافرا ومن اخل
بشي منه جوزي بحسبه كما قال الزهري في قوله من قال
لا اله الا الله حرمه الله على النار كان ذلك في اول الاسلام قبل
نزول الفرائض والامر والنهي قلت وقد قال
بعض اهل العلم ان المراد تحريم الخلود لا تحريم الدخول جمعا
بين الاحاديث فاما اللفظ الذي ذكره وهو قوله من مات
لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ولم يدخل النار فهذه
الزيادة لا نعرف فيها شيئا [illegible] داود من السنة بل الذي صح
في السنة اثبات دخول الجنة لا نفي دخول النار [illegible]

فيها لجواز ان يدخل النار بمعصيته ثم يخرج منها فيدخل الجنة بطاعته كما
تواترت به احاديث الشفاعة تحقيقا لقول الله تعالى فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره على ان هذا
اللفظ ان صح وجب تاويله على انه لم يدخل النار دخول خلود
بخلاف المشركين فانهم يدخلونها دخول خلود وحينئذ فلا
يستدل هذا الخصم ويتبين ان شروط النبوة الاربعة موجودة
في محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال ومن اعظم ذلك في صحته
ما روى مسلم من حديث ابي هريرة قال زار النبي قبر امه فبكى
وابكى من حوله فقال استاذنت ربي في ان استغفر لها فلم
يوذن لي وقال جاء رجل الى رسول الله فقال يا رسول الله
اين ابي قال ان ابي واباك في النار قلت ولا محذور
في هذا كان ابراهيم الخليل صلوات الله عليه كان ابوه كافرا ولان
من مات على غير الاسلام وعبدة الاوثان ان الكفار في النار وابوا
النبي كانا كافرين فحكم لهما بحكم الله فيهما وهذا من اعظم الادلة
على صدقه لوجهين احدهما انه ظهر من قوم كانوا يدعون الى
الناموس الاعظم فلو لم يكن صادقا لاتبع دين اباه لغيرة
النسب انه حكم لابويه بالنار وجده وعمه وكل قريب
له فلو لم يكن على غاية الصدق والامانة والعدل وانه يخبر
بالحق على نفسه ولما لتعصب لقومه وقال لهم في الجنة ببركتي
لاختصاصي عند ربي وكان يصدق في ذلك لصدقه وكان غيره
قال وقال ايضا ليت شعري ما فعل ابواي فانزل
عليه ولا تسال عن اصحاب الجحيم قلت هذا ان صح فجوابه
ما سبق قبله لانه لا يصح لسياق الكلام وهو قوله تعالى في سياق
ذم اليهود والنصارى والكفار انا ارسلناك بالحق بشيرا
ونذيرا ولا تسال عن اصحاب الجحيم نصب التاء المثناة لتسال
على ما لم يسم فاعله وهو معنى قوله ولا تسالون عما كانوا يعملون
وقوله قل لا تسالون عما اجرمنا ولا نسال عما تعملون وقوله
فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وقوله انما انت منذر ولكل
قوم هاد وقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ومعنى ذلك
كله ان عليك انذارهم وليس عليك شي من عقابهم كما قال
ما عليك من حسابهم من شي وما من حسابك عليهم من شي وهذا
عام في جميع الكفار فقد دري لا تشك على النهي له عن السؤال

وهو محتمل لما ذكره هذا الخصم والجواب عنه من وجوه
النصوص التي تتضمن انه لا يعلم الغيب كقوله ما ادري ما يفعل
بي ولا بكم وقوله لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير قال
فاخبر انه لو كان يعلم الغيب لاجتلب الخير واجتنب الشر
واستعد لكل امر بما ينبغي له وكقوله لا املك لنفسي ضرا
ولا نفعا وقوله لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب
وقوله قل لا املك لكم ضرا ولا رشدا وقول عائشة من زعم
ان محمدا اخبر بما يكون في غد فقد اعظم الفرية على الله والله يقول قل
لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله قلت
هذا غير وارد بحمد الله تعالى فان محمدا لم يدع انه يعلم الغيب كله
ولا انه يعلم ما علم من نفسه بل باخبار الله له بذلك كما قال
الله سبحانه عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى
من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا واما
قول عائشة من زعم ان محمدا اخبر بما يكون فلا اعرف هذا اللفظ
انما المشهور ما رواه الترمذي وغيره انها قالت
ومن زعم ان محمدا يعلم ما في غد والمعنى متقارب وكلاهما
محمول على ما ذكرناه من التقييد اي لا يعلم ما في غد ولا يخبر
بما يكون في غد بنفسه بل باخبار الله له وهل كان النبي صلى الله
عليه وسلم الا عبدا مامورا ولم يكن الها معبودا كما اعتقدتم في
المسيح ثم حقق عنكم ما تضمنه اعتقادكم الفاسد من جهلكم المتزايد
فان المسيح ان كان يعلم الغيب فكيف يعلم انه يؤخذ فيقتل
فيختفي عنهم لئلا يقع في الصلب والقتل فان قلتم كان يعلم ذلك
لكن هو سلم نفسه ليفتدي الخلق من العذاب بنفسه قلنا
فما بعد على جهلكم في هذا وتسليمه لكم لانه لما بات ليلة الجمعة
ساهرا يصلي ويدعو الله ان يقيله من الموت ويعبر عنه كاسه
ثم زعمتم اذ من يجود بنفسه هذا الجود كيف يجزع هذا الجزع
ويشح بنفسه هذا الشح ويستنجد بالتلاميذ ان يساهروه
ويسالوا معه في تعبير كاس الموت عنه فما يحتاجكم
في هذه لكنه لو كان يعلم الغيب كما زعمتم فلا يخلو في سؤاله تعبير
كاس الموت عنه اما ان يكون علم انه يجاب في سؤاله او لا يجاب

والاول باطل لوقوع الامر خلافه فما علم الغيب في هذه القضية
والثاني يوجب ان سؤاله كان عبثا لا يليق بمن عاقل من الناس
فضلا عن اله بينا على زعمكم فضلا عن ابن الله او الله خالق السموات
والارض على زعمكم الفاسد فيه ثم يقول لكم من يزعم من الانبياء علم
الغيب كذا انه آدم لما اخرج من الجنة او ابراهيم لما امر بذبح ولده
او اسحق لما اوهمه ابنه يعقوب انه ابنه العيص واخذ بكوريته
وحصل يحيره في امره ويقول الصوت صوت يعقوب واللمس
لمس العيص او يعقوب لما جرى ليوسف ما جرى وهو يظنه
ميتا او موسى لما ارسل فرعون الذباحين ليقتلوه فلولا بادر
رجل مؤمن فانذره حتى هرب لفات ثم الكائنة ما اقل
عقل هؤلاء القوم الضلال بل ما اقل عقل من يسمع قوله
عقولهم بعد ما يعلم منهم ما هم عليه انما الانبياء عبيد الله يعلمهم ما
لا يعلمون وما لا يعلمهم لا يعلموه كما قال ومنهم النبي
ذلك وعد النبي يوم احد بالنصر على عدوهم فكان خلاف
ما اخبرهم فقتلوا وهزموا وجرح هو وانكسرت رباعيته
ودخل حلق المغفر في وجهه ثم لما عذبه اعتذر اليهم
بقوله وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما
اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا الاية قال
واعتذاره اقبح الحجج من خلفه وعلى لا يد باطل فان الانبياء
المتقدمين عليه لو غير احدهم جاووا بالكذب والا طغة والخشوع
مثل حزقيا وارميا واشعيا ونحوهم لم يحاربوا احدا ولا خاصموه
بل اعداوهم الكفار استضعفوهم فعذبوهم وقتلوهم ولم
يقتل احد منهم في حرب ولا قتل معه حبر الثاني جاووا
بالتاييد من عند الله والظهور على الاعداء والقهر لهم فقمعوا
المشركين ولم يقتل احد منهم في حرب ولا هزم يوما واحدا
ولا قتل معه ربي ولا حبر مثل موسى وداود وسليمان
قال وانت اذا تاملت احوال محمد علمت انه ليس
من احد هذين النوعين لانه لم يات بخشوع ولا خضوع فيكون
من النوع الاول ولا ايد بمعجزة يقهر بها اعداءه فيكون
من النوع الثاني نعم هو من النوع الذي حذر عنه سيدنا

المسيح حيث قال في الانجيل الطاهر تحذروا من الانبيا الكذابين
الذين ياتونكم في لباس الضان وهم في الباطن ذياب خاطفة
ومن ثمارهم تعرفونهم انتهى. قلت اما خروج النبي صلى الله
عليه وسلم الى احد فلم يكن منشرحا له ولا اختاره بادي الراي
وانما كان رايه ان يتحصن بالمدينة فان دخل العدو عليه قاتله
بالسلاح والحجارة وان بقي خارج المدينة بقي بشر ولم يلق
كيدا لكن رجالا من المسلمين ممن لم يشهد بدرا اسفوا على فوات
حضورها فاشاروا بالخروج الى احد والحوا على ذلك لما اراد
الله لهم من الاكرام بالشهادة ويصدقها رؤيا النبي صلى الله عليه
وسلم حيث راى في منامه كانه في درع حصينة وكان
في سيفه فلول وكان بقرا تذبح فاول الدرع الحصينة بالمدينة
والفلول في سيفه بما يصاب بعض اصحابه والبقر
بمن يقتل من الكفار يومئذ وانما وعد اياهم بالنصر فصح
وقد نصروا في اول الحرب وهزم الله الكفار لكن لما
خالف الرماة ما امرهم به وتركوا امر الزهد التي وكلوا
حفظها وطلبوا الغنيمة من اموال المشركين عاقبهم الله
بالمخالفة فخرج عليهم الكمين فنال منهم ما نال وقد شرح الله
هذه القصة في القران حيث يقول ولقد صدقكم الله وعده
اذ تحسونهم اي تقتلونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في
الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا
ومنكم من يريد الاخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم
والله ذو فضل على المؤمنين اذ تصعدون ولا تلوون على احد
والرسول يدعوكم في اخراكم فاثابكم غما بغم الايات
فقد صدقهم في الوعد لكنهم خالفوا فعوقبوا بذنبهم ثم عاد
اليهم ما وعدهم بالنصر الكلي ذلك اليوم بشرط ان يتقوا الله
ويطيعوا الكلمة فخالفوا فانتفى المشروط لانتفاء شرطه
واما ما اصابه من ذلك في نفسه فهو كالذي اصاب الانبيا
قبله من القتل والضرب بكونه بشرا لمناسبة حركة
لحرب النبي عليه السلام [illegible] واما قوله وكاين من
قتل معه ربيون كثير فهو اخبار صحيح لان قوله قتل معه

في تقدير ان مناسبات احدهما [illegible] ومنه اي كم من نبي قتل [illegible]
لسياق ان الكلام ثم على [illegible] قتل ضمير كاين من نبي [illegible]

ربيون كثير جملة حالية اي قتل حال كونه ذا اصحاب كثيرين مما وجب
قبله لهم ان يتزلزلوا في دينه بل ثبتوا عليه لعلمهم وجه مناسبة
هذا التقدير ان الشيطان صاح يوم احد قتل محمد فانطرحت قلوب
اصحابه وقالوا عند ذلك ما نفعل ولم ينفعهم الله على هذا
بقوله وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل
انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي
الله الشاكرين ثم قوله وكاين من نبي قتل اي ما ضعف احد بعد
نبيه ورجع عن دينه كما همتم انتم ان تفعلوا التقدير الثاني ان
قتل مسند الى الربيون وهم جمع ربي والربي منسوب الى الربة
وهي الجماعة فانه يقال قتل معه قوم رؤساء ذوو جماعات
كالقواد والامراء وقيل الربيون الاتقياء العلماء وهذا انسب
بقوله قبل ذلك ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولقد كنتم تمنون الموت من قبل
ان تلقوه فقد رايتموه وانتم تنظرون فكانهم وجدوا لما
اصابهم يوم احد من القتل والجراح فكانه يسليهم
بذلك ويأسيهم بمن سبق منهم ولا شك ان من الانبيا المتقدمين
من كان ذا حروب ومغازي كداود وسليمان وموسى
ويوشع بن نون ولم يزل بنو اسرائيل بعد موسى يكون لهم
ملك للحرب ونبي يعرفه بامر الله بالوحي والجهاد فيهم دائم
وكانوا يقدمون التابوت بين ايديهم وكان يحمله لا يرجع
به حتى يفتح عليه او يقتل وقد غزا يوشع بن نون مدينة الجبارين
ليلة السبت ثم سال الله ان يحبس عليه الشمس حتى يفرغ منهم
قبل ان يدخل السبت ففعل وكان غزاة بني اسرائيل اكثرهم
او كثير منهم علماء اتقياء ربيون اخيارا احبارا لانهم اوتوا
الكتاب والحكم والنبوة وفضلوا على العالمين كما نص عليه القران
ومن المحال عادة ان يكون فيهم هذا الجهاد ولا يقتل منهم احد
ومتى ثبت انه قتل منهم بلغه قصا عند الله صح ما اخبر به
محمد عليه السلام كيف وقد ثبت انه قتل منهم في الحروب
والمغازي ما لا يحصى كثرة علما دلت عليه الكتب والتواريخ
والسير وحينئذ انكار هذا الخصم ان يكون قتل مع الانبيا
المجاهدين منهم احد لا يسمع وقد بينا ان الربيين لا يختصون بالاحبار

[illegible] قد وجد [illegible] كتاب [illegible] الانسان [illegible] فلو [illegible] ذكر [illegible] والمسيح [illegible] عالما [illegible] وغيرهم [illegible] كثير [illegible] وقوله معه ربيون [illegible]

والعلماء على القول المذكور أولاً بل هو عام في غيرهم من المقاتلة فيقول
له أنت ذكرت للأنبياء نوعين ونحن ذكرنا للأنبياء نوعين فيقدر
للأول نصح في نوع الأنبياء الأول ونقدر الثاني نصح في نوعهم
الثاني وأيضاً ففي التوراة أن إبراهيم قاتل الذين أغاروا على
أموال لوط فاستاقوها فتبعهم إبراهيم بنفسه وغلمانه حتى قتلهم
واسترد ما أخذوه على أن الأنبياء قد قتل على وجههم قتل معه
وقاتل معه لكن يقال لك إن القرآن نزل على سبعة أحرف
كلها شاف كاف فيلزمكم الجواب عن القرآن فيقول قد دل
القرآن على أن جمعاً كثيراً من الأنبياء قتلوا وقتل جمعاً كثيراً
منهم قاتل معه أصحابه وقتل معه أصحابه وقد بينا صحة ذلك
إذ العادة في الغزوات والحروب أن الناس يقاتلون ويقتلون
قوله ليس هو واحد النوعين إنما هو رجل هزم وهزم
وأصيب وأصاب فلما قد بينا ما ذكرناه من أنه قتل هذا
أنه من الأنبياء وأنه بما علم من حسن سيرته ودأبه ولينه
وتواضعه وخشوعه وجلده وشجاعته وفصاحته وعلمه
ذلك من أخلاقه الكاملة وصفاته الجميلة متخلق بأخلاق
النوعين من الأنبياء وأنه اجتمع فيه ما اجتمع في واحد منهم
وأنت لو نظرت حق النظر في سيرته لعلمت ذلك لكنك
عدو أخذت الشبه التي زعمت أن لك فيها متعلقاً وتركت
ما عليك فيه المتعلق على أن الأعداء في إظهار القبيح
وإخفاء المليح على أنه لا قبيح في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم
وأما قولك هزم وهزم وأصاب وأصيب فالنوع
الثاني من الأنبياء الذين ذكرتهم هكذا كانوا وقد هزمت
بنو إسرائيل وأخذ منهم التابوت إلى أرض أعدائهم حتى
رد عليهم في زمن طالوت الملك ... وأما النوع الأول
منهم فكانوا تارة يلبسون وتارة يحربون فكان المسيح
يفر من اليهود من مكان إلى مكان لخوفه منهم حتى كان منه
ومنهم ما كان وقد أخبر الله تعالى بذلك في القرآن حيث
يقول وتلك الأيام نداولها بين الناس والله أعلم ثم يقال
له هل رأيت ملكاً يهزم ويهزم ويغلب ويغلب
ما موسى بعد قرب الغيبة وهو كما جاء في ...

هذا عقل فاسد

وسوف ... وأما ما جاء عن سيرة المسيح في الحيلة الطاهرة فقد
بينا في أول الكتاب أنه لا حجة فيه ولعمري إن الإنجيل الذي
تعتمد عليه في التناقض والمحال ما لا يبعد أن يوصف بصفة الطهارة
وذكر حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم سحر
حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله ثم قال
هذا صحيح وقد بينا عند قوله تعالى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان
في أمنيته أن السحر ونحوه جائز على الأنبياء وأنهم معصومون
فيما يوحى إليهم بمعنى أنهم لا يقرون فيه على خطإ وذكر
حديث عائشة لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور
أنبيائهم مساجد ثم قال فلولا ذلك لأبرز قبره
غير أنه خشي أن يتخذ قبره مسجداً ثم قال وهذا أصح
مشهور عنهم فإنهم لغلوهم في أنبيائهم كغلوكم في المسيح
يجعلونه إلهاً كانوا يعبدون عند قبور أنبيائهم وذلك
منهي عنه في دين الإسلام لئلا يصير النبي بالصلاة عنده
شبيه المعبود وإن كان نيته التعبد بغير العبادة لكن مجرد
التشبيه يكره وأيضاً كان الأنبياء معظمين فإذا عبد الله عندهم
لم يؤمن أن يجيء من بعد ذلك العصر فيظن العبادة لهم
لتعظيمهم في المجوس كما يقال إن إدريس لما رفع إلى السماء
جاء إبليس إلى أخ له فقال له أصنع لك تمثالاً على صورة
إدريس تتسلى بها قال نعم فصنع له تمثالاً كان ينظر إليه
كل يوم يصلي عنده ويتذكر إدريس به فيحصل له بعض السلوة
وكان التمثال في خزانة لا يدخلها غيره فلما مات أخو إدريس
أو أنه كان صاحبه وخليله جاء بعد فوجدوا التمثال
في الخزانة فجاءهم إبليس فقال أتعرفون هذا التمثال
هذا إله إدريس وأخيه فاعبدوه فعبدوه فكان ذلك
أصل الجاهلية الأولى وأما الجاهلية الثانية فإن البيت
الحرام كان معظماً عند أهل مكة فكانوا إذا سافروا حملوا
من حجارة الحرم معهم في أسفارهم يحملون ويتبركون بها
ثم تدرجوا إلى أن عادوا يعبدونها ويطوفون بها حتى

حلوان الارض كالطوفون ثالثة ثم يدرج جوات عصرا الى عصر حتى يعبدوها
وتشات عبادة الاصنام بهذا السبب فكان ذلك اصل الجاهلية
الاخرى التي ازالها الله بمحمد صلى الله عليه وسلم وذكر
قوله عليه السلام في مرضه ما ازال اجد الم الطعام الذي اكلته
بخيبر فهذا اوان قطع ابهري قلت قد بينا ان
الاثنا عشرية يزعمون انه لم يذق الموت واساته ولبسوا
انه يعتقدون في المسيح انه اله ثم هو مع ذلك قتل وصلب ودفن
ولم يمنعه الالهية والابهر عرق يخرج من الدماغ فهو في
العنق الوريد وفي الصلب الابهر وفي القلب الوتين ومن
اي مواضعه انقطع هلك صاحبه والوريد والوتين مذكوران
في القرآن وذكر حديث البخاري عن ابن عباس قال لما حضر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت وفي البيت رجال قال
هلموا اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده فقال بعضهم ان رسول الله
قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله واختلف
اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول يكتب لكم كتابا لا تضلوا
بعده ومنهم من يقول غير ذلك فلما اكثروا اللغط والاختلاف
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا فكان ابن عباس
يقول ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى
الله عليه وسلم وبين ان يكتب لنا ذلك الكتاب قلت
لم يوجه شيء الى هذا الكتاب وانا يخطر لي توجيهه من وجهين
احدهما القدح في جميع الملة ويعتبر انه لو علم عدم
ضلالهم عن الكتاب قد المعلوم ان المشروط يعدم لانعدام
شرطه والكتابة لم يكتب فينتفي الضلال لم يحصل
فلعل الضلال بعده ثابتا اذ لا واسطة بين النفي والاثبات
الثاني قول القائل قد غلبه الوجع يعني وهو لا
يدري ما يقول وكان هذا القائل عمر بن الخطاب وفي لفظ
الصحيح انه قال ان الرجل يهجر يعني يخلط في كلامه
كان المحجر الكلام الذي لا معنى له ولا فائدة والجواب
عن الاول من وجهين احدهما ان المراد بالضلال الذي
يعلم نفيه عن كتابة الكتاب هو الاختلاف في الامامة لم يحصل
بعده بدليل قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم
نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وبذلك قوله

عليه

عليه السلام قبل موته لقد تركتكم على بيضاء نقية ليلها كنهارها
وقوله لا تزال طائفة ظاهرين على الحق لا يضرهم من عاندهم
الى يوم القيامة في نصوص كثيرة تنفي ضلال الامة بعده فتعين
حمل الضلال في هذا الحديث على النزاع في الخلافة ولا شك
انهم ما تنازعوها بعده علي وسعد وعثمان وابو بكر فكانت له
مقتضى وعد النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال يابى الله والمؤمنون
الا ابا بكر وقوله الخلافة بعدي ثلاثون ثم تصير ملكا
وكانت ايام ابي بكر من جملة الثلاثين الوجه الثاني ان الصحابة
صلى الله عليه وسلم في ايام حياته اما ان يدعوا انه كان على
هدى او ضلال فان قلتم على هدى فامته بعده على ملته
وسنته ومنهجه واذا اختلفوا في امر لجاوا الى ما ترك
عليه والى ما قاله من السنة فهم ايضا مهتدون مثله وان
قلتم على ضلال فامته على زعمكم قد ضلوا مما كان عليه
والضلال عن الضلال هدى اذ نقيض الضلال الرشاد
فهم اذن مهتدون فعلى التقديرين القدح في امته لا يتجه
بهذا الحديث والقدح فيه قد سبق جوابه والجواب
عن الثاني ان عمر رضي الله عنه ليس معصوما فهو وهم في
هذا وظن الامر على خلاف ما هو عليه حتى نسب النبي
الى التخليط في الكلام كما وهم في قوله ان محمدا لم يمت وانما
ذهب الى مناجاة ربه بروحه كما ذهب موسى لمناجاته
ببدنه واحسب ان عمر عوقب على هذه الكلمة عقوبة دائمة
من جهة ان الرافضة تعلقت عليه بها ونسبته الى انه علم
ان النبي صلى الله عليه وسلم اراد ان يكتب لهم كتابا بالنص فيه على علي بن
طالب وعلم انها ان صارت الى علي تداولها بنو هاشم فلا
تخرج عنهم فلا تحصل له وهو كان يرجوها بعد ابي بكر فوقع
وصدهم عن كتابة الكتاب حتى مات النبي صلى الله عليه وسلم ثم
بادر الى بيعة ابي بكر مخالسة وقال كانت بيعة ابي بكر
فلتة وقى الله شرها ثم مات ابو بكر نص عليه فيها
بعده فهم يشنعون عليه بذلك ويرمونه به وينسبونه
الى طلبه ولعمري ان هذا لشبهة ولكن لما كانت خلافة عمر على
السداد والرشاد وما فيه صلاح البلاد والعباد وكانت

ايامه غيره في وجه الكفر ودولته واسطته في عهد بخت دولة
العصر لم يضر بذلك ولو ثبت تحققه . وذكر حديث عايشة
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسال في مرضه الذي مات فيه اين انا
غدا اين انا غدا يريد يوم عايشة فاذن له ازواجه يكون حيث
شاء فكان في بيتها حتى مات في اليوم الذي كان يدور علي فيه
فقبضه الله وان راسه لبين سحري ونحري وخالط ريقه ريقي
في اخر ايامه من الدنيا ولقد اشتد عليه الموت حتى لا اكره شدة
الموت لاحد بعده قلت … ووجه السوال فيه وجهين
احدها انه لم يغفل عن لذة النكاح التي هي عار عند الخصم حتى في مرض
الموت . الثاني ان يشتد الموت عليه عقوبة ودل انه كان
يستحقها قلت … والجواب عن الاول من وجهين احدها ان
النكاح قد بينا انه عبادة وهو من سنن المرسلين والقول
بانه عار سفه . الثاني انه كان يحب عايشة وينالها
اكثر من غيرها ولهذا كان يقول هذا قسمي فيما املك فهب
لي ما لا املك ولا يلزم من الف الشخص صاحبه ان يكون يستمتع به
بجهة اللذة المشهوة بل يصير الميل اليه خلقا للنفس حتى
مع الغفلة عن اللذة والجواب عن الثاني ان لحوق المشاق
في الدنيا من اسباب النعيم الاخرة وبه خصوصا شدة الموت
فانه اخر ما يكفر به عن العبد المومن ذنوبه ان كان له ذنوب
والا رفع به درجات في الجنة ولهذا نرى غالب المومنين
اهل بلا في الدنيا وغالب الكفار اهل عافية كما في الحديث
النبوي الصحيح الدنيا سجن المومن وجنة الكافر ولهذا المثل العامي
المومن مبتلى والعاجز موفى ثم لو كان لحوق المشقة في الدنيا عقوبة
لوجب ان يكون القا ابرهيم في النار وعمى اسحق ويعقوب وما
جرى ليوسف وحزن ابيه عليه وبلا ايوب وما قاساه
موسى وهرون من بني اسرايل وقوم فرعون وقتل يحيى و
زكريا وغيرهم من الانبيا واهانة اليهود للمسيح ثم قتله
وصلبه وما جرى لاهل بيته بعده وقتل جرجيس اربع مرات
ثم نعش وحبس يونس في جوف الحوت ونحو ذلك عقوبات
في حقهم واحد لا يقول ذلك . واما قول عايشة خالط

زبقي

ريقي ريقه فليس ذلك مما يسره استمتاعا به بل لان النبي صلى الله عليه وسلم
كان مسندا الى صدرها ودخل عبد الرحمن بن ابي بكر اخو عايشة ومعه
سواك يستاك به فاستعد النبي صلى الله عليه وسلم بصره فقالت له
عايشة اخذه لك يا رسول الله فاوما براسه اي نعم وكان
يحب السواك لانه كما قال عليه السلام مطهرة للفم مرضاة
للرب فاخذته من اخيها فمضغته ثم لينتها ثم اعطته النبي
صلى الله عليه وسلم فاستاك به فذلك هو المراد باجتماع
ريقيهما وهذا اخر ما وجدناه من هذا الكتاب على مصنفه
الله ما يستحقه . واعلم ان كل مناظر يثبت دعوى
احدها الاعتقادات مشتركة بينهما يتفقون عليها ثم يكون
بينهما كالحكم فلو وافقه تلك المقدمات ثبتت دعواه واذا
عرف هذا فنحن ليس بيننا وبين النصارى واليهود مقدمات
مشتركة الا العقليات وما تركب منها ومن غيرها العقليات
لان كل واحد من اهل الكتاب والمسلمين يقدح في كتاب الاخر
الذي بيده فلا يقوم عليه الحجة به فلنختم هذا الكتاب بذكر
حجج واضحة على صحة دين الاسلام وصدق محمد عليه السلام
الحجة الاولى وهي التي يعتمدها غالب المتكلمين في كتبهم
وهي ان محمدا ادعى النبوة وظهر المعجز على يده وكل من كان
كذلك فهو رسول الله حقا فمحمد رسول الله حقا اما انه
ادعى النبوة فبالتواتر وايضا لو لم يدع النبوة لما كان للنزاع
الخصم فايدة واما ان المعجز ظهر على يده فلما قررناه
قبل وهو ان المعجز هو الامر الممكن الخارق للعادة المقرون
بالتحدي الخالي عن المعارض والقران الذي اتى به كذلك
والا لظهرت معارضته مع توفر الدواعي عليه والاشكالات
التي عليه للفلاسفة والبراهمة وغيرهم من منكري النبوات
مشتركة لا تختص بنا والتي عليه لليهود او النصارى قد
اجبنا عنها قبل واما ان من ظهر المعجز على وفق دعواه
فهو رسول الله فللقطع بان رجلا لو قال لقوم انا رسول فلان
الملك اليكم وذلك صدقي انه يخرق عادته بالعلامة لاجلي
مثل ان يقوم عن سريره او ينزل عن مركبه فيمشي لاجلي

او ينزع تاجه فيجعله على راس النبي فوجد ذلك من الملك دل على صدق مدعي
الرساله وهذا انما يحتج به على منكري النبوات اما اليهود
والنصارى فيسلمون ان ظهور المعجز يدل على صدق المدعي وانما
ينازعون في وجود المعجز وقد اثبتناه به الحجة الثانية
ان محمدا عليه السلام اما ملك ما حق او نبي صادق لانه ليس
ملكا ما حقا فهو نبي صادق به وانما قلنا انه اما ملك او نبي
لانه لا قايل يقول بالث اذ الخصم يدعي انه كان ملكا ذا سيف
اقام بالقوة ونحن نقول كان نبيا صادقا مويدا من
الله تعالى فقام بالقوة كالنبي الالهي وانما قلنا انه ليس
ملكا كما زعمتم بل نبي صادق لانا علمنا بالاستقرا التام والتواتر
القاطع ان ملكا من ملوك الدنيا لم يبق ملكه بعد بل يتغير
لموته وانما يبقى نواميس الانبيا بعدهم ثم انا ناموس محمد
باق بعده قريب الف سنة فعلمنا انه من الانبيا لا من الملوك
الحجة الثالثة ان نبوة محمد عليه السلام لازمة لنبوة من قبله
من الانبيا جميعهم وقد وجد الملزوم الذي هو نبوة الانبيا
قبله فيجب ان يوجد اللازم وهو نبوته وانما قلنا ان نبوته
لازمة لنبوة من قبله لانا اجمعنا على ان المقتضي لنبوتهم اراده
الله والدليل عليها ظهور المعجز لكن ارادته خفية عن البشر
لا سبيل الى معرفتها فبقي الطريق الى ثبوت النبوة منحصرا
في ظهور المعجز والمعجز مشترك بينه وبينهم كما قد حققناه
غير مرة وانما قلنا ان وجود الملزوم يوجب وجود اللازم
للقطع بان ملزوما لا لازم له محال الوجود الحجة
الرابعة ان محمدا صلى الله عليه وسلم اقر اليهود والنصارى في
شريعته بالجزية مع علمه بانهم يكذبونه ويقدحون في صدقه
وما كان ذلك منه الا مراعاة لحرمة كتابهم وانبيائهم لانه
علم انهم وان تصرفوا فيها بالتبديل والتحريف لكنهم لم يحرفوا
الجميع انما حرفوا ما كان تحريفه فيه غرض عندهم فهم على بقايا
من شرايعهم فراعاهم لذلك وجعل عقوبة تكذيبهم له وعدم
طاعته لانه هذا شان الملوك لا يستبقون من خشوا عاقبته

خصوصا

خصوصا ولم يكن يخفى عليه ان جنس الملك يبقى بعده ويتطرق منهم
يتمكنوا منه بالشبهات والترهات وذلك ما يضعف الناموس
فلما تركهم بالجزية دل على انه مامور فيهم من الله تعالى لا نصيحة
عليه نفوس البشر ولا يتجه على هذه الحجة الا ان يقال لعله
تركهم ليستنبط له من بعدهم هذه الشبهة ويوهم الناس العدل
واخلاق النبوة لكن الجواب عنها انه لو كان قصده ذلك
لكان ذلك يحصل له بان يعف عنهم في حياته فقط ولا كان
يوصي بهم كما اوصى بامته حتى قال اما بعد فمن واخافني يوم
القيامة والذمي عليه مظلمة وقال لهم ما لكم وعليهم
ما عليكم وهذا ابو حنيفة رحمه الله اول ايمة الاسلام وسبح
السلف يقتل المسلم بالذمي لهذا الحديث وروي في مسنده
باسناد متصل ان النبي صلى الله عليه وسلم اقاد مسلما بكافر
فلولا انه مامور فيهم من الله تعالى بالاستبقا وكان ملكا
محضا يحب الرياسة واقامة الناموس لكان استبقاهم
حال حياته وسكت عن الوصية فيهم بعد موته حتى كان
المسلمون قد اخلوا منهم الارض ولم يبق منهم من يورد هذه
الشبهة على دينه الحجة الخامسة انه عليه السلام
قال اذا حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا
امنا بالذي انزل الينا والكتاب والهنا والهكم واحد ونحن له
مسلمون وانما قال ذلك لانه علم انهم حرفوا بعض كتبهم
لا كلها فمنع من تصديقهم خشية ان يكون ما قالوه مما حرفوه ومن
تكذيبهم خشية ان يكون مما لم يحرفوه فكان قوله في غاية الحزم
والثاني في غاية العدل ولو لم يكن نبيا مامورا فيهم
بذلك كما في القران الكريم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي
يوحى لا غرا ان النبي يكذب كلما عندهم وكان ذلك اتم
لناموسه واغيظ لروس اعدايه لانا علمنا بالاستقرا ان
ملوك الدنيا اجمعين ان احدا منهم لم يترك من اثار من قبله
من الملوك ولا الانبيا ما يحتج به على ملكه الا عجزا
الحجة السادسة تختص النصارى وتقريرها انكم
زعمتم ان المسيح هو الله او ابن الله وانه ظهر الى العالم

لينقذ اهل الاثم من اثمهم وخطاياهم وفداهم بنفسه ثم بعد ذلك
صعد الى ابيه فهو جالس عن يمينه فان كان هذا حقا فقد كان يجب
عليه وينبغي له ان يقول لانه حين ظهر محمد بدعوته اهلك هذا
ولا يدعه يغتال الناس ويضلهم ثم احتاج ان ينزل اليهم فيستنقذهم
من فتنته واعظل واصلب مرة ثانية لان عندكم ان المسيح كامل العلم
والقدرة لا يخفى عنه شي في ملكه او ملك ابيه فما الضرورة انه علم
بظهور محمد عليه السلام فسكوته عن الانكار والتغيير يخضع انه
يوجب اما التقصير والرضى بالضلال والراضي بالضلال ضال
او ان محمدا على طريق الرشد والكمال. وقد خبر بالحجة الامرين
ولا واسطه في القسمين ٩ الحجه السابعه جرت عادة الله سبحانه في
خلقه انه متى ان كثر عالم فتره يرسل من يرشدهم الى الهدى ويصدهم
عن الردى ولا خلاف ان العرب كانوا جاهلية لا سماوي او اخرها
عند اوان ظهور محمد عليه السلام كانت احوج الخلق الى ذلك
لما كانت عليه من الظلم والبغي والغارات والقتل بغير حق وسبي
الحريم وظلم الغريب فالعجب انه الاهية تستحيل منها عادة الله
على ذلك من غير معلم يرشدهم ويسددهم حالفين راوا اهل الكتاب
في ضرورة الخلو من النبوات وما رأينا احدا اظهر ناموس
مع تلك الجاهلية وما كانت عليه من المنكرات الا محمدا عليه السلام
فدل على انه هو النبي المبعوث فيها واذا ثبت نبوته بهذا الطريق
الى العرب فالنبي لا يكذب وقد صح عنه بالتواتر انه قال بعثت
الى الناس كافة وبعثت الى الاحمر والاسود وبهذا يظهر تغفيل
من يقول من اليهود انه ارسل الى العرب خاصة لا الى غيرهم
الحجه الثامنه لا خلاف عند كل عاقل ان محمدا صلى الله عليه وسلم
كان اعلى الناس همة واوفرهم حكمة ولولا ذلك لما انتظم له
امر بهذا الناموس هكذا بعده مدة طويلة مع انه دعوى عند
الخصم لا حجة معه ولا خلاف ان من كان بهذه المثابة من علو
الهمة ووفور الحكمة وهمته تعلو الى تقرير منصب دائم
ورياسة باقية انه يحتاط لامره ويتعمل بما يجب فلم حتى لا يعود
عليه ما يفسد حاله ويبخس ماله ومن المعلوم عند كل حليم

فظن لبيب ان الكذب ينكشف ويضمحل رونقه وينكشف ويعود سروره
شرورا وبدعته بدعة من احصومها والمسيح اله النصارى يقول
ما من مكتوم الا سيعلن ولا خفي الا سيظهر فكيف بمحمد على فرض
صدق نفسه لما اقدم على دعواه خشية ان ينكشف امره في
تمادي الزمان فيعود عليه سوء الذكر مدى الدهر ولا سيما
في علو الهمة ووفور الحكمة يخشى معرة الانام كما يخشى معرة
الكامل فلا يرد علينا ان يوتشس رياسة في حياته بما امكنه من لذاته
وتجارته ثم لا يبالي ما كان بعد حياته فان ذلك غاية الخساسة
وتحصيل مقصوده من رياسة الملك دون دعوى هذه الرياسة
الحجه التاسعه لو لم يكن محمد صادقا لكان المسيح كاذبا لكن المسيح
ليس بكاذب فمحمد صادق بيان الملازمة ان المسيح صلى الله عليه وسلم
قال في الانجيل ما من خفي الا سيظهر ولا مكتوم الا سيعلن وهل
نكرة في سياق النفي فيقتضي العموم وان كل خفي لا بد ان سيظهر
فعدم صدق محمد في دعواه اما ان كان ظاهرا او خفيا فان كان
ظاهرا كان يجب ان لا يتابعه احد وان تابعه لرهبة او رغبة
فبالظاهر دون الباطن حتى اذا زالت رهبته او رغبته بزواله
رجع عنه لا رغبة فلا اعتبار بالمالك على الحق ولا الكذب على
الصدق فكيف بهذا الجمع الكثير والجم الغفير في اقطار الارض
يجاورون ذلك هذا محال وان كان خفيا وجب ان يظهر
لا سيما مع دهاء العرب وذكائهم وفطنتهم وصحة طبعهم وفطرتهم
فقد كان فيهم الكهنة والمنجمون والزجارون والمتطيرون واكثرهم
يصيبون ولا يخطئون ومنهم من الاذكياء ابوبكر وعمر وعمرو بن العاص
والمغيرة بن شعبة ولعمرك من لا يحصرهم عدد وقد كانوا يسمحون
باذهانهم ما هو اخفى من ذلك ويكفيهم ان ابن المقفع فيلسوف
العجم يشهد لهم بالفضيلة على الروم والفرس وسائر الامم فيما
ذكره ابو حيان التوحيدي في كتاب له فمن المحال عادة ان يخفى
عليهم امر محمد لو كان باطلا ويدل على انهم ما ادعوا اليه مع كونه
اول الاسلام في نفر قليل ضعيف مستضعف الا وقد علموا
صدقه فصح قولنا لو لم يكن محمد صادقا لكان المسيح كاذبا في قوله
ما من خفي الا سيظهر وانما المسيح ليس بكاذب فالاتفاق

مما ومنكم ولو نازعتمونا في صدقه انتم او غيركم لما وافقناكم على ذلك
لانا نحن احق به منكم فالحجة القاسرة ان من نظر بدين
الاسلام فوجده معظما لجميع الرسل عيسى وموسى وغيرهما يجب
ان من سب احدا منهم او ينقصه قتل وراى اليهود يبغضون
المسيح ويقذفون الله بالبهتان وهم والنصارى يبغضون محمدا عليه السلام
علم ان المسلمين اهل حق لا يشوبه تحامل وان اليهود والنصارى اهل
عناد وتحامل فان قالت اليهود انما ابغضنا المسيح ومحمد
لانهما كاذبان قلنا فالذي ثبت به صدق موسى قد اتى
المسيح بما هو اعظم منه فمقتضى التصديق مشترك فاما ان تصدقوا
الاثنين او تكذبوهما اما الفرق فهوى وتحامل وان قالت
النصارى انما ابغضنا محمدا لانه ليس بصادق قلنا
يلزمكم مقالة اليهود في انهم انما ابغضوا المسيح لانه ليس بصادق
فان قالوا اليهود كفار عاندوا الله قلنا كذلك نقول عنكم
قيام الحجة باظهار المعجز ونحن لم ياتنا محمد بالمعجز قلنا بل جاءكم
بمعجزات قد سبق تقريرها ولكن عاندتم او جهلتم ولهذا
سمى الله تعالى اليهود مغضوبا عليهم والنصارى ضالين لان
تكذيب اليهود عناد وتكذيبكم يغلب عليه الجهل ولو اعطيتم
النظر حقه لوفقهم ورشدهم هذا اخر ما تيسر ايراده في
هذا الكتاب وانا اسال الله الكريم الوهاب ان يجعله لي الى رحمته
وشفاعة نبيه انجح الوسائل واقوى الاسباب ويوفقني وسائر
المؤمنين لما يحبه ويرضاه ويوفقنا عما يبغضه ويقلاه فانه لا
اله الا هو ولا رب عليه في الوجود سواه وكان الفراغ من تعليق
هذه النسخة صبيحة الاثنين سابع عشري محرم الحرام سنة سبع
وسبعمائة والاستدراك يوم الاثنين ثاني عشر شوال السنة
المذكورة بالمدرسة الصالحية بمدينة القاهرة حماها الله وسائر
بلاد الاسلام على يدي العبد الفقير الى رحمة ربه القدير سليمان بن
عبد القوي البغدادي الطوفي الحنبلي عفا الله عنهم من خطه
كتب حسن محمد النابلسي الحنبلي رحمه الله به امين ودائما
بخط مصنفها ثم انهاه نظرا وتصحيحا لما وجد فيه من خلل وطغيان

بلغ مقابلة باصل المصنف الذي بخط مصنفه ولله الحمد

٧٠٧

القلم وملحقا به ما خطر لي من الفوائد اللائق الحاقها عشية الاحد
عاشر شوال سنة ثمان وسبعمائة هجرية وكان الفراغ من تعليق
هاته يوم الثلثا ثالث الرابع من ربيع الاول سنة سبع واربعين وسبعمائة
بالمدرسة المنصورية فالحمد لله رب العالمين اللهم صل على سيدنا محمد وآله
عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون وسلم تسليما كثيرا
ابدا

٧٤٩

هذا تعليق على الاناجيل الاربعه

وليس الاثنى عشر
من كلام الشيخ المصنف الامام العلامه نجم الدين
الطوفي الحنبلي تغمده الله
برحمته امين
برحمته امين

الاحد
الحمد لله الصمد الذي لم يلد ولم يولد

عجبٌ للمسيح بين اناسٍ ... والى الله والدٍ نسبوه
اسلمته الى اليهود النصارى ... واقروا بانهم صلبوه
يشفق الحازم اللبيب على الطفل اذا ما لداته ضربوه
فاذا كان ما يقولون في عيسى يقيناً فاين كان ابوه
كيف خلا وليده للاعادي ... ام يظنوا بانهم غلبوه
فاذا ما افتكرت في دين شر ابطل الامتحان ما رتبوه
لا يدينون بالعقول ولكن باطيل زخرف كذبوه
عليهم لعنة الله والملايكة والناس اجمعين

ام يظنون انهم غلبوه

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

قال الشيخ الفقيه الإمام العلامة نجم الدين
الطوفي الحنبلي رحمه الله تعالى الحمد لله
الذي سلك بالسعداء من خلقه سبل الرشاد وواضع الأرض المهاد ومثبتها بشوامخ الأوتاد
وعدل
بالأشقياء بهم عن طرق السداد إلى الكفر والإلحاد أحمده
حمدًا وفق له إلى الطريق الأقوم وأشكره على ما ألهمنا الحكمة
وعلمنا ما لم نكن نعلم وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له شهادة تنوّر على قائلها ما أظلم وتوضح لديه الأمر ما استبهم
وأصلي على سيدنا محمد الذي بأخرة الرسل وعليهم تقدم
فهو الأول الآخر والمؤخر المقدم صلى الله عليه وعلى آله
معدن الكرامة وينبوع الكرم وأصحابه الكرام السجايا
والشيم وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعد فإن نوع الإنسان
مختلف في الأديان على نحو اختلافه في الأمزجة والأبدان
تحقيقًا لقول رب العالمين في كتابه المبين ولو شاء ربك
لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين وبناء على وقوع
مقتضى قوله المستثنى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين
فاختلف لذلك الأديان وقرر ذو كل دين ما سوى
دينه وكان يحتج بعضهم يرد على بعض ويورد على دينه
ما أمكنه من محال وتناقض وإني رأيت بعض النصارى
صنف كتابًا طعن فيه على ملة الإسلام وقدح بزعمه في نبوة
محمد عليه السلام وكان يشكك ضعفاء الدين الخالين عن قوة
اليقين فرأيت أن أرد عليه وأوجه البراهين المفسدة لقوله
الله فرأيت أن أقدم على ذلك الكلام على الأناجيل الأربعة
ليحصل بذلك في ردنا عليه النهاية ضما دون التوسعة
تعلق عليها هذا التعليق بما كان فيه بعضي على سبيل
الحق والتحقيق وهو هادم لدينهم مظهر منه كل شين وعيب
من تناقض ومحال وفساد واختلال على أن هو المهدوم
حسب وتحصيل الحاصل
النص فإن الأمر على قال

القائل ليس بعوا أي طلاق للنساء الطوالق لكن لا بد من كشف الشبه
والتلكؤ على كل حال من الكلام والحجج بالتعليق على الأناجيل
فوائد منها أن أسعيا ودانيال وأرميا وتعبد
الاثني عشر وأزواجا الكور علمه من أهل الكتاب وهو
ذكي منصف لا بليد متعسف ومعدل
عن الملة النصرانية إلى الملة الحنيفية ويعلم أن ما هو عليه كفر
وضلال وأنه إلى وبه ذلك يحذون ضلالة في أنا ادعوا
إلى الله بإرشاد من وقف عليه وهو قريب مجيب لا إله إلا هو
عليه توكلت وإليه أنيب ولنقدم على هذا
التعليق مقدمات ننتفع بها. الأولى أن هذه الأناجيل التي
بأيدي النصارى ليس شيء هو الإنجيل الذي أوتيه عيسى
المسيح بن مريم وإنما هي في الحقيقة سير صنفها التلامذة
تضمن بعضه مولد المسيح ودعائه الناس إلى الإيمان ونقبه
ارتفاعه إلى السماء بعد صلبه بزعمهم فنظيرها كتب
السير مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيره كسيرة
ابن إسحاق وموسى بن عقبة والواقدي والبكري وابن هشام
التي هي مختصر سيرة ابن إسحاق ونحو ذلك وأما الإنجيل الذي
أنزل على عيسى الذي هو نظير القرآن الكريم فإنما أنه عدم
وضاع وتلاشى كغيره من الصحف التي نزلت على الأنبياء
حيث دثرت فلم يبق لها شهرة أو أنه هو الأمثال والحكم
التي يسمونها هذه الأناجيل من كلام المسيح ضموا إليها شرح سيرته
وسموا الجميع إنجيلا والدليل على ذلك من وجهين أحدها
أن هذه الأناجيل غير أكثرها ليس من كلام المسيح
بل من حكايات المصنفين لها كقولهم إن يسوع فعل
يسوع وقال يسوع يعنون المسيح وكأن العرب عربت هذا
الاسم بأن عكسته من آخره إلى أوله فقلبت واوه ياء
وياءه ألفا فصار عيسى. الوجه الثاني أن كتب الأمم
السالفة التي يؤمنون بها ويعتمدون عليها أنها نزلت عليهم من عند الله
سبحانه صحف شيث وإبراهيم وتوراة موسى وزبور
داود ومصحف أشعيا وغيرها والكلام الذي

الاناجيل هو من كلام التلاميذ والاتباع وفيه تشبيه من كلام
المسيح لانهم يزعمون ان المسيح هو الله او ابن الله فلا حاجة له عند
الى ان ينزل عليه لانه هو المنزل على غيره من الانبيا او ابنه
وهو مطلع على سرائره لكنا نسفر فساد هذا المعتقد
ان شا الله سبحانه فيصح لنا حينئذ بالاستقرا ان هذه الاناجيل
ليست اناجيل المسيح بل تواريخ وضعوها وسموها
اناجيل ولكل احد ان يسمي في اصطلاحه ما شا ما شاه
الثانية انهم اتفقوا في اوايل كتبهم الاناجيل وغيرها
على ان يقولوا باسم الاب والابن وروح القدس الاله الواحد
ووجه ذلك توحيد اذا حقق الامر معهم فيه ظهر انه
اختلاط وخبط لا يشك عاقل في ان المسيح لو سمعه منهم لدعا
عليهم ان ينصروا اعزوه وجنازيرو بالجملة كان لا يرضى به منهم
ثم اني رايت مقدمة نسخة صحيحة مضبوطة بالشكل في بد
افتتاحها بقوله باسم الاله الواحد بالذات المثلث بالصفات
وهذا هو حاصل تاويلهم لقولهم الاب والابن وروح القدس
الاله الواحد فانهم يقولون ان الله سبحانه ذو ثلاثة اقانيم
الاب والابن وروح القدس كما ان الانسان ذو ثلاثة
اقانيم النفس والنطق والعقل وكما ان الانسان باقانيمه
واحد فكذلك الله سبحانه باقانيمه واحد وهذا فاسد
لوجوه احدها ان القول منهم اما ان يكون قياسا او
تنظيرا للتقريب الى الافهام فان كان قياسا فهو فاسد
لوجهين احدهما ان القياس الحاق فرع باصل وها هنا
عكسوا القضية فالحقوا الاصل بالفرع لان الله سبحانه هو
مبدا الكل وعلة العلل وموجد الموجودات ومكون الكائنات
الثاني ان شرط القياس العقلي تساوي المقيس والمقيس عليه
بل كون المقيس عليه اظهر ليحصل فايدة التعريف ونفس الانسان
وعقله لا يساويان الله سبحانه في الظهور والشهرة والجلا
لان الناس اتفقوا على وجود حقيقة الله سبحانه وقد اختلفوا
في حقيقة النفس والعقل اختلافا كثيرا جدا فكيف يصح هذا

القياس. الوجه الثاني ان الاقانيم التي تقومت بها ذات الله
عندهم هي جواهر قائمة بانفسها بدليل ما سنورده عند مجي روح
القدس في جسد حامد والاقانيم للانسان التي تقومت بها ذاته
ليست كلها جواهر بل النطق والعقل صفتان اما النطق فظاهر
واما العقل فلان الدليل دل على انه علوم ضرورية يعلم
بها الانسان جواز الجائز واستحالة المستحيل والعلوم من قبيل
الصفات ولو سلمنا ان العقل جوهر كما قال بعضهم لكان
كون النطق صفة وليس بجوهر كافيا في فساد القياس. الوجه
الثالث ان قولهم واحد بالذات مثلث بالصفات يقتضي
ان الله سبحانه ذات قامت بها ثلاث صفات وهو فاسد
لوجهين احدهما ان ذلك ينافي قولهم الابن وروح القدس لانها
هي جواهر لا صفات فان كانوا اصطلحوا فيما بينهم على تسمية
الجواهر صفات او الصفات جواهر بذلك ايهام وتلبيس
لا حاجة بهم اليه وهو على خلاف مصطلح الفلاسفة
والمتكلمين للملتين وغيرهم الثاني ان صفات الله تعالى
اكثر من ثلاث كالعلم والقدرة والحياة والارادة والكلام
وغيرها من الصفات الذاتية والفعلية فلم حصروها في
ثلاثة وجميع ما يذكرونه في تقرير انحصارها في ثلاث
امور شعرية اقناعية واستئناسات تشبيهية ليس فيها
برهان عقلي ولا نقلي وكلما يوردونه من النظائر الثلاثية
لذلك فهو معارض بالنظائر الرباعية كالعناصر الاربعة
التي هي مبدا العالم الكوني وما يتفرع منها كالكيفيات الابدان
واخلاطها ونحو ذلك وهو كثير او بالنظائر الخماسية
وما زاد عليها. الثالثة انما حمل النصارى على
ما اعتقدوه في المسيح امور ثلاثة احدها كونه من غير
ذكر ثم ظهور المعجزات على يديه فلما شاهدوا هذا الانصدار
عن ولد زنا وكانوا في هذا العالم في الوجود ولا يعلم له
ابا بالنكاح البشري فقالوا انه ابن الله اذ هو ابن ولا ابن
بلا اب فكان هذا قياس الغائب على الشاهد
والاستقرا غير التام وهو فاسد اذ بان الله سبحانه في

ايجاد المسيح بامر عليه وقدرة ازليه لا بامر مباشرة وتشبيه
كما يجرا لان بالمشاهدين في اعادة ابنائهم وقد نبههم الله سبحانه على
طريق الحق لكن اناسهم الخذلان حيث جعل ايجاد نوع البشر على
اقسام القسمة العقلية فاوجد ادم كمثل ادم خلقته من تراب
ثم قال له كن فيكون واوجد غالب ذريته من ابوين هذا طرفان
والواسطتان احداهما حوا اخرجت من جسد ادم ولا ام لها
والثانية المسيح صلوات الله عليه اوجده من مريم باحال روح
القدس لها نفخة نفخها في جيب درعها فحملت به لقدرة الازلية
لا بالطريق البشرية العادية وروح القدس هو جبريل ملك
من ملائكة الله مخلوق من خلقه لا صفة قائمة بذات الله ولا
… مفهوم ذات الله كما ظنه النصارى الضلال الجهال
ولو جاز ان يدعى في المسيح الالهية لوجوده من غير بشر لو
جاز بطريق اولى ان يدعى ذلك في ادم وحوا لانهما اوجدا المسيح
من قبل امه وادم خلقه الله بيده من غير ذكر ولا انثى ونفخ
فيه من روحه بقدرته بغير واسطة روح القدس ولا
غيره … الامر الثاني ظهور الخوارق على يديه كاحيا
الموتى وابرا المرضى ونحو ذلك من الخوارق التي لم يظهر مثلها
على يدي … لكن هذا لا يدل على انه اله والا لكان جميع الانبيا
الهة او يستحقون من الالهية بقدر ما اتوا به من الخوارق
بل اعظم معجز للمسيح احيا الموتى وقد احيا حزقيل …
الفا وهم الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت
وعيسى انما احيا افرادا يسيرة ومعجز موسى اعظم لان
ايجاد الحياة في جماد لا اصل له في الحياة اعظم من ايجادها
فيما له اصل في الحياة لان الاول اختراع والثاني
اعادة وكلاهما بقدرة الله سبحانه وهو الذي بدا الخلق ثم يعيده
وهو اهون عليه وايضا عيسى كان يحيي ميتا ثم يموت والعصا
حية تموت وموسى قلبت له العصا حية مرارا كثيرة وهذا
ابلغ … اعظم فاذا موسى اولى … له الالهية
الثالث ما ورد في الانجيل من كلام عيسى عليه السلام
… فهو له الان والابن … وبابه …

اي وابائهم ونحو هذا والجواب عنه من وجهين احدهما
منع كون هذا الكلام من كلام المسيح وانما هذا اشيا دلس على النصارى
وهم قوم جهال يسطو عليهم المحال والسبب في ذلك ما ذكره
بعض علمائنا في كتاب الفرق وذلك ان اليهود لما فعلوا بالمسيح ما فعلوا
الزمهم الله الذل والصغار واظهر عليهم الروم الذين نصروا
دين المسيح فكانت اليهود بسبب تجارتهم في ارض الروم يخالطهم
النصارى واسنت اليهود النصرة عليهم فقالوا لنحن مع هاولا
مقهورون وعرضنا اذاهم وقد تعذر علينا لما هم الظاهر
فيه باطنا بالتفريق بينهم ثم دسوا لهم رجلا منهم داهية
كان من اشدهم … في النصارى مشهورا بذلك … اليهم
في هذه الذل والصغار والاستصغار والاعتذار …
قد علمتم ما كان من عدوانكم وانا الان منكم اشد ما كنت
عدوكم وسبب ذلك اني رايت المسيح وهو …
ويلومني على تخلفي عن دينه فقبلوه على نوع منهم ثم اخذ
التعبد على دين المسيح حتى فاق عباد الملة فصار متعبدا فيها
مسموع القول فلما علم تمكنه في قلوبهم … بالاحكام يليه
ليسخ مخلفه … ثم قال لهم ان المسيح … الليلة
كذا في وقت كذا واني ساقرب نفسي له …
المذبح مذبوحا والا … على صدري فاحفظوا به
ففيه هداكم فقالوا … وجدوه في ذلك الوقت مذبوحا
والا … على صدره مختلف النسخ فاخذوها وتنازعوها
وكل فرقة قالت انجيلنا هو الحق فتفرقوا واختلف
اهواهم وتم … حيلة اليهود عليهم وصاروا يتخبطون
في الضلال الى الان وحتى الساعة وقال وهذا
شبيه ان عيسى لما رفع تحيرت بنو اسرائيل ثم اجمع رايهم
على ان يجمع اشرافهم في مجلس واحد ثم ينظرون ويجمعون على
امر يلقون عليه لا يختلفون فيه فاجتمعوا فقال ابليس
… حين اليوم ادرك … بني اسرائيل ان
ادركتها يوما تاما ثم جا بها فاطفتهم في ما بين الجمع …

هو في ناحية فلما اجتمعوا اخذوا في البكا لفقد المسيح وخشية الفرقة
والاختلاف فقام احد البساطرة فقال ايها الناس حافظوا على انفسكم
واحمدوا الله ربكم اذ تولى امركم بنفسه فنزل فينا سكن مدة ثم
عرج الى السما وانه ثم قام الاخر فقال لقد احسنت ايها
المتكلم غير انك زعمت ان المسيح هو الله وان الله لا ينزل من
مكانه ولكن المسيح ابنه بعثه حتى دبر امر الارض مدة ثم رفعه
اليه ثم قام ابليس فقال لقد احسنتما ايها المتكلمان غير ان الله
لا ينزل ولا له ولد ولكن الله اله اهل السما والمسيح اله من في الارض
ثم انفض الجمع على خلاف وفرقة وفشا ذلك وتفرعت عليه
تفاريع وذيل عليه بذاييل (?) وكثر الاعتقاد في عيسى عليه السلام
سنة فمما نقل ثم حكى عن الحسن البصري انه قال تعلموا العربية
فان النصارى ضلت بحرف شدد وهو واحد وفي الانجيل
يا عيسى انت نبيي وانا ولّدتك اي اخرجتك مولودا فخففوا
اللام ونسبوا الولادة الى الله وهذا يدل من كلام الحسن على
انه لم يكن فيما جاء به عيسى ما يذكر فيه التوليد الا هذه اللفظة
وما سواها مختلق. الثاني يعتذر ان ما في هذه الاناجيل
من كلام المسيح الا انه محمول على مجاز ظاهر سايغ وحمله
على المجاز اولى من حمله على المحال وتقرير ذلك ان قوله
الاب والابن بمعنى قولنا الرب والعبد ويسانده تصريحه
في الانجيل بان الله سبحانه اله ووجه التجوز ان بين الرب
والاب قدرا مشتركا وهو تحمل (?) الاشفاق والاب
ولده وبين الابن والعبد قدرا مشتركا وهو اعظام العبد
سيده والابن والده خصوصا والمسيح صلوات الله عليه
لم يكن له اب من البشر فتولى الله من تربيته والقيام بامره
ما يتولى الاب من ولده فلوجود العلاقة المجوزة
من حكم المجاز افتقر الى قرينة تدل عليه وتمنع حمله
على الحقيقة قال بعض فضلانا وليس في الانجيل
ذكر الابوة والبنوة بين الله سبحانه وعيسى الا ومعه
قرينة تدل على ان المراد المجاز وشاً (?) بما تستقر به الله

سبحانه موضعا موضعا من فصل فصل من الاناجيل الاربعة مع
ذكري كلما فيها ما يقدح في مذهب النصارى. واما
ما ان اضاف له نسبة البنوة لعيسى الى الله فلا يا قول (?) في
تحلوا ان يريدوا بالابوة والبنوة ما يشبه (?) من ان الذات
ثلثة اقانيم الاب والابن وروح القدس كما ان ذات
الانسان متقومة بالنفس والعقل والنطق او انه متوحد
الذات متعدد الصفات او الابوة والبنوة الحقيقية
المتعارفة بيننا او ان الله سبحانه خلق عيسى بقدرته
وسموها ابا وابنا والاول قد سبق الكلام عليه
في المقدمة الثالثة والثاني مجمع على بطلانه عندنا او
عندهم والثالث هو ما ندعيه من المجاز والله اعلم
وهذا حين الشروع في استقرا ما اردنا استقراه
من الاناجيل. فمنها انجيل متى الذي كان يسمى
لاوي وهو من سبط (?) ايضا خرج من مدينة الناصرة
واسم ابيه دوقو (?) واسم امه خارو (?) ثيابش (?) وكتب
بداية هذا الانجيل بفلسطين و[illegible] في الهند عبرانيا
في السنة الاولى من ملك اقلوديوس وهي التاسعة
من صعود المسيح صلوات الله عليه. ومات متى شهيدا
رجما بمدينة بشترك (?) ودفن في ارض كاجنه (?) فلسارته (?)
نقلت هذا بمقدمة الانجيل نسخة صحيحة من ذلك
ما ذكر فيه في مولد المسيح ان يوسف داود الصديق ثم
تخطب مريم فوجدها حاملا من روح القدس فهم بتركه
خطيبته فظهر له ملاك الرب وقال يا يوسف لا تخف
ان تاخذ خطيبتك فان الذي تلده هو من روح القدس
وستلد ابنا وتدعى اسمه يسوع وهو يخلص شعبه من
خطاياهم ثم قال هذا كله كان لكي يتم ما قيل من الرب
بالنبي القايل هو ذا العذرا تلد ابنا يدعى اسمه عمانويل
الذي تفسيره الله معنا. قلت ضلت النصارى
في هذا الكلام من موضعين احدهما قوله وهو يخلص شعبه

خطاياهم وقوله في آخر الفصل السابع والثلاثين لم يات ابن
الانسان الا ليطلب ويخلص من كان ضالا وقوله آخر الفصل ١
الثالث والاربعين ان ابن الانسان لم يات ليخدم بل ليخدم ويبذل
نفسه عن كثيرين فاعتقدوا لسخافة عقولهم ان الباري سبحانه
لما اراد ان يتدارك آدم وذريته من ايدي الشياطين بعدما
اهلكوهم بالاغراء بالمعصية الموجبة لعقوبته تولى ذلك بنفسه
فتجسد بكلمته في بطن مريم ثم ظهر ناسوتا في لاهوت فافتدى
عصاة بني آدم من النار بان جاد بنفسه حتى صلب ثم عاد
فدخل النار فاخرج منها عصاة بني آدم. واعلم ان هذه
خرافات عظيمة القبح تحار عقول العقلاء في قطع الاوقات
في حكايتها والاجابة عنها وانما نفعل ذلك على جهة التوبيخ
لها ليستحي منهم من لا يعرف مقالتهم وانصاف الامر انهم
الى ان صنفوا كتبا يطعنون فيها في دين الاسلام ويقدحون
فيها في نبوة محمد عليه السلام يختشى منها على ضعفى الملة فاردنا
ان نبين فساد ارائهم ليجتنبه من يدعي الله وفساد عقولهم
لئلا يغتر بهم من يسمع قدحهم في الدين ولا يقول عليه ولعمري
انهم في طعنهم في دين الاسلام لكما قيل في المثل لقد حككت
العقرب بالافعى واستنت الفصال حتى القرعى ومن هذا
الكلام تقدم اعتراض وتناقض اما النقد فيقال لهم
ما تعنون بقوله وهو يخلص شعبه ان اراد به عالم عصره
فهو مخصص بما في قوله انه نزل ليخلص ذرية آدم من مكر
الشياطين وان اراد به شيعته خاصة من ذوي الناسوت
فهم سوا دين فهو قريب لكن عليه الاعتراض المذكور ويقرره
انا وإياكم متفقون على ان الباري سبحانه قادر كامل
القدرة وبقولنا به احتججتم على جواز كونه ذا انا لها
ثلثة اقانيم كالزبرة المحماة ذات الحديد والنار والشرر
والشمس ذات الجرم والنور الفايض والشعاع
ونحو ذلك من امثلتكم الفسيحة اللعبية واذا كان قادرا
مختارا فاي حاجة به الى ان يتجسد ثم يجود بنفسه ويسلمها
للصلب لينقذ بني آدم من النار هذا شان العاجزين

لا القادرين وان كان فعل هذا مع قدرته فهو طعن في حكمته اذ ذلك
عبث مع امكان الاستغنا عنه وما هذا الا بمثابة الملك
المستخف الساخر اخرج ولده حتى يصير لك عليه وسجانه
ذاتكم توجب لخصمكم مقابلته سخافة فيحسبه. واما
الناقض فان اصحاب الاناجيل ذكروا ان المسيح لما احس
بالقتل حزن واكتئب وجعل يصلي ويقول يا ابي ان كان
يستطاع فلتعبر عني هذه الكاس ولست اريد لكن ارادتك
فكيف يكون نفسه ثم يمتنع منها عند الحاجة وهذا التناقض
وان ادعى سواء قلتم ان المسيح هو الله او ابن الله واذا النظر
الناظر بعقل صحيح لم يحتج الى هذه الخرافات بل هذا الرجل
كان انسانا اتاه الله وحيا واصطفاه بعبادة ورسولا كرما الى
خلقه دعى الناس الى طاعته ليخلص منهم من الضلالة من سبقت
له السعادة وكذلك كل واحد من الرسل كان رسيلا لخلاص
من اطاعه فهذا كلام لا غبرة عليه عند احد من العقلاء و
لا يرد عليه ما ورد على خرافاتهم ولا الزمهم الضلال
من التناقض والمحال. الموضع الثاني قوله
الله معنا فانهم حملوه على حقيقته وعدلوا عن المجاز المرسل
للاشكال مع انهم اذا اورد عليهم شي من هذا في التوراة
والانجيل المفسد لذاتهم لجاوا الى دعوى المجاز زد هذا انكف
احملوا هذا على المجاز الواضح واستريحوا من دعوى المحال
البعيد في غيره ووجه المجاز ان المسيح صلوات الله
عليه لما كان انه من ايات الله ورسولا من رسله اظهر معجزاته
وبلغ رسالاته وامر باوامر الله ونهى بنهيه صح ان يقال
ان الله معكم بمعنى رسوله وحكمه وامره ونهيه
معكم لان اطلاق المجاز يكفي فيه ادنى علاقة واصحه
فكيف بهذه العلاقات الكثيرة الهايلة ولكن هذا ولا
لجهلهم وكثرة العلايق التي اسبغه عليهم المجاز بالحقائق
فلله در العرب ما كان اصفا اذهانهم واطلع عقولهم
انظر الى ابي بكر الصديق لما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا يجزن ان الله معنا كيف حملنا على مجازها مادرًا وعلم ان المراد
كونه سبحانه لهم معينا وناصرًا وكذلك الصحابة في قوله
تعالى وهو معكم اينما كنتم اي بعلمه او بذاته على وجه لا يلزم
منه محال. والثاني القايل المشار اليه في هذا الفصل
الظنه اشعيا لانه الذي كان قبل المسيح وبشر به وقد
صرح به في مواضع من كتابه والله اعلم. ومن ذلك
في الفصل الثاني ان ملاك الرب تراءى ليوسف في المنام قايلا
اهرب بالصبي وامه الى مصر لئلا يهلكه هيرودس فهرب
به لكي يتم ما قاله الرب بالنبي القايل من مصر دعوت ابني
قلت وهذا عليه اشكالان احدهما ان المسيح اما ان يقال
هو الله وابن الله اذ انهما واحد كما زعموا فيهما وفي روح القدس
فان كان هو الله او هو واحد فان اله النصارى بعد ان
كان مطلق العنان في امان من الحدثان جلس بنفسه في ناسوت
يحتاج معه الى الفرار من الاشرار ولم نعهد مثل هذا
الفعال الا من المجانين والجهال لان الاله المتعال ذو
العظمة والجلال سبحانه عن هذا المقال. وان كان هو
ابن الله فقد علم ذلك بفعله اباه بنفسه لا من بلائه
وقد بينا ان لا غرض في ذلك صحيح ولا فايدة مرغوب
فيها غير السفه والعبث والفضول المنبئة عن الخبث
والخبث اذ لم يحصل من الفوائد بايجاده بالانسان
وصلبه وغير ذلك من العظايم كان نادرًا ان يحصله
بدونه. الاشكال الثاني قوله من مصر دعوت
ابني وهو انه قد كان يمكنه ان يجعل قوله من مصر او يجعل
ذهابه اليها على غير هذا الوجه ثم يدعوه منها وعلى هذا
الاشكال اشكال. واما القرينة الدالة
على ان المراد هنا بالابن العبد فقد سبق تقريرها وهو
انه ليس ممن يجوز على الله الولادة العرفية البشرية ولا
هو جزء من ذات الله لان لا انفصال له عنه في الغايات(?)
ولا صفة لذاته لانه جوهر منفصل فتعين ان المراد

العبودية بلفظ البنوة بالدليل السابق. ومن ذلك في الاصحاح
الثالث لما اعتمد المسيح من يوحنا المعمداني اي اصطبغ في المعمودية
فلما اعتمد يسوع وصعد من الماء فانفتحت له السموات ورأى
روح الله نازلا مثل حمامة في لفظ انجيل لوقا بشبه جسد
حمامة جاء اليه واذا صوت من السموات قايل هذا هو ابني
الحبيب الذي به سررت. قلت هذه القصة مما يبطل
مذهب النصارى لانهم ان قالوا ان المسيح هو الله فهذا المكابرة
للعيان اذ المسيح ها هنا متميز بذاته عن الله سبحانه وعن
روح القدس في هذه الحال اعني حال هبوط روح القدس
من السما فيكون الله سبحانه هو المسيح وليس هو المسيح هذا خلف
وان قالوا مجموع الثلاثة هي ذات الله فهي الان مفترقة

قطعا ولم ندرك بينها رابطة تجمعها حسا ولا عقلا فلا يخلو
اما ان تكون افتراقها بعد ان كانت ذاتا واحدة او
انها بعد هذا الافتراق اجتمعت وتضامت حتى صارت
ذاتا واحدة والتقدير ان يحال على الباري سبحانه لاستحالة
الاجتماع والافتراق عليه بالادلة الكلامية والبراهين
الفلسفية وانها دلت الادلة على ان القديم لا يطرق وعليه
التغير الذاتي على ما كان عليه في القدم وان قالوا المسيح ابن الله
فقد سبق تقرير البنوة وانها لا تكون الا على وجه المجاز
وان المراد عبدي وعبد الله. ومن ذلك
في بقية هذا الاصحاح لما قال ابليس للمسيح ان كنت ابن الله
فانطرح من هذا الهيكل الى اسفل فقال له مكتوب لا تجرب
الرب الهك وقال له ابليس ايضا ان خررت لي
ساجدا اعطيتك ممالك العالم فقال له يسوع اذهب
وراي يا شيطان مكتوب للرب الهك اسجد وله
وحده اعبد حينئذ تركه ابليس. وهذا صريح في ان
المسيح ابن الله وانه مألوه يريد به عبد له
وبهذا وكوه(?) يظهر لكل عاقل ان المراد بالبنوة حيث

اطلقت العبودية المنصوص عليها هنا لان المسيح لو كان هو الله لاستحال
ان يكون اله نفسه وان يعبد نفسه ولو كان ابنه كان يقول لآخر
اباك والرب اباك اسجد له فلما صرح بلفظ الالهية دل على
ما ذكرناه فان قيل ان المسيح له جهة لاهوت وجهة ناسوت
فبجهة اللاهوت يقول الهي والاب والابن ونحوه وبجهة
الناسوت يقول الهي والهك ونحوه فاختلاف العبارتين
لاختلاف الجهتين فلا استحالة فيه فالجواب من وجهين
احدهما انا نمنع ان في المسيح لاهوتا اصلا بل هو ناسوت محض
والسر الذي قام به انما هو اثر من اثار قدرة الله سبحانه
فان جعلتم هذه القدرة لاهوتا يستحق ان يسمى به الها وابن الله
لزمكم مثله في جميع الانبيا الذين اودعوا اسرار الله واظهروا
الايات والمعجزات والدليل على انه لا لاهوت في المسيح هو
ان يقال المسيح اما ان يكون هو الله او ابن الله والاول باطل من
هذا الكلام لانه لو كان هو الله لما اضاف الالهة الى نفسه لان
ذلك يستلزم الاتحاد وان كان هو ابن الله فاللاهوت الذي
فيه اما ان يكون قايما به مع اتصاله بالله او مع انفصاله عنه
والثاني باطل والا لزم انقسام اللاهوت وهو لا يقبل
الانقسام والاول باطل لان اللاهوت اما جوهر او عرض
ولو كان الاول ان كان كثيفا كالجبل او بالسمع او غيره ان
كان لطيفا كالهوا ولا تعالى يجوز ان يكون مجردا عن المادة فلا
يدرك الا عقلا لانا نقول هذا لا يصح على قولكم لان اللاهوت
الله سبحانه والتوراة والانجيل كلها دالة على جسمية
الرب سبحانه فاسم بجسميته علمادكم والجسم ليس مجردا
فلا يصح ان يكون في اللاهوت ذلك وهو فرع على الالاه لا
يثبت للفرع ما ليس لاصله ولا يجوز ان يكون عرضا
لان العرض لا يبقى واللاهوت باق لا تفارقه عندكم
الوجه الثاني ان النزاع انما وقع في عيسى من جهة
لاهوته لا من جهة ناسوته اذ هو من جهة ناسوته كساير
الناس وهو في هذا المقام في مناظرة ابليس وجداله
فكان اللايق بحكمته حيث قال اسجد لي ان يناقضه ويقول

انا الله او ابن الاله كيف اسجد لك وانت عبد مثلي فلما اجابه بالاعتراف
بالوحدانية لله والتعبد له دل على ان جهته واحدة وهي العبودية
وان لا جهة له كما ذكرتموه ومن ذلك قوله في الفصل
الخامس افرحوا وتهللوا فان اجركم عظيم في السموات لانه هكذا
طردوا الانبيا الذين قبلكم وقال بعد هذا لا تظنوا اني جيت
لاحل الناموس او الانبيا انما جيت لاكمل وصرح بذكر الانبيا
في غير موضع فهذا اعتراف منه بانه من جملتهم وقوله في
الفصل العاشر من انجيل يوحنا في تشبيه ومثل ضربه لهم
الراعي والخراف قال يسوع الحق الحق اقول لكم انا هو
باب الخراف وجميع الذين قبلي كانوا لصوصا وسراقا لكن
الخراف لم تسمع لهم وهذا انكار لنبوة من كان قبله وهذا التخليط
هو من الانجيليين او من نقلها بعدهم من العجمية الى العربية وكلمة
هذا الكذب على المسيح فانه كان رسول الله مصدقا لمن قبله
وبعده من الرسل وفي هذا الفصل ان حملتمى هكذا
ليضي نوركم قدام الناس فيروا اعمالكم الحسنة فيمجدوا
اباكم الذي في السموات فهذا يدل على ان المراد بالبنوة
في حقه العبودية والا لزم ان يكونوا كلهم ابنا الله بموجب
هذه الاضافة فلما كانوا معها عبيدا وجب ان يكون المسيح
ايضا عبدا وانما اختص عليهم بما اختص به الانبيا على اممهم
وهذا وامثاله من القراين المستقلة الدالة على ان المراد
بالبنوة والابوة العبودية والالهية كما صرح به في
مناظرته ابليس في الاصحاح الرابع منه ومن ذلك
قوله في هذا الفصل الخامس سمعتم ما قيل للاولين لا تحنث
في يمينك واوف الرب قسمك وانا اقول لكم لا تحلفوا
البتة لا بالسما فانها مدينة الملك العظيم ولا براسك
تحلف لانك لا تقدر تصبغ شعرة منها سودا ولكن
كلامكم نعم نعم ولا لا وما زاد على هذا فهو من الشرير
قلت اذا نظر العاقل المنصف في هذا الكلام وجده
منحطا متناقضا متهافتا لا يشبه كلام الانبيا بل السوقة
في انشوائهم لا يرضون بمثله وبيان التخبط فيه ان كل
عاقل يعلم ببديهة عقله ان الوفا بالقسم وتحريم الحنث



كرسي الله ولا بالارض فانها موطي قدميه ولا باورشليم فانها

انما كان يعظها واحتراما للقسم به وقد اشار صاحب هذا الكلام
الى هذا بقوله ولا براسك تحلف لانك لا تقدر ان تصبغ شعرة بيضا
سودا فانه اشار الى ان المحلوف به يجب ان يكون عظيما ثم انه
يقول لا تحلفوا بالسما فانها كرسي الله ولا بالارض لانها موطئ
قدميه وهذا يقتضي جواز الحلف بهما لانهما اكتسبا عظمة
بما ورد من عظمة الله بكون هذه كرسيه وهذه موطئ قدميه
وهذا كلام يقتضي اوله اخره فليتأمل والهم هذا
جواب حسن يدفع ما اوردناه عليه وهو ان مقصود المسيح
ان لا يحلف بغير الله كما هو راي المسلم اذ ليس في الموجودات
اعظم من الله سبحانه ولهذا اشار في تعليله الى ان المحلوف به
يجب ان يكون قادرا بقوله لا تقدر ان تصبغ شعرة بيضا سودا
والسما والارض وكذلك الملك ليس شي منها قادرا ولا
معظما عظمة الله تعالى لكن هذا الجواب لا يتاتى لهم في السما
لان المسيح يقول في الفصل السادس والخمسين من حلف بالسما
فهو يحلف بكرسي الله وبالجالس عليه فبقي سؤالنا واردا في
السما وهو يحصل لنا المقصود والله اعلم ومن ذلك
قوله بعد هذا حبوا اعداكم وباركوا على لاعنيكم واحسنوا
الى من يبغضكم وصلوا على من يطردكم ويظلمكم لكيما تكونوا ابني
ابيكم الذي في السموات المشرق شمسه على الاخيار والاشرار
والممطر على الصديقين والظالمين فاذا احببتم من يحبكم فاي اجر
لكم اليس العشارون يفعلون مثل ذلك ثم قلت
قوله لكيما تكونوا بني ابيكم يقتضي الاشتراك بالاضافة
البنوة اليهم على ان المراد بها في حقهم وفي حق المسيح العبودية
والاستدلال بقوله الذي في السموات ههنا حسن
ووجه فانه قادح في دين النصارى ولا واسطة ولا رابطة
بينها توجب اتحادها وانما اخبر باب واحد فاستحال
ان يكون في السموات والارض بذاته في زمن واحد وان
قالوا هو ابن الله واقنوم من اقانيم ذاته لم يمكن الا ان
يحله ذاته في السموات وقد اخبر انه في السموات وجب
ان يكون بقدرته لكي تكونوا عبيد ربكم الذي في السموات

وقد ثبت بما سبق ان المسيح عبد مالوه فصار كواحد منا فلا مزية في ذلك
ويؤكد هذا قوله في سياق هذا الكلام كونوا كاملين مثل ابيكم السماوي
فهو كامل اخبر كماله في السموات فدل على ان المسيح ليس هو
نفسه ولا اقنوما منه ولا صفة له فاما قوله بعد هذا في
سياق الامر بالزهد وصدق التوكل اي رجل منكم يساله
ابنه خبزا فيعطيه حجرا او يساله سمكة فيعطيه حية فاذا
كنتم انتم الاشرار تمنحون العطايا الصالحة لابنائكم فابوكم
الذي في السموات احرى فانه يقتضي بنوتهم بالاضافة
الى الله كبنوته لهم بالاضافة اليهم فهو مجاز للاجماع على ان
العالم كله لا يقال له ابنا الله وهذه الوصية في المسيح بتمامه
لم يحضره وغاب عنه العالم وهذا يبطل دعوى اليهود
والنصارى انهم ابنا الله ~~وهذه الوصية في المسيح بتمامه~~ كما حكى
الله عنهم في القران الكريم لانه يقال لهم هذه الوصية لكم ولغيركم
فمن امتثلها وجب ان يكون ابن الله فاختصاصكم بها لا حجة
عليه ثم يعارض دعوى اليهود بدعوى النصارى ودعوى النصارى
بدعوى اليهود ثم يقال فلم تخافون عذاب الله وهل
يعذب الاب ابنه وهذا الجا بهم الله سبحانه ووجه
الشبه من البنوتين ان الله سبحانه علة ايجادهم كما انهم علة
ايجاد ابنائهم وان اختلف التاثير في الايجاد وفي اواخر
هذا الفصل احذروا الانبيا الكذبة الذين ياتونكم
بلباس الحملان وداخلهم ذياب خاطفة ومن ثمارهم
تعرفونهم فليتأمل صدر بعض علما النصارى هذا
الكلام كتابا صنفه في القدح في دين الاسلام والطعن
على نبوة محمد عليه السلام واراد الله سبحانه التجلي لمناقضته
والرد عليه وهذا الكلام لا يدل على ما اراده لوجهين
احدهما ان يوحنا ذكر في بشارته ان المسيح قال كل
الذين قبلي كانوا لصوصا لا انبيا وهذا كذب على المسيح قطعا
لما سبق بيانه فلا يؤمن ان هذا مثله وان بعض النصارى
وضعه شبهة للقدح في دين محمد عليه السلام الثاني
بتقدير تسليم انه من كلام المسيح فانه لم يغن شيا

يعنيه وانما حذره من يأتي بالصفات الفاسدة المذكورة والثمار
السيئة فان ادعوا ان محمدا صلى الله عليه متصف بها فهو محل
النزاع وعلينا اقامة البرهان بانه ليس كذلك فلا يحصل المقصود
وقوله ليس كل من قال يا رب يا رب يدخل ملكوت السما
لكن الذي يعمل ارادة ابي الذي في السماوات يقولون لي في ذلك
اليوم يا رب يا رب وكان الناس يخاطبونه يا رب كثيرا
فيقررهم قلت فلعل هذا مما يغر النصارى في اعتقادهم
المسيح الها والجواب عنه من وجوه احدها انا قد بينا
ان الانجيل دخله تناقض لا يسوغ فلعل هذا مما افسده الناسخ
ان صح فليس خطابهم للمسيح بالربوبية مقتضي الالهية كما يقال
في العرف رب الدار ورب العبد والدابة ونحوه
الثالث ان وجه المجاز فيه ظاهر وهو ان المسيح رسول
الرب يأمرهم بامره وينهاهم بنهيه فظهرت علاقة التجوز
او يكون على حذف المضاف اي يا رسول ربنا او يا روح ربنا
ونحوه والمسيح اطلق هذا الكلام هنا اتكالا على ما بينه في مواضع
من القرآن النافية للالهية عنه والله اعلم واما
اقراره للناس على قولهم يا رب فلعله لانهم علموا انه ليس
بالاله وهم انما يريدون يا رسول ربنا او يا سيدنا وقد روي
وثيمة في قصص الانبياء عن جرير عن قابوس عن ابيه
عن ابن عباس ان اهل الكتاب يقولون رابا رابا وارجلا ذاهبه
يا ربنا اي يا سيد وحمل عليه قولهم يا رب اي يكون
لعلام اي يا سيدي لان خطابه انما كان بالعبرانية ومن ذلك
في الفصل الثامن ان المسيح زجر البحر وقد هاج بالريح
فسكن وهذا يدل على الصلاحية والوجاهة عند الله
لا على الالهية ولا البنوة الحقيقية ولذلك اجرى امثاله
الانبيا لطرد المجانين الى الخنازير وابرائه المجذوم وغيره
من الايات انما يدل على ما ذكرناه ومن ذلك
قوله في الفصل التاسع للتلاميذ الذين ارسلهم
دعاة في البلاد ستحضرون بين يدي الملوك والقواد
وستعطون في تلك الساعة ما تتكلمون به ولستم المتكلمين

لكن روح ابيكم يتكلم فيكم وهذا كناية عما يلهمهم الله اياه من الكلام
وتيسيره من المقال بلا واسطة او بواسطة الملك ويدل
قوله في انجيل لوقا في هذا بعينه فان روح القدس يعلمكم في تلك
الساعة وروح القدس هو الملك فاضافه الى ابيهم اضافة
ملك لا اضافة ذات والا فالاتفاق ان روح الله الحال
في هاولا ولا من غير المسيح عندهم ومثل هذا قول محمد عليه
السلام ان روح القدس نفث في روعي انها لن تموت نفس
حتى تستكمل رزقها الحديث وفي هذا الفصل ان المسيح قال من
اعترف بي قدام الناس اعترف به قدام ابي ومن انكرني
انكرته قدام ابي والمراد قدام الهي وربي بدليل ما سبق
في غير موضع وبدليل اضافته الاب الى تلامذته على انه
قد صرح بالمقصود في انجيل لوقا فقال من يعترف بي قدام
الناس فان ابن الانسان يعترف به قدام ملائكة الله ومن
انكرني انكره قدام ملائكة الله فهذا يبين ان معنى قوله قدام
ابي اي ملائكة ابي ومعنى ابي ربي فيكون تحقيق الكلام اعترف
به قدام ملائكة ربي ومن ذلك قوله في
الفصل العشرين اعترف لك يا ابتاه رب السماوات والارض
لانك اخفيت هذه عن الحكماء والفهماء واظهرته للاطفال
نعم يا ابتاه ان هذه المسرة التي كانت قدامك كل قد دفع
الي من ابي وليس احد يعرف الابن الا الاب ولا الاب
الا الابن ومن يريد الابن يكشف له وقاسنا في هذا
الكلام وقبله وبعده ما يبين ان المراد به الربوبية
والعبودية لا الابوة والبنوة مع ما يدل على عدم ارادتها
من الدليل العقلي السابق تقريره اما ما في سياق
الكلام فقوله يا ابتاه رب السماوات والارض فان
قرانه لفظ الابوة والربوبية يبين المقصود احد
اللفظين بالاخر وايضا فانه اخبر ان اباه رب السماوات
والارض فقال لا يخلوا اما ان يكون مع كونه ربهما رب
نفسه او لا او رب بعضه دون بعض والثاني
باطل بالاجماع والثالث تحكم وترجيح بلا مرجح وقد بينا

غير موضع ان ما ظهر من المسيح من الآيات والعجائب لا يستحق ان يكون
بها الها ولا ابنا لله على ما يعنونه فعل الاول وهو انه سبحانه
رب السموات والارض وما بينهما وفيهما والمسيح في ذلك فلولا
من نبوة واما ما قبله وبعد في الفصل وغيره فقوله
ابن الانسان وابن البشر يعني نفسه لقوله جاء ابن الانسان
ياكل ويشرب فقالوا هذا انسان اكول شريب الخمر
فان اضافته لنفسه بالبنوة الى الانسان والبشر تنبيها
على انه ليس الها وعلى انقطاع نسبته عن غير الانسان من الاله
ذلك بقوله ياكل ويشرب فان الاكل والشرب يلزمهما
البول والغوط وتلك سمات الحدوث والعدم وما
قام به منزه عن ذلك واليه الاشارة في القرآن المقدس
حيث قال الله سبحانه ما المسيح ابن مريم الا رسول قد
خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام فانه
نبه بهذا على عدم استحقاقهما او احدهما الالهية والقدم
وقال بعد هذا في اخر الفصل وان السبت هو ابن
الانسان والاسد لا لسنه كالذي قبله وايضا فان من له
نسبتان اعلى وادنى لا يترك الاعلى ويذكر الادنى له
ومن ذلك في الفصل الحادي والعشرين ذكر
ان في مصحف شعيا النبي هوذا فتاي الذي هويت وحبيبي
سرت به نفسي به اضع روحي عليه ولفظ الحبيب لا يدل
على الالهية ولا البنوة واما لفظ الفتى فهو ظاهر في العبد
قال فتاي وقال اي عبدي وامي وهو مبين للمراد
كما تشبه قوله عبد حر وحبيب المعبود به هذا النبي
الحبيب الذي سر به واكثر ما يقال ان لفظ الفتى
مجمل لتردده بين الابن والعبد كما نقول قد بينا وبين
انه لا يصح حمله على الابن لا يعني العبد فلو فهذا اللفظ
مبينا لذلك وكلام الله سبحانه يفسر بعضه بعضا في جميع
الملل ه ومن ذلك قوله في الفصل الثالث
والعشرين حين قيل له امك واخوتك يطلبونك فاشار
الى تلامذته وقال هاولاء امي واخوتي ومن صنع

مشيئة ابي الذي في السموات هو اخي واختي وامي فقال لنفسه اب
امومة الاجانب واخوتهم مجازا بجامع طاعة الله كذلك يريد
بالابوة والبنوة الربوبية والعبودية مجازا بجامع علية الوجود
والطاعة كما سبق والعلاقة قائمة في الموضعين فان قيل قد
ذكر في الفصل السادس والعشرين ان المسيح بارك على
خمس خبزات وحوتين فاشبع منها خمسة الف رجل سوى
النساء والصبيان وفضل عنهم اثنا عشر سلة مملوءة
قلنا وقد صح عن محمد صلى الله عليه وسلم من هذا
الجنس اكثر من هذا فانه في غزاة تبوك شكى اليه
قلة الزاد حتى اشار بعضهم بذبح الابل والخيل فاستدعى
النبي صلى الله عليه وسلم بفضلة زاد القوم فجمعوه فاذا هو
قدر ربض العنز فوضع عليه يده ثم بارك فيه وامرهم
بالتزود منه فاكلوا وملاوا اوعيتهم وكانوا عسكرا جرارا
احسبه اكثر من عشرين الفا فان قيل هذا ايضا
من اخبار الاحاد قلنا بل هو صحيح بالاستفاضة
عند المسلمين فان قيل لم يثبت ذلك عند النصارى
قلنا وما ذكرتموه من ذلك عن المسيح لم ينقله الا من
الانجيل والانجيل عندنا اكثره من اختلاق النصارى
وبدل من اليهود وانما نحن نتبرع بتاويله والقدح
في تفاصيله تبرعا على جهة التنزل في مقام النظر
فان سلمتمونا معجزاتكم وان سلمتم سلمنا ويلزم ما
تريدون من ثبوت نبوة محمد عليه السلام بهذه المعجزة المعنية
فان قيل لمعجزاته هذه وامثالها فانتم نظيرها ثم يرجع
بحث الخوارق والمسيح الثابتة بالتواتر الذي لا يسع
فيه كاحياء الموتى ونحوه فانتم الى مابرهون قلنا
في القرآن الثابت بالتواتر ايضا وعلمنا بباب اعجازه
بالبرهان والى الوف من المعجزات استفاضت احادها
وحصل العلم بالمعنى الكلي المشترك بينها وهو التواتر المعنوي
كشجاعة علي وسخاء حاتم وذلك يحصل المقصود ومستقصى
الكلام في هذا ان شاء الله تعالى ومن ذلك في الفصل الرابع والعشرين

ذكر ان المسيح صعد الجبل منفردا ليصلي وانه جاءهم بعد ذلك
في الليل ماشيا على الماء الى السفينة فسجد له من فيها وقالوا له
انت هو بالحقيقة ابن الله وقد بينا ان المجاز في لفظ الابن وانه بمعنى
العبد او الرسول لان الابن يطيع اباه طاعة العبد مولاه
والان في العرف من يشبه في جوانحه بمن يسلك وغيره
رسوله وحينئذ لا يضر لفظ الحقيقة هنا اذ يصير التقدير
انت بالحقيقة رسول الله والمؤيد منه بالقوى الروحانية
ومما يوكد ما نعوّد به المسيح انفراده ليصلي فان صلاته لا يصح
حملها على التشريع والتعليم لانفراده عنهم والابن الحقيقي لا يعبد
اباه هذه العبادة فتعين انه عبد مربوب اطاع الله فاطاع
له الاشياء ۞ ومن ذلك في الفصل الثامن والعشرين
قال المسيح اسمعوا وافهموا ليس ما يدخل الفم ينجس الانسان
لكن الذي يخرج من الفم فهو يخرج من القلب هذا الذي ينجس الانسان
قلت هذا كلام صحيح وحكمة بالغة ولكن النصارى
لجهلهم وسوء فهمهم وضعوه في غير موضعه وحملوه على محمل
تستقبحه وجوههم وكحالهم فظنوا ان مراد المسيح نفي النجاسة
عن البول والغائط حتى جعل رهبانهم وعبادهم ومجانينهم
يتعبدون باجتماع العذرة على اجسادهم وما حولها حتى يصير
كما قال ابو النجم كان ما اداهن الشول من عبس الصيف
قرون الايل ۞ فقبح الله هذا الدين الذي افتروا فيه على
الله ورسله اترى هكذا كانت عادة المسيح والتلاميذ
صلوات الله عليهم كلا والله بل ضلوا وما كانوا مهتدين والذي
يدل على بطلان ما توهموه من هذا الكلام ان النجاسة قسمان
حسية كالبول والغائط ونحوه وعقلية كالذنوب والمعاصي
وهي تسمى نجاسة على المجاز ولهذا قال ابو حنيفة ان الماء
المستعمل في رفع الحدث نجس لان الطهارة عن غير نجاسة
غير معهود فيلزم ان يكون على الاعضاء نجاسة معقولة اذ لم
تكن محسوسة وغرضنا بهذا ان ثم شاهدا للمجاز على ان
في النجاسات ما هو معقول عند بعض الائمة وان لم يكن
معصية لان الحدث ليس معصية ۞ ومن الناس من قال
ان الوضوء يحط الخطايا في اعضاء الوضوء كما نص الحديث

والخطايا

والخطايا بالنجاسات بقذرتها او معقولة مجازية فاسم المسيح نفى ما
يخرج من الفم نجاسة ۞ ونظير هذا قولهم عثرة الرجل وعثرة
اللسان فان الاولى حسية حقيقية والثانية عقلية مجازية
واذا ثبت هذا فالمسيح صلوات الله عليه اثبت لما يخرج من الفم
من غيبة ونميمة وكفر وتجديف ونحوه وصف النجاسة
العقلية المجازية علما ان هذه هي التي نفاها عن الداخل الى
الفم المتطرد الى المخرج ولا يلزم من نفي النجاسة العقلية عنه
نفي النجاسة الحسية لان غرضه ليس نفيها انما غرضه نفي النجاسة
التي يعاقب عليها الانسان وذلك صحيح فان الله سبحانه لا يعاقب
الانسان على انه يبول ويتغوط وانما ذلك من الطبيعيات
الضرورية له ليعيش ويعاقبه على الغيبة والنميمة لانه
من افعاله الاختيارية لا الضرورية وقيد اضطرارا بالناس
اما نجاسة الخارج المتولد عن المأكول فمتقررة في بداية
العقول والشرع فيه تابع للعقل لا بالانفي نجاسته
الا وجوب اجتنابه وذلك ظاهر عقلا لسقوط قوته
وخبث رائحته وطوره من حال الى حال فصار ضررا محضا واذا
صرفا ومفسدة مجردة وعقول لا تقتضي بعد انها
اجتناب مثل هذا فقول يشوه بحذوله والشرع
وجوب اجتناب هذه الخبائث ان الانسان مأمور بالعبادات
لله سبحانه وعابد الله مناج له وواقف في خدمته
فالاولى به ان يقوم في خدمته كامل الهيبة ومن كمال الصفة
ازالة الخبائث التي هي ضرر محض لا نفع فيها اصلا فان قيل
الشرع خلوف فم الصائم لطيبه الرائحة حتى انه يقارب ريح
المسك لا سيما من يتوب الخمر وقد استحب علماء المسلمين ابقاها
له من حين الزوال الى غروب الشمس بل بعضهم كره
ازالتها حينئذ وهذا تعبد لله سبحانه بالريح الخبيثة فما
وجه التشنيع علينا ۞ فالجواب من وجوه
احدها انه ليس الخلوف في ذلك كالعذرة عند
احد من العقلاء فلا يلزم من شرعية التعبد بالادنى
شرعية التعبد بالاعلى الثاني ان الخلوف
ليس مكروها في بداية العقول كالعذرة والعرق

فيها شيء يا أيتها الضعيفة في العبادة حتى يشتد حبها بخلاف الخلوف
البالي أن تعبد الملك هو مما خرج من مخرج التسبيح و
التحكم بعبد أمونا نصف النهار و تعبد النصارى هو مما
خرج من مخرج الصراط و الفسنا بعبدا دائما وابن أحد
التعدد من الأحرى هل هذا إلا مثل فيما سكم الأب والابن
وروح القدس على النفس و النطق و العقل ثم عبد بما فساده
وما سكم هما أظهر فيما ذا الرابع أن المذهب الصحيح
الذي نعتقده وننصره والحجة عليه ظاهرة استحباب إزالة
الخلوف بالسواك للصائم مطلقا وهو مذهب بعض
العلماء ورواية عن أحمد ومن كره إزالته أو استحب
هذه العبادة بقاءه أخطأ في فهم كلام محمد صلى الله عليه وسلم كما أخطأتم
في فهم كلام المسيح لكن خطاهم دون خطاكم لسهولة الأمر
في الخلوف بالنسبة إلى العبادة ونقرر خطاهم في
ذلك سيناه عند هذا المكان والله أعلم ومن ذلك
في الفصل الثاني واللبس قول المسيح للتلاميذ احذروا
من خمير الفريسيين والزنادقة فظنوا أنه يحذرهم خبزهم
حتى وبخهم على ضعف فهمهم وأنه إنما أراد يحذرهم تعليم
الزنادقة والفريسيين فانظر أنها المماثلة في هذا
المجاز ما أبعده وقد صرح أنه أراده ووبخهم على
عدم إمعانهم النظر في فهم كلامه فلا يجوز أن يريد
بالأبوة والبنوة المنسوبة إلى الله والإلهية الربوبية والعبودية
مجازا وإذا كان التلاميذ الذين كانوا أنبياء معصومين خفي
عنهم مراده حتى صرح لهم به فما ظنك برعاع النصارى
الخالفين بعدهم الذين هم كالأنعام بل هم أضل سبيلا
ولعل ملكانيقول قد يشبه الخمير الحل لوقا وقال خمير
الفريسيين الذي هو الرياء لكن يقال له لو صح هذا لما
ذهب وهمهم إلى الخبز ومن ذلك
في الفصل الثالث واللبس حتى جاء يسوع إلى قرى قيسارية
فقال للتلاميذ ماذا يقول الناس إن المسيح ابن البشر فقالوا
قوم يقولون يوحنا المعمداني وآخرون يقولون إيليا

يوجب مواحدًا بهم الطوني لوجه حظا الجهود والله أعلم

وآخرون أرميا أو واحد من الأنبياء فقال لهم فأنتم ماذا
تقولون فقال سمعان بطرس أنت هو المسيح ابن الله الحي فقال
طوباك يا سمعان ثم استحلفه وأعلم أن هذا الكلام قد
وضع بعض غلاة النصارى وقد كان في غاية التغفل وليت
شعري كيف تشتبه عليهم المسيح بيوحنا المعمداني
وإلياء وأرميا وهم أقدم منه في القديسية والنبوة وكل
منهم معروف بنفسه لا يشكل بغيره ويدل على ذلك هذا الكلام
وفساده قوله بعد هذا حينئذ أوصى تلاميذه ألا يقولوا
لأحد أنه يسوع المسيح ووجه الكذب فيه أنه إن كان ابن الله
أو رسول الله فلماذا أخفى نفسه وبالناس حاجة إلى معرفته
لتزول اللبس عنهم والإشكال ويسلكون طرق الهدى
بعد طرق الضلال وهل هذا إلا تلبيس لا يليق إلا بالملبس
والمسيح صلوات الله عليه منزه عنه وإن كان رسول الله فلا
بد أن يبين الرسول ليبلغ ما أرسل به غير خائف مع الله
أحدًا ولا يأخذه فيه لومة لائم وأيضا فإنه قبل هذا قد
فرح بقول سمعان أنت هو المسيح ابن الله فلم يستحي إلا أن
قيل خيفة اليهود أن يقتلوه قلنا الكلام
في هذا وأيضا فإنه كان يعلم أي وقت يقبض عليه اليهود
ولم يكن جاء ذلك الوقت بعد وأيضا فإنه إذا كان يعلم
أنه يقتل لا محالة فمثله لا يستعصم بسيمائه يعلم أنها لا تنفع
ولا ترد قدرا وإن كان يمشي على الماء بيقينه بعيد منه
أن يقول لا تعلموا الناس بي لئلا يقتلني اليهود مع أنه كان
يعلم أنه لا بد له من ذلك لكونه سبق في بشارة أشعيا ونسبة
مثل هذا إلى المسيح قدح فيه ولكن ليس مستبعدا من النصارى
لأنهم أصدقاء جهال وقد قيل عدو عاقل خير من صديق
جاهل هذا ومن ذلك في الفصل الخامس والثلاثين
إن رجلا كان به شيطان فقدمه إلى التلاميذ فلم
يقدروا على إخراجه منه ثم أخرجه المسيح فقال له التلاميذ
لم لم نقدر نحن على إخراجه فقال لقلة إيمانكم الحق أقول لكم
لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لقلتم لهذا الجبل انتقل من

[illegible] اليهود والنصارى [illegible] [illegible] الله [illegible]

هنا الى هناك فيفعل ولا يعسر عليكم شي وقد يكرر له مثل هذا
في مثبته على الما وعنده وهذا ظاهر في ان المسيح انما كان يفعل
الخوارق لقوه يقينه وايمانه وحسن ظنه بالله ولو كان الها
لكان فعله لها بالقدره الالهيه او ان الاله لكان فعله لها
بقدره ابيه وجاهه كما يصرف ابنا الملوك في ممالك ابايهم
بجاههم فلما كان يصرف المسيح باليقين والايمان دل على انه عبد
مربوب في الدولة [illegible] وفي الفصل السادس والثلاثين
لما طلبوا الخراج من المسيح قال يا سمعان ما يظن ملوك الارض
ممن ياخذون الخراج من البنين او من الغربا قال له بطرس
من الغربا قال يسوع فالبنين اذا احرار قلت
هذه اللفظه لا تحتمل [illegible] انها مراده الصوره من البنين
جمع بني او البنين جمع ابن فان كان جمع بني فقد اعترف
المسيح بانه بني وان كان جمع ابن لزم ان يكون لله ابنا متعدده
ولا قايل به بل القايل قايلان احدهما قال ليس لله ابن
والاخر قال المسيح ابن الله سبحانه وتعالى عن ذلك ومن ذلك
في الفصل الثامن والثلاثين قول المسيح لتلاميذه اذا اتفق اثنان
منكم على الارض في كل شي يطلبانه يكون لهما من ابي الذي
في السموات وحيثما اجتمع اثنان او ثلثه باسمي فانا اكون
هناك في وسطهم قلت لعل هذا مما تغتر به النصارى
في كون المسيح الها لكونه قال حيثما اجتمعهم باسمي فانا في وسطهم
وانما هذا كنايه ومجاز عن انكم بحكمي تحكمون وبملتي تعملون
يدل لذلك قوله ما اجتمع اثنان او ثلثه باسمي [illegible] باسمه
يدل على ان ذلك مجاز على ما قلناه والا فلو كان يريد انه
معهم لكونه الها لزم البعض والتجزي على الاله لان المسيح
يكون بذاته معهم وابوه في السموات كما صرح به في غير
موضع وهما عندهم واحد والتجزي على الاله محال ولو
كان معهم بعلمه لم يكن لتخصيص الحاضرين باسمه معنى لان الاله
مع خلقه بعلمه حيث كانوا سوا اجتمعوا باسمه او باسم
الشيطان الرجيم كما قال الله سبحانه في القران العزيز
ما يكون من نجوى ثلثه الا هو رابعهم الى قوله وهو معهم اينما

كانوا ومن ذلك في الفصل الاربع والاربعين قال الفريسيون
الى المسيح ليجربوه فقالوا هل يحل للانسان ان يطلق امراته لاجل
كل عله فقال لهم اما قراتم ان الذي خلق في البدء خلقهما ذكرا
وانثى ومن اجل ذلك يترك الانسان اباه وامه ويلصق
بامراته ويكونا كلاهما جسدا واحدا وليسا هما اثنان لكن
جسدا واحدا وما جمعه الله لا يفرقه الانسان فقالوا له لما
اذا موسى اوصى ان يعطى كتاب طلاق ويخلى قال لان موسى
علم قساوه قلوبكم فاوصاكم ان يطلقوا نساكم ومن البدء
لم يكن هذا واقول لكم من طلق امراته من غير زنا فقد الجاها
الى الزنا ومن تزوج مطلقه فقد زنا قلت
اعلم ان هذا الكلام مختلق على المسيح لا يليق بعاقل نسبته اليه
لانه فاسد وبيان فساده ان المسيح صلوات الله عليه كان
من احكم الحكما وحكمه الثابته عنه لا يماري عاقل في حسنها
وصحه عللها وظهورها للعقول ومناسبتها وهذا الكلام
معلل بعله غير مناسبه وذلك انه جعل العله في عدم
جواز الطلاق كون الخالق خلقهما في البدء ذكرا وانثى
وان الانسان يلصق بامراته ويدع ابويه وليس
هذا التعليل مما يناسب عدم جواز الطلاق والتشديد
فيه نعم فيه ما يقتضي شيئا لكن اقتضاه [illegible] من الاسلام
هذا انتهى ولهذا قال محمد عليه السلام ابغض الحلال الى
الله الطلاق اما التحريم والتغليظ فيه فمن اين ذلك
واما قوله ما جمعه الله لا يفرقه الانسان فهو منقوض
بالعضو المتاكل من البدن اذا اخيف منه الضرر
كان قطعه واجبا عقلا وشرعا حفظا للنفس وقد يحصل
للانسان من الضرر بامساك الزوجه اضعاف ما يحصل
له بابقا العضو المتاكل وقد نص المسيح على هذا في
الفصل التاسع والثلاثين من هذا الانجيل حيث قال
ان شككتك يدك او رجلك فاقطعها والقها عنك وان
شككتك عينك فاقلعها والقها عنك فخير لك ان

يدخل الحياة اعرج او اعمى او بعين واحدة من ان يلقى في جهنم صحيح
الاعضا وقد يكون استمرار الرجل مع المراة مفضيا به الى النار
فيكون كالو سجاه احدا عضايه لو تصور ذلك واما
قوله ان موسى لقساوة قلوبكم اذن لكم ان يطلقوا نساكم
فيقال في جوابه الطلاق لا يخلوا اما انه كان جايزا عند موسى
او غير جايز فان كان جايزا فليف يسجن موسى ما لا يستجيزه
المسيح فان قيل بطريق النسخ قلنا لو كان بطريق النسخ لبينه
المسيح وقال هذا في شرعي حرام وان كان جايزا في شرع موسى
ولكن اعتل بقساوة قلوبهم وقساوة القلوب لا تبيح المحظور
بل يناسب حظر المباح كما شدد الله سبحانه على اليهود بتحريم
جملة من الطيبات وان لم يكن الطلاق جايزا عند موسى فتجويزه
اياه لهم لقساوة قلوبهم ادهان في دين الله ومسامحة في حقوقه
وهو لا يليق باحد الانبيا ثم ان المسيح قد حكم لاصحابه الذين
سالوه عن الطلاق بالعرس وعيرهم بقسوة القلب
فالعلة التي اجازه موسى لاجلها موجودة فهلا اجازه
لهذه العلة وهل منع الشي مع وجود مقتضيه الا تشديد
على خلق الله وحرج عليهم ومعاندة الصواب اقامه
رسوم التكاليف يحصل بدون الحرج والضيق واما
قوله من يطلق امراته بغير زنا فقد الجاها الى الزنا
كلام غير محصل وكيف يلجيها الى الزنا والناس كثير يتزوج
بغيره كما لو مات زوجها وهل زوج المراة وامراة الرجل الا كالخادم
يستمتع به فمتا الجواح اذا مات استرى عوضه كذلك
قوله من تزوج مطلقة فقد زنا فانه في غاية الفساد
والتناقض لان مفهوم قوله من طلق امراته بغير زنا فقد
الجاها الى الزنا جواز طلاقها اذا زنت وقوله من تزوج
مطلقة فقد زنا عام في المنع من تزوج المطلقة سوا طلقت
لكونها زنت او لا لعلة فيلزم من هذا ان من زنت امراته
جاز له طلاقها ولم يجز لغيره تزوجها فيفضي حينيد الى انها
تزني فهذا يلجيها الى الزنا لا الذي قبله فانه

ايها العاقل اللبيب اذا تاملت هذا الكلام وما اشتمل عليه من التهافت
والاضطراب علمت قطعا انه مختلق على المسيح وان المسيح بري منه
وان هولا القوم دلست عليهم اشياخ فراحت ثم جعلوها
اساسا لدينهم فكان بناهم على جرف هار وكما قال المسيح عليه
السلام ثم يحتج على الزمل تحت السيل فهدمه ومن
ذلك في الفصل الخمسين مثل ضربه المسيح للقوم في
رجل سلم كرمه الى الفعلة ليقوموا عليه فلما جا وقت
الثمر بعث عبده اليهم لياخذوا الثمرة فضربوا بعضا وقتلوا
بعضا ثم بعث عبيدا له اخرين ففعلوا بهم كالاولين ثم بعث
اليهم ابنه لعلهم يستحيون منه فقالوا هذا هو الوارث فنقتله
لنخص الثمرة هذا حاصل المثل وهو مثل ضربه المسيح
لله سبحانه ولرسله قبل المسيح ولنفسه بعدهم وربما قرر
النصارى زايغهم بهذا المثل لانه قالوا قد فرق المسيح
هاهنا بين الابن والعبد فجعل نفسه ابن الله وجعل الانبيا
قبله عبيد الله فلو كانت البنوه فيه مجازا عن العبودية
لم يكن لهذا التفريق معنى فدل على ان للابن والبنوه
خصيصة ومزيه على العبيد والعبودية وليس الا مانذعيه
والجواب انا لا نسلم الفرق بين المسيح وغيره من الانبيا
وانه افضل منهم ولكن من ابن لكم ان خصيصته عليهم هي
التي تدعونها من كونه ابن الله ولم لا يقال ان خصيصته هي افضليته
عليهم بما ظهر على يديه مما لم يظهر على ايديهم ولكونه في
نفسه اية حيث خلق كلمة الله من غير بشر والمسيح صلوات
الله عليه في نفسه اية وظهرت على يديه الايات وسائر
الانبيا ليسوا ايات في انفسهم وانما ظهرت على ايديهم
الايات فلهذا الفضيلة استجاز ان ينسب الى الله بالبنوه
المجازية اللغظية ولم يسغ ذلك لغيره من الانبيا لكن
المسيح صلوات الله عليه يقول للعامة والسوقه ما يعلم
من خبره وحديثه عند ابيكم الذي في السموات فاضاف
ابوة الله الى غيره من الناس في مواضع كثيرة فهذا وامثاله

بين ان مراده ببنوة نفسه وابوة الله له انما هي العبودية الخاصة
بمزيد كرامة وفضيلة لا ما ذهبت اليه اذهان فاسدة
ونحوٌ من هذا الجواب عن ضربه المثل بالملك الذي صنع لابنه
عرسا ودعا اليه قوما فلم يحضروا فاهلكهم ودعى لوليمته ابناء
السبيل ذكره في الفصل الثاني والخمسين ومن ذلك
في الفصل الثالث والخمسين حين الزنادقة الذين يقولون ليس قيامة
فقالوا انا معلم ان موسى قال ان مات انسان وليس له ولد
فليتزوج اخوه امراته ويقيم زرعا لاخيه وكان عندنا سبعة
اخوة تزوجوا امراة واحدا بعد واحد ولم يرزقوا منها
ولدا ثم ماتت المراة فلمن تكون المراة في القيامة من السبعة
فقال لهم يسوع ضللتم لم تعرفوا الكتب ولا قوة الله
في القيامة لا تتزوجون ولا تزوجون لكن تكونون كملائكة الله
السماء قلت هذا الكلام ان صح عن المسيح فيجب
حمله على قيامة الموت لا قيامة البعث بعد الموت لان قيامة
كل انسان بموته لانه يلبس له عوضا ما له في قيامة البعث
من خير وشر وفي الحديث واما قيامة احدكم اذا مات
ولهذا ذكر المسيح عقب هذا الكلام قيامة الاموات
وقال اما قرأتم ما قيل لكم من الله اذ قال انا هو اله
ابرهيم واله اسحق واله يعقوب والله ليس اله اموات لكن
احياء ومعنى هذا الكلام ان المؤمن اذا مات كانت نفسه حية
في عالم السموات مجردة عن المادة البدنية ولا يرى ثوابها
باكل وشرب ونكاح وتلذذ جسماني وحسيات الى يوم
القيامة عند بعث الاجساد فان صح هذا التاويل
والا فهذا الكلام مختلق موضوع على المسيح وضعه بعض الزنادقة
الذين سالوه والدليل على بطلانه من وجوه
احدها ان المسيح قد صرح بذكر جهنم في الانجيل في مواضع
في سياق وعيد لا يومن به ذلك عنها بالظلمة وصرير الاسنان
في مواضع منها في اخر الفصل السابع واخر الحادي والخمسين
من هذا الانجيل وعذاب جهنم عذاب حسي فيلزم ان يقابله
للمطيع نعيم حسي لان النعيم الوعدي ينبغي ان يكون بحسب
العذاب الوعيدي لان الرسل انما بعثوا الانام ورهبوهم

بما يعقلون ويجدون ليكون ادعى الى الاجابة واللذة الروحانية
اكثر الامم لا يدرون بها ولقد احتاج الفلاسفة في اثباتها
الى تلطف وضرب امثلة مشاهدة لا تعقل شيئا في اخرته
كالاشارات وغيره من الفلاسفة والامم ابطل النعيم الحسي
لزمه ابطال العذاب الحسي وان العذاب في الاخرة انما هو تالم
النفس بما تجده من اثار العقائد الباطلة وكثافة الجهل
وظلمته عليها كما قرره الفلاسفة وفي ذلك ابطال لما وعد
به الانجيل من جهنم في غير موضع والوجه الثاني ان الباري
سبحانه عدل حكيم والعدل والحكمة يقتضيان ان من ترك
في دار التكليف شيئا بموجب التكليف وتقوى الله سبحانه
ان يعوض مثله من جنسه في دار الجزا وذلك يقتضي ان من
ترك الزنا واللواط والماكل والملابس المحرمة في الدنيا
يعوض بجنسها في الاخرة مجازاة له على تقواه والا كان مثل
ذلك مثل ملك قال لغلامه لا تاكل هذا الطعام من اجلي
وانا اعطيك عوضه علما فان للغلام ان يقول ان لي بدنا ونفسا
والعلم وان كان قوت نفسي الا ان الطعام قوت بدني ولا
القوت لا غناء عنه والعلم لا يقوم مقام الطعام ولا يقوم
الطعام بمقام العلم وذلك لان اجناس الشهوات وغيرها
لا يقوم بعضها مقام بعض فكيف الانسان بان يترك هذه الشهوات
الذي هو اشد الاشياء عليه ثم يجازى بان يجعل كالملائكة
يسبح الليل والنهار لا يفتر ليس بعدل ولا حكمة لانه ينقل
من تعب الى تعب الا ان النصارى ينقل عقولهم هذا بناء
على خرافة رووها عن بعض علمائهم يقال له يقطينوس من الكلبيين
قال له بعض تلامذته ما فائدة ظهور المسيح الى البشر
فقال له كلاما معناه ان الله لما خلق الملائكة جعلوا يتقربون سبحانه
اليه بالعبادة ويزيد هو في اكرامهم وكان فيهم مقدم
جاهل قال لهم الا ترون الله انما يزيد في اكرامنا خشية ان
نهزره على ملكه فهو يصانعنا فهلموا نغلبه على ملكه ونكون
مكانه فوافقه فرقة وخالفه فرقة فالذين خالفوه بقوا
على منازلهم والذين وافقوه سلب الله سبحانه ارواحهم اللطيفة

النيرة في هذه الاجسام الكثيفة المظلمة ثم كلفهم انواع التكاليف
ثم من اطاع ها هنا رفع بعد الموت الى حيث كان من الملائكة ومن
عصى اهبط الى اسفل وجعل الله سبحانه مقدم الملائكة الذين
اشار عليهم بذلك الراي ابليس في دار التكليف ومغويهم
كما كان مغويهم في عالم السما ثم ان الله اراد الرحمة للملائكة
فظهر للبشر ليستنقذهم من حبائل سلطانهم ومغويهم هذا
حاصل تقريره ولو صح هذا وثبت لم ينف الغنم الحسي
لمقتضى العدل الالهي وان صار المكلفون كالملائكة لا تركب
السهو في ما ذنب وما زدت وهم على ملائكة من اهل
السما وبعد خالق الهائجة كان فيهما ما كان الوجه
الثالث ان سوال الزنادقة الذين يقولون لا قيامة
للمسيح عن المراة لمن تكون في القيامة من الاخوة يدل على
انهم علموا ان التزوج في القيامة من دين موسى او المسيح
او هما وايا ما كان دل على بطلان ما عليه من جواب المسيح
لهم وانه يخلق عليه كان سوالهم له عن ذلك خارجا مخرج
الانكار عليه والاستهزاء على ما جا به من النكاح في الاخرة
وتقريره انك تقول بالنكاح في الاخرة وهذه القصة
تشكل على مذهبك لان الاخوة قد تزوجوها فان جعلت
لاحدهم دون الباقين كان ترجيحا من غير مرجح وان جعلت لجميعهم
فلم نعهد امراة لها اكثر من زوج واحد وان قلت
لا تكون لاحدهم دل على ما قلناه من نفي النكاح في القيامة ومن
نفي القيامة ايضا فجواب المسيح لهم بما حكيتم عنه يكون
موافقة لهم على الزندقة ويبلغهم غرضهم فهذا واضح
القدح في هذا الفصل باسره واما جواب الاشكال
الذي اورده الزنادقة في قصة المراة وازواجها
فقد بينه محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال فيما روي عنه
المراة لاخر ازواجها في الجنة وهو مقتضى الفقه والحكمة
لان الاول ينقطع علقته عنها بنكاح الثاني لها وهلم جرا
الى اخر الازواج الذي يموت عنها لان الفرقة بينهما كانت

ضرورية لا اختيارية فالنكاح ينقطع حكمه بالنسبة الى احكام دار
التكليف كما جاز اخذها وان بقيت سواها وسقوط نفقتها ونحو ذلك
لا بالنسبة الى دار الجزا فاذا اعتدت كان احق بها لو لها في عصمته
وكان ذلك مرجحا له على غيره ولهذا لو فرضنا انها عاشت
بعد الموت في دار الدنيا لعادت اليه بالنكاح الاول كما لو كان
فرقهما عن اختلاف دين او اسر او اختطاف الجن او الضلال
في برية ونحو ذلك واولى ومن ذلك في الفصل
الخامس والخمسين قال يسوع للفريسيين ما تظنون في المسيح
ابن من هو قالوا ابن داود قال كيف يكون ابن داود وداود يقول
قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى اضع اعداءك تحت قدميك
فان كان داود يدعوه بالروح ربه فكيف هو ابنه فافحمهم
قلت هذا يوجب احد امور اربعة احدها
اختلاق في هذا الفصل على المسيح وداود وانه لا اصل له
الثاني ان يكون له اصل عن داود لكن المسيح لم يفهم معنى كلامه
الثالث ان داود كان يعتقد ان له ربا غير الله يقول قال
الرب لربي يعني المسيح ولا ينفعهم في دفع هذا الوجه
دعواهم ان المسيح هو الله لان هذا الكلام من داود يقتضي ان لله
ومعه له ربا ومخلصا عن يمينه وذلك موجب لتغايرهما
وايضا ما سبق من الله سبحانه والمسيح حقيقيان معا فضلا ان
حيننا واشارة المسيح الى ان اباه كان له في السموات مع كون
المسيح مشاهدا في الارض الرابع ان يكون معنى كلام داود
قال الرب لسيدي لانه سوف تسميه اهل الكتاب
السيد ربا وهذا الرابع متعين لا رادة لا ان الثاني والثالث
محالان والاول يوجب اسقاط الكلام مع امكان حمله
على معنى صحيح ولا يستبعد ان يكون الله سبحانه اعلم داود بظهور
عيسى بعده وانه افضل منه فكان يعظمه بان يسميه سيدا
بلفظ ربه كما علم يوحنا المعمداني بظهور المسيح فكان يقول
للناس الذي يجي بعدي اقوى مني ولا استحق ان احل سيور
حذائه وهو يعمدكم بروح القدس ثم انا نقول ما تعنون
بالمسيح اللاهوت وحده او الناسوت وحده او هما

والاولى باطلان باجماع بل المسيح عبارة عن ناسوته ولاهوته
جميعا فهب انه صح لكم ان ناسوته ليس ابن داود فكيف يصح ان لا
هوته ليس ابنه وهو ابن مريم التي هي نسل داود فان لم
يكن بد من تسليم ان ناسوته ابن داود كان اطلاق المسيح
انكار كونه ابن داود غير صحيح فهذا يعلم العاقل اللبيب ان
هذا الفصل مختلق موضوع ومفتعل مصنوع قاتل الله من وضعه
واضل الجهال به ولو كان هذا صحيحا كان الواجب ان يفصل المسيح
في الجواب على عادته في اجوبته المفصلة وحكمه الشافية فيقول
لهم ما الذي تعنون انه ابن داود ناسوتي ام لاهوتي الاول صحيح
والثاني باطل لان في ادعاه عين ذريته فكيف يكون ابنه . ومن ذلك
قوله في الفصل السادس والخمسين لا تدعوا لكم معلما على
الارض فان معلمكم واحد هو المسيح وانتم جميع اخوة ولا تدعوا
لكم مدبرا على الارض فان مدبركم واحد هو المسيح ولا تدعوا لكم
ابا على الارض فان اباكم واحد هو في السموات انتهى ولست
ومن المعلوم ان مراده بالاب هو الله سبحانه ثم قد فرق في
الخطاب والتسمية بين الاب والمسيح فدل على ان المسيح غير
الله وليس هو الله ثم قد اضافهم بالابوة الى الله فدل على
انه هو ليس ابن الله والا لزم ذلك فيهم ايضا فلم يبق الا
انه عبد الله كريم على الله وجيه عنده كما صرح به القرآن
المعظم وقوله لا تدعوا لكم معلما على الارض يعني غيري دلالة
الحس والخطاب والقرينة اما الحس فلانه مشاهد
بحقيقته على الارض بينهم فلا يصح على ذلك دعوى انه في
السموات . واما الخطاب فلانه قال فان معلمكم
المسيح ومدبركم المسيح ولم يقل الذي في السموات بل هو على الارض
يعلم وان لا معلم عليها غيره . واما القرينة فلانه
ذكر هذا الكلام في سياق ذم الفريسيين الذين يراؤن
الناس ويعظمون اطراف ثيابهم ويحبون اول المجالس
في العشاء وصدور المجالس في الجامع والسلام في الاسواق
وان يدعوهم الناس معلمين فقال اما انتم فلا تدعوا لكم معلما
على الارض فان معلمكم واحد هو المسيح وهذا الظاهر في ان يعده

الكلام لا تدعوا لكم معلما على الارض غيري . قال [illegible] ذكر
في الفصل السابع والخمسين ان المسيح يسوع قال لتلاميذه انظروا
لا يضلكم احد كثير يأتون باسمي فيقولون انا هو المسيح ويضلون كثيرا
وقال في موضع اخر منه ويقوم كثير من الانبياء الكذبة ويضلون
كثيرا وقال في موضع اخر منه فسيقوم مسيحو الكذب وانبياء
كذبة ويعطون علامات عظاما وايات ويفعلون العجائب حتى
ان قدروا ها قد تقدمت واخبرتكم ان قالوا لكم انه في البرية
فلا تخرجوا او في المخادع فلا تصدقوا وكان البرق يخرج من المشرق
فيظهر في المغرب كذلك يكون مجي ابن البشر وحيث تكون الجثة
هناك تجتمع النسور انتهى فلست النصارى لجهلهم يحتجون
بهذا ويقولون في الفصل الخامس احذروا من الانبياء الكذبة
الذين يأتونكم بلباس الحملان وهم ذئاب خاطفة على ان محمدا صلى الله
عليه وسلم ليس نبيا ولا حجة فيه لان المسيح انما حذر من الانبياء الكذبة
والذين يسمون باسمه ويقولون نحن مسيحون ولم ينص على احد
باسمه وذلك لا ينفي ظهور نبي صادق بعده يدل على صدقه
الحجج والبراهين كما نستقرره ان شاء الله بل هذا مما يدل على
صدق محمد صلى الله عليه حيث قال لا تقوم الساعة حتى تظهر
ثلثون دجالا كلهم يدعي انه نبي الله وانه لا نبي بعدي فكون
عيسى ومحمد اتفقا على الاخبار بظهور الكذابين بعدهما يدل على
صدقهما لان الحق متفقان والحق والباطل مختلفان . واما
وعد المسيح بمجيئه فهو كما وعد به محمد صلى الله عليه وسلم انه
ينزل من السماء فيقتل الدجال ويضع الجزية على اليهود
والنصارى ويقتل الخنزير ويكسر الصليب لان حكمه
بطل بشرع محمد عليه السلام وهو كان اخبر بظهوره على ما
شهدت به التوراة والانجيل كما سنذكره ونزوله
من السماء يكون مثل ملك ولذلك يكون سريعا كما قال كالبرق ولا يكون
مجيه كالبشر واذ انزل اجتمع اليه صالحو الارض من كل
مكان فيقاتل بهم الدجال فذلك معنى قوله حيث تكون الجثة
تجتمع النسور فانظر ايها العاقل الى جهل النصارى
كيف يستدلون بكلام انبيائهم بصحة ما عندنا وهم يحرفون
ويكابرون كفرا وعنادا فعليهم من الله ما يستحقونه .

ومن ذلك ما ذكره في الفصل الرابع والستين ان يسوع لما هو
باكل مع تلاميذه الفصح اخذ خبزا وشكر وكسر واعطى تلاميذه
وقال خذوا وكلوا هذا هو جسدي واخذ كاسا وشكر واعطاهم
وقال اشربوا هذا الكاس هذا دمي العهد الجديد الذي يهراق
عن كثير لمغفرة الخطايا اقول لكم اني لا اشرب من الان عصير
هذه الكرمة الى ذلك اليوم الذي اشربه معكم جديدا في ملكوت
ابي فسبحوا وخرجوا الى جبل الزيتون ٥ قلت اجازة
كون الخبز جسده والخمر دمه ليس على حقيقته قطعا اعني ان
جسده خبز ودمه خمر قبيح بالبداهة وحمله على مجاز سائغ ولا يظهر
في المجاز الا كونه اراد ان مادة جسدي ودمي الخبز والخمر
لانه قوته والاجساد ودماها انما يتولد عن الاقوات ماكولة
ومشروبة وحينئذ يظهر ان قائل ذلك يعترف عند قرب
مفارقته انه بشر محض ليس فيه شي من الالوهية لان حقيقة
الاله لا يتولد عن الاقوات ونحوها من الحدثيات وهذا معنى
قوله سبحانه في القران المقدس ما المسيح ابن مريم الا رسول
قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام
اي يتولد عنه ابدانهما ثم من كان يتقلبه يولد ويغذى كان
وهذا لا يجوز على الالهية ٥ ثم قوله في الخمر اشربه
معكم جديدا في ملكوت ابي يناقض قوله للتلاميذ وهم في
القيامة لا يتزوجون ولكن يكونون كملائكة الله لا يشربون
وهو قد اخبر انه يشرب الخمر مع تلاميذه هناك ٥
ومن الخزعبلات المضحكة التي في الانجيل قوله في الفصل
الثامن والستين ان يهوذا الاسخريوطي لما جاء بالشرطة
من عند روسا الكهنة ليقبضوا على يسوع جرد بعض اصحاب
يسوع سيفه فضرب عبد رئيس الكهنة فقطع اذنه فامره
يسوع بالكف وقال كل من اخذ بالسيف بالسيف يهلك ٥
قلت وفي هذا الكلام اضحوكة واكذوبة اما
الاضحوكة فقوله ان التلميذ ضرب عبد رئيس الكهنة
فقطع اذنه اما رجل هذا الضارب مهندسا فكر وقدر ونظر
واعتبر بالبركار حتى انما قطع اذنه هذا لما يستعد

[illegible]

ان يشق ولكن قوم قليلوا العقول يصدقون بالخرافات ثم يعتقدون
صحة هذا هكذا الكون اشعار الاصحاب لا سيما بهم ان هذه الضربة
من ضربات علي بن ابي طالب لجبابرة الجاهلية التي كانت تقد الفارس
والفرس وضربات غيره من الصحابة كالزبير وطلحة والمقداد
وغيرهم هاولا كانوا الانصار وجدتهم تكون ضربته باصرة
غاية ما قطع اذن عبد ان يسلم لليهود فيفعلون به ما ارادوا
فان قيل المسيح لم يكن صاحب سيف ولا حرب وانما كان سلطانه
بالالهية والحجة البرهانية ومحمد انما كان صاحب سيف
لا صاحب اية فلهذا ظهرت قوته في السيف ولولاه لما قام
ناموسه وهكذا يعززون القدح في شريعة الاسلام بهذه
الشبهة ٥ والجواب اما قولكم ان محمد لم يكن صاحب
اية فهي غير صحيح واياته اكثر من ان تحصى كانشقاق القمر
وتسليم الحجر والشجر وتسبيح الحصا في يده ونبع الما من بين
اصابعه واشباع الخلق الكثير من طعام يسير كما نقلتم عن المسيح
وايات كثيرة دونها اهل العلم في دواوين ومن اعظمها
القران الذي اخرس الالسنة الفصاح بعد التحدي والازعاج
فافتضحوا غاية الافتضاح ولجاوا الى الحرب والكفاح
قال بعض علمائنا في القران الف [illegible]
وعشرون معجزا قال لان جميع القران ستة الاف و
ستمائة وستون اية والمعجز هو الامر الممكن المقرون
بالتحدي الخالي عن المعارض وقد ابان الله سبحانه وتعالى
تنزله تحدى الكفار بالقران حتى تحداهم بسورة مثله
قال وقد بينا اقصر سورة في القران ثلث ايات وهي
سورة الكوثر فوجب ان يكون كل ثلث ايات من القران
معجزا تاما لانه تحدى به فاعجزهم ثم من معجزاته ما تواتر
التواتر الحقيقي كالقران ومنها ما تواتر التواتر المعنوي
كالمشترك الكلي في كل ما نقل عنه من المعجزات كجود حاتم وشجاعة
علي وسخا حاتم فان قيل تواتره عند المسلمين لا يلغي لانهم
متهمون ٥ فالجواب من وجهين احدهما ان عدد التواتر
لا يتهم لانه لا يجوز عليهم الكذب عادة ولهذا لا يشترط عدالتهم

حسبه هذه العبارة فيها غفلة عن المسيح صلوات الله على انبيائه [illegible] المسيح عجز الله عجز الله

التحدي بالدال المهملة وهو الدعا ومنه حداء [illegible] الحدا وهو دعا الابل للسير بحدائها

ولا اسيما وهم لا يعتمدون على تواترهم الا على عدالتهم. الوجه
الثاني ان اليهود اشترطوا في عدد التواتر ان لا يجمعهم دين
واحد وانما اشترطوا هذا الشرط لان المسلمين والنصارى
سألوهم نبوة موسى واياته فامتنعوا عن ذلك فادعوا هذا الشرط
فاعتبروه ليبطلوا به على المسلمين والنصارى ويقولوا لكل
الطائفتين معجزات نبيكم انما تواترت عندكم وانتم اهل دين
واحد فلا نعتبر ذلك حتى يوافقكم عليه اهل دين آخر وهذا من
مكر اليهود وخبثهم عليهم اللعنة ولهم سوء الدار ونحن نمنع اعتبار
هذا الشرط في التواتر ولا حجة لهم على اعتباره فنقول
ان اعتبرتم انتم ايضا هذا الشرط سقطت لكم ايات
كثيرة للمسيح لم تتواتر الا عندكم كاطعام اربعة الاف من خمس
خبزات وابراء الذي كان به الابرص [illegible] وغير ذلك
وما تواتر عندنا من معجزاته كاحياء الموتى ونحوه فانما تواتر
بواسطة نبينا وكتابنا والذي اخبرنا به نبينا وكتابنا انه
نبي ذو معجزات انما هو عبد الله وروحه وكلمته المخلوق
بقدرته الذي بشر على البشارة بنبينا عليه السلام لا الذي
يزعمون انه ابن الله او الله بعينه والذي يزعمون انه كذب
نبينا وحذرهم منه وحينئذ الذي ندعيه ونعرفه غير
الذي تدعونه لا الذات والصفة فما اتفقنا نحن وانتم
على تواتر شيء من معجزات المسيح وحينئذ يبقى تواتر معجزاته عندكم
فقط وانتم قد اشترطتم للتواتر ان لا يجمع اهله
دين واحد فلا تواتر للمسيح معجزة اصلا وان لم تعتبروا هذا
الشرط للتواتر ثبتت معجزات نبينا بتواترها عندنا
كما ثبتت معجزات المسيح بتواترها عندكم وذلك [illegible]
ويلزمكم الانقياد لما نقوله من نبوة محمد عليه السلام واما
نحن فانا نصدق بالمسيح صلوات الله عليه علما وصفة به
لنا فلا يلزمنا من التصديق به نقض ولا رد ولا انتقاد
لا بحمد الله منقادون للحق بدون المناظرة والالزام
واما قولكم ان محمدا كان صاحب سيف فصحيح ونحن

لا ننكر ذلك ولكن انتم لجهلكم اعتقدتم ان ظهور النبي بالسيف نقص
وانما هو غاية الكمال وذلك لوجهين احدهما ان النبوة عبادة
وطاعة والعبادة اذا كانت بالقلب والبدن كانت اكمل من
ان تكون بالقلب فقط او بالبدن فقط لان القلب والبدن جميعا
مخلوقان لله سبحانه فاستغراق العبادة لهما اكمل من انفراد
احدهما بها ومحمد صلى الله عليه وسلم عبد الله واطاعه بالايمان
بما نزل على قلبه من الايات وعبده ببدنه بما حركه واجهده
في الامور الجهادية فهذا اظهر كماله وشرفه على
المسيح وغيره من الرسل. الوجه الثاني ان دين الله
وشعائره اعز الاشياء واشرفها واعظمها واعلاها
واجلها فاقامته بالعزة والقهر والاستيلاء اولى من [illegible]
من اقامته بالذل والمسكنة واحتمال الضيم والصغار
ولما صار لمحمد عليه السلام تلميذ واحد وهو عمه حمزة بن عبد
المطلب [illegible] حمية العرب وضرب ابا جهل بالقوس
فعلق هامته وكان ابو جهل سيد اهل الوادي ولما تلامذة المسيح
لما امسك بعضهم ذب عنه ضرب عبدا فقطع [illegible] فقطع
اذنه كانه اراد ان يجعلها [illegible] او كمة ولهذا
لما كانت الزكاة تنبئ عن ذل اخذها وعزة معطيها
نزه الله تعالى منصب رسوله عنها وحرمها عليه وعوضه
عنها الخمس من الغنيمة التي تنبئ عن عزة اخذها وذل من
اخذت منه ووجه الحكمة في ذلك انه عليه السلام لما اعز
دين الله بالجهاد فيه اعزه الله بتنزيهه عما لا يليق بمنصبه
والله اعلم. ومن ذلك ما في الفصل السادس والستين
ذكر ان بطرس لما قبض على المسيح تبعه وهو احد
اصحابه فانكره ثلاث مرات قبل صياح الديك فمضى
وعد المسيح له بذلك وهو في احصر [illegible] والمتفق عليه
[illegible] ضعف هذا التلميذ وخورته عن معلمه الى ابي بكر
وعمر وعثمان بن مظعون وغيرهم من الصحابة الذين كانوا في
اول الاسلام والشوكة لقريش يقاتلونهم دون رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى تمزق شعر ابي بكر دونه وهو يقول

ايقتلون رجلا ان يقول ربي الله وجرى دم عمر وقتل عثمان
وجد بينهما امر عظيم فلو اصح النصارى لم يذكروا لانفسهم دينا
بين الاديان واما ان لهم دين حرفوه وضلوا عنه واخطاوه
ومن ذلك انه ذكر في الفصل السابع والستين ان اليهود
صلبوا المسيح واتفقت على ذلك الاناجيل الاربعة واجمع عليه
النصارى وهو كذب ومحال لان المسيح اما ان يقال هو الله
او ابن الله او رسول الله وعبده فان كان هو الله كما تقول النصارى
فالجواب ان كل من سمع ذلك عنهم سخر منهم وضحك على
عقولهم حيث سفهوا ان رب السموات جر [illegible] نفسه الى الصلب
وقد كان له عنه مندوحة بقدرته المتفق عليها الكاملة فلا يسع
تعجزها ويحمل على هذا قول القرآن انه لم يصلب وانما القي شبهه
على الذي اسلمه او على بعض اعدائه اذ الباري سبحانه قديم
لا يجوز صلبه ولا لحوق الاذى له على الاطلاق لا ذاتا ولا موضوعا
وان كان ابن الله فالكلام كذلك اذ الواحد من المخلوقين يسرع
جاهدا وماله وقوته لخلاص ابنه من ضرب عشرة اسواط
فما ظنك بالله الذي انقاذ من اراد انقاذه عنده ايسر
الاشياء وقد سبق هذا البحث بعينه وان كان رسول الله
فنقول لا شك ان المسيح لما ظهر على يديه الكرامات وخوارق
العادات ولكونه كان ابدا لا بعينه ظهوره واشتهر حتى صار
اشهر من الشمس والقمر وسار ذكره وتنقل حتى صار اشهر في
الافاق فمن تمثل صلبه بلا شك يجب ان يكون مشهورا كاشتهاره
بحيث لا يختلف فيه اثنان من العالم كما لم يختلفوا في وجوده
من غير بشر ولا انه احيى الموتى وابرا الاكمه والابرص
فلما راينا المسلمين على كثرتهم يخالفونكم في صلبه حتى جماعة
علماء اهل الكتاب اهل العلم الاول والمطلع على دقيقه
وجليله كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار ووهب بن منبه
علمنا انما تدعونه من صلبه خبر احاد من الخرافات والكذب
من الاكاذيب لان مثل هذه الواقعة العظيمة لا يحتمل
مثل هذا الخلاف والتزم ما عند النصارى جوابا عن هذا

ان يقولوا ان جمهورا من اصحاب القصاص وعلماء العرب وغيرهم ان عيسى
لم يصلب وكانت له شوكة فلم يجسر احد مخالفته ثم اسمع على ذلك
ثم المسلمون بعد ذلك يقال لهم لا الجواب هذا اعتذار باطل لان
صلبه قد بينا انه من القضايا التي يلزمها التواتر القاطع الذي لا
يقبل الخلاف ولا يخفى عن احد فقد صح خفا مثل هذا على جمل
او نسيمك او كاتب او امي محال عادة كخفا طوفان نوح وخروج
ناقة صالح ونار الخليل وعصى موسى وولادة المسيح من غير بشر
وهل هو بعد الشهرة الا كمولده فهلا وقع الخلاف في مولده
وقيل انكم معشر النصارى يلزمون انه ولد من بشر
بل هو ابن يوسف بن داود النجار الذي خطب مريم وهي حامل
بالمسيح ولو قال قائل هذا وناقضكم ما وجدتم سبيلا
الى اثباته لانه كان يطعن فيما عندكم من النقل ويدعي تحريفه
وعدم الوثوق به ويقول انا لم يأتني ما يصدقكم
في وجود انسان من غير بشر محال عادة ولا يلزمني فيما ذا
كنتم تثبتونه وهل كان عندكم الا دعوى مجردة عن برهان
مشترك او مقترنة ببرهان يخصكم الا الجهل ونحوه
ولو لم يأت كتابنا ونبينا بما يوافق ما عندكم في مولد المسيح
لنازعناكم فيه كما نازعناكم في صلبه فلما وافقكم محمد عليه
السلام في مولده وخالفكم في سبب وفاته دل على صحة ما
وافق عليه وبطلان ما ظننتموه فيه ان قلتم فصاحب شريعتكم محمد عليه
السلام كان جبارا صاحب سيف ولم يكن بيننا احسبك عاقل
في ان امام هذا الناموس المؤيد والدين المخلد يكون حكيما
هذا مما لا شك فيه لمن له ادنى عقل فاذا ثبت انه حكيم
فما الباعث له على ان يحكي شيئا ليس منه على يقين حسبنه
ان يكون خبره غير مطابق فينفر عنه من يعلم ذلك ولولا
الباطن لم يمكنه الا الظاهر بل الحكمة كانت تقتضي ان
لا يحكي الا ما يعلمه وكلما يعلمه يدعه كما ترك كثيرا من القصص
لم يتعرض لها والتفاصيل التي هي مذكورة في التوراة
من امر العالم ومن الاحبار امر المسيح وهب انه كان

صاحب شوكة يحمي الناس بخالفته في الظاهر لكن الحكمة لا تقتصر
على مراعاة ظاهر حال ما يدل على ظاهره وباطنه فمن هذا البرهان
القاطع المذكور ان عيسى لم يصلب وانما القي شبهه على بعض اعدائه
يقال انه يهوذا الاسخريوطي الذي اسلمه ودل عليه والمسلمون
سموه يوذا وذلك لانهم لما ربطوا المسيح في الجبل وارادوا
رفعه اظلمت الارض ظلمة شديدة وقد نص الانجيل على وجود
هذه الظلمة وانها بقيت ثلاث ساعات من الساعة السادسة
الى الساعة التاسعة فارسل الله ملائكة اطلقوا المسيح وربطوا
مكانه عدوه والقي عليه شبهه ثم رفع المسيح على ظاهر عادة مثله
اليه ثم انكشفت الظلمة ويوذا المصلوب فجعل يقول لهم المسيح
الحلو وربطت مكانه وانا صاحبكم ويذكر لهم العلامات
التي يعرفونها بينه وبينهم وهم يرون عليه شبه المسيح فيزدادون
عليه حنقا ويقولون نلله الله ما اعلمه بسرنا نعتقد ونيه المسيح
بهم الخلف الملعون في ان المسيح توفي حتف انفه قبل ان يرفع ام
لا على قولنا اشبههما انه توفي وبقي ثلاثة ايام وقيل
اربعين يوما تصلي عليه الملائكة في السماء ثم احياه الله وامره
بالرجوع الى تلامذته ليعهد اليهم ما يريد لان اليهود اعجلوه
عن ذلك فان قيل اجمعت الامم الثلاث على وجود الصلب
وقد وافقهم على ان المسيح توفي والصلب الذي يدعونه سبب
صالح للوفاة التي اعترفتم بها فوجب ان يكون قد صلب قلنا
هذا خطأ ومغالطة لان الامم الثلاث اتفقت على الصلب واختلفت
في عين المصلوب فانهم واليهود عندهم هو المسيح اولئك بحلاوة
الظفر وانهم بحلاوة الشناعة والتعدي عليهم ونحن نقول انه
يهوذا او غيره من اعدائه فابن الاتفاق ولا يلزم من اعترافنا
بموته ان يكون بسبب الصلب الذي ادعيتموه لان البرهان
قام على بطلان ذلك وايضا فان اسباب الموت كثيرة والصلب
لم يتعين سببا له ومن ذلك حكايتهم عنه انه قال وهو
في الخشبة الاهي الاهي لم تركتني فانه يدل على انه عذب بالموت
ويدل على تخليطهم في الانجيل وما فضيتهم فيه لانهم زعموا

قوله اشبههما انه توفي ان اراد حسب لفظ القرآن فمسلم وان اراد حسب التحقيق فلا نسلم لان الله تعالى لا يجمع على العبد موتتين وقد اجمع المسلمون على انه ينزل من السماء ويموت في الارض والله اعلم

انه جاد بنفسه في انفاذ النوع الانساني من كيد الشيطان فكيف
يخل بعبثه الان ثم ذكر ان يوسف تلميذ المسيح استوهب
جسد المسيح من فيلاطس الذي تولى برجاله صلب المسيح فوهبه
له وذهب فدفنه ثم ان المسيح قام من الاموات بعد ثلاثة ايام
قلت اما دفن المصلوب الذي القي عليه شبه عيسى لاعتقادهم
انه هو ولو تركوه لا يدفنوه لعاد اليهم المسيح وذاك مصلوب
وافتضح الحق ولكن اراد الله سبحانه وقوع هذا الايهام في العالم
فكان دفن التلميذ للمصلوب كما قال ابو العلاء في البردة المضية
ما في العزي سوى المغترة والله اعلم بالسريرة واما المسيح
عاد من السماء ليعهد الى تلامذته فتوهموه قد قام من القبر وليس
لو كان الامر هكذا لوجب ان يبقى جثة المصلوب في القبر وليس
كذلك فدل على انها كانت جثة عيسى عادت اليها روحه
ثم قام قلنا قد قيل ان اصحاب عيسى سرقوا تلك الجثة
من القبر لاعتقادهم انها جثة المسيح او ليهوذ والحرس الذين
كانوا عليها من اليهود نكاية بهم فيحلفوا انهم فعلوا ذلك وطووا الجثة
وبقيت تلك مدفونة اكلها التراب وتحلف ان اليهود
سرقوا تلك الجثة واتهموا بها اصحاب عيسى ليعلم اليهود
ان عيسى بعث لانهم كانوا يعرفون انه رسول الله ذلك المرده
عنادا كما انكروا محمدا عليه السلام وفعلوا ذلك حتى ان يعتقد
الجثة وهم يعتقدونها جثة المسيح فتظهر للملك انهم يعصبوا
على صاحب نبي فينتقم عليهم او لئلا تظهر للناس صدق المسيح
فيما اخبر من بعثه بعد موته فيرجع الناس الى دينه وما كان
عليه واليهود ما كانوا ابو شيء من ذلك ثم انهم دفنوا تلك الجثة
وتركوها نسيا منسيا فهذا الحمل وامثاله انصاري
معارض بنفي اليهود والطائفتان عندنا لانه متهمون هاهنا
في الغرض نطق المسيح وهاولا في اسلام واطعه والله اعلم
هذا اخر التعليق على الانجيل مني ولنشرع الان في التعليق
على الانجيل مرقس هو تبرع لك فوكه في مقدمته
حكاية عن كتاب اشيعا النبي هوذا انا مرسل املاكي

من موضع اخر لما علا النفس وعلوم ... روحه علا ادراك العقل الكل عما ...

امام وجهك ليمهد طريقك قد امامك صوت صارخ في البرية اعدوا
طريق الرب وسهلوا سبله قلت المراد بالصارخ يوحنا
المعمداني كان يسكن البرية وطعامه الجراد وعسل البر ولباسه
وبر الابل ومنطقته من ادم على حقويه وكان يعمد الناس في
نهر الاردن والمراد بالرب الله سبحانه لا المسيح لان طرق
الشرائع هي سبل الله سبحانه وتعالى والرسل فيها مسخرون
معبدون بالسعي في اماناتها وقد سبق ما دل على ان المسيح
لا يجوز ان يكون ربا ومن ذلك حكايته عن روح القدس
لما جاءه كالحمامة وقد سبق وجه دلالتها في التعليق على انجيل
متى ومن ذلك قوله في الفصل الخامس للمخلع قد غفرت
لك خطاياك حتى قال الكتبة ما هذا الذي يجدف من يقدر ان
يغفر الخطايا الا الله الواحد فقال يسوع ايما ايسر ان
يقال للمخلع قد غفرت لك خطاياك او يقال قم فاحمل
سريرك واذهب لتعلموا ان السلطان لابن الانسان في
الارض ان يغفر الخطايا ثم ابرا المخلع فقام فحمل سريره قلت
جهلت النصارى والكتبة حيث ظنوا ان هذا الكلام من المسيح
يقتضي الالهية وليس كذلك بل رسل الله سبحانه في الارض يبلغون
عن الله ما يوحي به اليهم وهم بمنزلة نوابه في خلقه ووكلائه
يجوز ان يقول لهم احكموا بما رايتم فانكم لا تحكمون الا خطا او انبههم
اذا اخطاوا انبههم واحكامهم في الاصل مستندة الى الله سبحانه
فمن الجائز ان المسيح اوحى الله اليه تلك الحال ان خطايا المخلع
قد غفرت فاخبر بها مضيفا الى نفسه الفعل بناء على ان
حكمه حكم الله وحكم الله حكمه او انه كان ماذونا له في الاحكام
بناء على ما يبدو بالعصمة فاضاف الفعل الى نفسه لانه المستقل
في الارض بالحكم ومستنيبه في السماء ويحتمل انه قال ذلك
بنية التبليغ عن الله او مصرحا بالتبليغ عنه فقال ان الله يقول
قد غفرت لك خطاياك فخفي لفظ التبليغ عليهم لكثرة
الجمع او خفاء صوت المسيح ويحتمل ان لفظه قد غفرت لك
خطاياك على صيغة ما لم يسم فاعله فيدل ذلك ان اللفظ يحتمل
لو قال مغفورة لك خطاياك وهو على صيغة ما لم يسم فاعله ثم

ثم لما كان الفاعل مجهولا مترددا بين الله والمسيح والكتبة سيئة العادة له
يتمنون له العثرات حتى يعقلوه بها فما صرح به الا جدف حتى يتقولوا عليه
وقالوا قد استغنينا عن الشهود عليه فها هو قد جدف في لفظه
على انه هو الفاعل الغافر ووافقهم النصارى على هذا الفهم لغلوهم
في المسيح واعتقادهم الالهية وانما اراد المسيح بالفاعل الغافر الله
سبحانه لكن هذا الاحتمال يرده قوله لتنظروا ان السلطان
لابن الانسان ان يغفر الخطايا فتبقى الاحتمالات الاخر ومعها
لا يصح الحكم بان من صح ان يتولى غفر الذنوب كان الها على الاطلاق
بل يشترط ان يكون مستقلا لا حاكم فوقه وقد تضمن الانجيل ما
ينبئ بنبوته وهو قوله ان السلطان لابن الانسان ان يغفر فانه
نبه بكونه ابن الانسان على انه ليس الها ولا ابن اله بل انسان
لا ينسب اليه والله اعلم ومن ذلك في الفصل السادس
لما قال له الفريسيون قد فعل اصحابك يوم السبت ما لا يحل
قال لهم انما خلق الانسان كان السبت ولم يخلق الانسان
لاجل السبت وابن البشر هو رب السبت قلت
قد يتوهمون ان معنى قوله ابن البشر رب السبت اي انه الاله
الذي شرعه واوجبه وليس كذلك وانما معناه انه رسول
صاحب شريعة مستقلة كموسى فمن جهته يعلم تحريمه او تحليله
لا من الواسطة بينه وبين الله ووحيه واذا لم يتوجه اليه تحريمه فهو
حلال في حقه من هذه الجهة صح ان يقول انا رب السبت لان حجة
الله الا على الشارع كيف وهو يقول ابن البشر هو
رب السبت فنبه على انه ليس مراده ما فهموه ومن
ذلك في اخر الفصل السابع منه قال والذين كانت
بهم عاهات وارواح نجسة كانوا اذا راوه سقطوا
قدامه قائلين انت هو ابن الله والمراد عبد الله تجوزا
عنه بلفظ الابن بدليل ما سبق تقريره في التعليق على انجيل
متى ومن ذلك في اخر الفصل الثالث عشر منه
انه لما احيى الصبية بنت رئيس الجماعة فتعجب الناس منه
وقالوا من اين له هذه القوة والحكمة اليس هذا ابن النجار
ابن مريم اخو يعقوب ويوسا ويهودا وسمعان اليس

اخوته عندنا وكانوا يشكون فيه فقال لهم يسوع ليس نبي يهان
الا في بلدته وعند اقاربه وبيته ولم يصنع هناك قوة واحدة
غير مرضى قليل ابراهم وتعجب لقلة ايمانهم قلت هذا
تصريح منه بانه نبي لان معنى كلامه لا يهان نبي الا في بلده وانا نبي
قد اهنت في بلدي فان وصف المسيح لجهته بنبوته هو
نبي وجهة لاهوت هو بها اله قلنا قد سبق جوابه
هذا في الكلام على انجيل متى لم يلزمكم على هذا ان يكون الا بشرا
او يكون نصف انسان وهو باطل عند العقلا اجمع الا المجسمة
والحلولية وهم طايفة منكم او مثلكم لا غيرة بهم ولكن
ذلك في الفصل الثامن عشر منه ذكر في سياق
انكار الكتبة والفريسيين على تلامذته اكلهم بدون غسل ايديهم
لا ينجس الانسان ما دخل فاه بل ما خرج انما ينجسه ما خرج من فيه
وقد سبق الكلام عليه في انجيل متى ومن ذلك
في الفصل الثامن والعشرين منه ذكر سوال الفريسيين
للمسيح عن طلاق الرجل امراته وقد سبق ذكره في الاربعين
من انجيل متى ومن الاختلاف في هذه القصة وغيرها تفاوت
كثير في اللفظ وهذا يدل على ان هذه الاناجيل رويت
بالمعنى مع تقادم عهدها وتعريبها من العجمي الى العربي وتداول
النساخ والازمنة لها وهذا يقضي انها صارت ممسوخة
واذا كان المسلمون قد وقع بينهم خلاف عظيم لاجل رواية
سنة نبيهم بالمعنى مع قرب المدة وقصر الامد واختلف
علماؤهم في جواز الرواية بالمعنى اختلافا شديدا حذرا من استحالة
الاحكام فما ظنك بهذه الاناجيل مع طول مدتها واختلاف
لغاتها وتفرقها ومن ذلك في الفصل التاسع والعشرين
ان قال لرجل بع مالك واعطه للمساكين ولك كنز في
السما فصعب على الرجل فقال له بطرس ها نحن قد تركنا كل
شي وتبعناك فقال يسوع الحق اقول لكم انه ليس احد
ترك بيوتا او اخوة او اخوات او ابا او اما او امراة
او بنين او حقلا لاجلي ولاجل بشارتي الا وهو ياخذ
ماية ضعف الان في هذا الزمان منازل واخوة واخوات

واب وام وبنين في الشدايد وفي الدهر الاتي في الحياة المؤبدة
اولون كثيرون يكونون اخرين واخرون اولين قلت
قد اخبر المسيح ها هنا ان من ترك شيا من متاع الدنيا
لاجله يعطى اضعافه في الاخرة وهذا يناقض ما حكوا عنه
في انجيل متى وفي الثامن والثلثين من هذا الانجيل في السبعة
اخوة الذين تزوجوا امراة واحدة تترى حيث قال لهم
لا نكاح في الاخرة بل يكونون كالملايكة فاحد الكلامين باطل
عنه قطعا ومختلق عليه جزما اما هذا واما ذاك فانه
يسقط الوثوق بهذه الاناجيل لوقوع الكذب عليه فيها
وايضا فان بعض النصارى قدح في صدق محمد عليه السلام باخباره
بالنكاح في الجنة وهذا يرد عليه لان هذا نص المسيح
في الانجيل ان من ترك زوجته لاجله اخذ اضعافها في
الحياة الدايمة ومن ذلك في الفصل الثاني والثلثين
لما قربوا من يروشليم ارسل اثنين من تلاميذه ليأتياه
بحمار يركبه فقال قولا ان الرب يحتاج اليه ومعنى ذلك
ان السيد يحتاج اليه لانهم كانوا يسمون السيد ربا وتقريره
ان السيد ماخوذ من السودد والسيادة وهي الرياسة
والرب هو المربي ولا شك ان رئيس القوم يربيهم و
ينظر في مصالحهم لكن ليس المربي لمربيه ويدل على ذلك
قولهم في اثنا هذه القصة مبارك الاتي باسم الرب يعني
المسيح هو الاتي باسم الله وليس للعالم الا رب واحد
فتعين ان الرب اذ اسمي به المسيح بمعناه السيد واذا
سمي به الله سبحانه فهو الاله ومن ذلك في التاسع
والثلثين لما ساله الكاتب ان يوصيه قال له ان اول الوصايا
اسمع يا اسرايل الرب الاهنا الرب واحد فهو فانظر
الى المسيح صلوات الله عليه كيف اتى في هذا الكلام بالتوحيد
الذي لا لبس فيه ولا غبرة عليه فانه اخبر بان الاهه
والاه غيره واحد هو اخبر بوحدانيته وبانه عبد
له لانه اضافه اليه والاضافة توجب تغاير المضاف

والمضاف الله وهذا مناف لرأي النصارى لأن من يقول المسيح هو الله
فإنما فاته له ظاهره ومن يقول هو ابنه يقول هو اقنوم لذاته
جوهرا او صفة على ما سبق تقريره في اوائل هذا التعليق بناء
على قولهم في التالوث فقد بان بهذا النص الثابت عندهم الصحيح
انهم ليسوا على دين المسيح وان المسلم احق بزي عيسى صلوات الله
عليه ودينه وما اتى به من اصول الشريعة منهم فلله الحمد على
ذلك دائما ومن ذلك في الفصل الرابع والاربعين
ذكر لوقا المسيح كان يدخل عند بيت سمعان الابرص متكئا
فجاءت امرأة معها طيب لتسكب المسيح فطيبت به المسيح
فانكر عليها التلاميذ وقالوا لو بيع وتصدق به على المساكين
لكان اولى فقال المسيح دعوها كما فعلت المساكين عندكم
في كل حين واما انا فلست عندكم في كل حين واما طيبت جسدي
لدفني الحق اقول لكم ان كل من يكرز فيه هذا الانجيل
في جميع العالم سينطق بما صنعت هذه بذكر لها قلت
فقوله هذا الانجيل اشارة الى ماذا ان كان اشارة الى انجيل
كان موجودا في حياة المسيح فذاك لا يعرفه النصارى ولا
تعرف منهم الا هذه الاناجيل الاربعة وحينئذ يقول
لهم هاتوا هذا الانجيل المشار اليه لنوافقكم عليه فان الحق
فيه واما هذه الاناجيل فهذه لم تكن موجودة على عهد
المسيح بل اول انجيل صنف كان بعد صعود المسيح بثمان
سنين واخرها صنف بعده بنحو الى بثلاثين سنة فان كانت
عند المسيح حتى يشير اليها فاذا انا قلت هذا النحو علمت
ان لفظة هذا في هذا الكلام مدخولة على المسيح زادها
بعض المتعصبين الجاهلين بهم حمله تعصبه على زيادتها ليوهم
ان الانجيل ثابت نص المسيح ومعه جهله عن ادراك ظهور
خيانته وكذبه لمن بعده واذا ثبت انها مدخولة لا اصل
لها سقط الوثوق بهذه الاناجيل لجواز انها او اكثرها
مدخول مختلق فان قيل ليست هذه اللفظة مدخولة ولا
مختلقة على المسيح بل هي من كلامه واشارته بها الى بعض الكلام
الذي هو في قصة المرأة المذكورة وسمى ذلك الكلام

[illegible]

وان قيل انجيلا لانه بعض الانجيل اطلاقا لاسم الكل على البعض مجازا
كما تسمون انتم بعض القرآن قرآنا قلت هذا لا يصح لان
الانجيل عندكم هو بمنزلة المصحف عندنا ومن الاسماء الكلية
التي لا تصدق على جزئها اسم كلها كاليد والرجل والرأس
والظهر ونحوها من الاعضاء المركبة فلا يقال لبعض الانجيل
انجيل ولا لبعض المصحف مصحف كما لا يقال لبعض اليد يد
ولا لبعض الرأس رأس واما القرآن فهو باعتبار
اشتقاقه في لغة العرب من الاسماء البسيطة التي تصدق
على جزئها اسم كلها كالشحم واللحم والعظم والعرق والعصب
لان اشتقاق القرآن من القرء وهو الجمع لانه جمع الكلام
او القصص والاحكام فحيث كان جامعا لشيء من ذلك كان قرآنا
وان كان جزءا يسيرا منه فلهذا قيل لبعض القرآن قرآن
كما قيل لبعض الشحم شحم ولبعض اللحم لحم ولبعض الماء ماء
ونحو ذلك فان قيل بل الانجيل هو نظير القرآن عندكم
وبذلك نزل كتابكم حيث قال فيه في غير موضع وانزل
التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان
وقال في موضع اخر وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن
الانجيل واذا كان الانجيل مقابلا القرآن لا المصحف جاز
ان يطلق على بعضه اسم كله كالقرآن وحينئذ يصح ان يكون
هذا من المسيح اشارة الى كلامه ذلك بعينه سماه
انجيلا وان كان بعض الانجيل قلت هذا
وهم وغلط لان الانجيل الذي نثبته عن قرآننا للقرآن
عندنا ليس هذا الذي بايديكم بل كتاب انزل على عيسى
كالتوراة على موسى وذلك ليس موجودا عندكم وان
حسموا به وافقناهم عليه لانا نعلم انه لا يخالف ما
عندنا لان الجميع من عند الله واما هذا الانجيل
الذي بايديكم فهو كما تروونه لم ينزل على المسيح وانما
صنف بعده على هذا التاريخ لمولد المسيح وصعوده وسيرته
فالذي يعرفه نحن لا تجدونه انتم حتى تسمونه
بسطا ولا مرشدا والذي تجدونه لا نسلم لكم انه ولا
نسلم لكم اذن الى اثبات دعواكم من قبل

والانجيل

الانجيل هو كلام المسيح الذي كان يقوله للتلامذة وللناس غيرهم
وهو ضمن هذه الاناجيل الاربعة وحينئذ يجوز انه علم ان
كلامه سيدونون بعده مضموما اليه شرح سيرته وتاريخ مولده
وصلبه وانه يسمى انجيلا فوقعت الاشارة بقوله هذا الى
مجموع كلامه الذي علم انه سيدون ويسمى انجيلا وتلك
اشارة صحيحة قلت هذا اصلح من سوالك الاول مع انه
لا يستقيم اما اولا فلان قولكم ان الانجيل هو كلام المسيح مناف
لما تقولون ان المسيح هو الله فهو المتكلم الموحي الى جميع الانبيا وانه
ابن الله فهو متصرف في ملك ابيه مطلع على اسرار لاهوتيته
لانه هو وابوه وروح القدس جميعا اله واحد فانتم مصرحون
به ونحن قد ابطلنا ذلك ومنعنا نحوه ومع منع الاصل
لا يثبت الفرع واما ثانيا فلان قولكم علم ان كلامه سيدون
فيه [illegible] ايضا على ان المسيح الدال على الالهية وانه يعلم الغيب
لا يخفى عليه شي مما كان او يكون وهذا ايضا ممنوع عندنا بل انما
نعتقده عبد الله ورسوله لا يعلم من الغيب الا ما اطلعه الله عليه
كما قال في القران المقدس عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا
الا من ارتضى من رسول وقوله ولا يحيطون بشي من علمه
الا بما شا واما ثالثا فانا نقدر ان نسلم لكم ان الانجيل
هو كلام عيسى لكن هذا رايتم ما خالطه من كلام الانجيليين مع
احاديث عن ارائهم وما قد ارسلتم من الدخل والنقص
فيه عندكم بصفة مثلكم ومن غيركم ولا نعتقد وما هذا
شانه لا يبقى به وثوق بحيث يبنى عليه فروع شريعة
فضلا عن ان يبنى عليه اصول شريعة [illegible] عليها
[illegible] هذا التقدير معنى مشكل في
لفظة هذا المذكور لا نعلم هل هي من كلام المسيح او يحكونه
عليه ولهي يتمسك بها لانه ومن ذلك
قوله في الفصل الخامس والاربعين وهو الاخير منه ومن بعد
ما كلمهم الرب يسوع ارتفع الى السما وجلس عن يمين الله
قلت فهذا يقتضي انه انسان فان [illegible]

ورفع القدس الها واحدا هذا متناقض ومحال ومن الاختلاف في الاناجيل
قصة انكار بطرس للمسيح قبل ان يصيح الديك فان في انجيل متى ولوقا
ويوحنا انك ستنكرني قبل ان يصيح الديك ثلاث مرات وحكوا
الامر كذلك وفي انجيل مرقس ستنكرني قبل ان يصيح الديك
مرتين ثلاث مرات وحكى الامر كذلك وهذه قصة واحدة
والجمع بلفظها اللذين رويت بهما غير ممكن وبدون هذا
يسقط الوثوق بالكتاب وان هذا القران الذي على وجه
الارض له الوف من الحفاظ وبه الوف من النسخ لا يختلف
الجميع في حرف واحد منه ولو لم يكن على صحة دين الاسلام دليل
مطلب الا هذا لكفاه ويحكى ان هلاكو ملك التتار لما ظهر على ارض
العراق والعجم احب النظر في الاديان على جهة الترجيح
والامتحان فسلك الى ذلك طريقين حسنين دلتا على ذكائه
وجودة فطنته احداهما انه استدعى بالتوراة والانجيل
والقران ثم احضر كل واحد كراسا فاخفاه ثم استدعى
بعد روسا علما الملل الثلاث فاعطى كل واحد منهم نسخة
وامره ان يقراه من اوله الى اخره فاليهودي والنصراني
قرا الى الاخر ولم ينتبها لما ذهب والمسلم لما جا الى الموضع
المفقود وقف فقال مالك فقال ذهب من هاهنا كذا
وكذا فقال الملك هاولا اضبط لدينهم من هاولا
الطريقة الثانية انه سال علما الملل الثلاث عما صنعوا
فقيل له موسى صعد الجبل وجا بالكتاب وعيسى
صعد ولم ينزل الى الان ومحمد صعد وعاد في ليلة فقال
هذا وصل الى استاذه فقضى شغله وعاد وذاك صعد
فلم يقض شغلا والاخر لم يصعد اصلا فالذي قضى شغله
وعاد هو اليها ذرة او كما قال وهذا وان كان فيه تحامل
على الانبيا لانا نعتقد شرفهم وصدقهم ولا نفرق بين احد
منهم لكنه يدل على [illegible] استخرج استخراجا حسنا ليت
النصارى وفقهوا البقية ولكنهم [illegible] خرافات
يكفيهم ان عقلا العالم بمجرد سماعها يلعنونهم وينفرون
منهم واذا سئلوا انفسهم عن ذلك وعزوها فالواجب

على الملة المسيحية بما ميزنا به الملة المسيحية حق ولكن لسنا على شيء منهما
وان المسيح اشد عداوة لكم عبد الله منه لليهود لانكم غلوتم فيه
حتى اعظمتموه ما لا يستحق واولئك فرطوا فيه حتى سبوه ما لا يستحقه
وجاء الاسلام فيه بالعدل والقسط لا افراط ولا تفريط
فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين هذا
اخر التعليق على انجيل مرقس وهذا اخر الشروع في التعليق على
انجيل لوقا فمن ذلك قوله في مقدمته في اصحاحه
ان زكريا لما بشره به جبريل يكون عظيما قدام الرب لا يشرب
خمرا ولا مسكرا ويمتلي من روح القدس وهو في المقدمة
وامتلا زكريا ابوه من روح القدس قلت في هذا الكلام
شناعة ونقض على النصارى اما الشناعة فان ملك الرب
وصف ابن زكريا بانه لا يشرب الخمر على جهة المدح له
والانجيل نصت ان المسيح ملا الكاس وقال هذا دمي
وما عدت اشرب عصير الكرمة حتى اصل الى ملكوت
السموات او معنى هذا الكلام وقد سبق وهذا يدل على
ان يحيى بن زكريا افضل من المسيح لان دين المسيح ترك الدنيا
وشهواتها وقد زهد يحيى فيها فيما لم يزهد فيه المسيح
وهم لا يقولون بهذا ولا يحيى فانما الزمناهم الزاما
واما النقض فان الانجيل قد نص ان زكريا امتلا من
روح القدس في بطن امه وهذا ابلغ من المسيح لان
الانجيل نص ان روح القدس انما جاء المسيح لما اعتمد من
يوحنا المعمداني ولذلك نص الانجيل امتلا زكريا من
روح القدس فيلزم النصارى ان يكون زكريا وابنه الهين
او ابنين للاله لمشاركتهما المسيح في روح القدس وهو
فوق منهما في المسيح في ذلك الا ان المسيح ولد بغير بشر
وظهرت على يديه من الايات ما ظهر وليس ذلك بموجب
مؤثر في حيث الابوة والبنوة بل من حيث ظهور المعجزة
التي يخص الله تعالى بها من يشاء من خلقه بل ابلغ من هذا انه ذكر
في الفصل الثالث ان شمعان كان يحل عليه روح القدس

حسبه ويلزم النصارى ان يكون النصارى كلهم ابناء الله بعموم حلول روح القدس عليهم
قلت ... ابناء الله على ... رهبانهم وقسوسهم واساقفتهم

فيلزم ان يكون ابن الله ايضا ومن ذلك حكايته ان ملك الرب
لما جاء مريم خافت منه فقال لا تخافي يا مريم قد ظفرت بنعمة
عند الله وانت تقبلين حبلا وتلدين ابنا وتدعى اسمه يسوع
يكون عظيما وابن العلي يدعى ويعطيه الرب كرسي داود ابيه ويملك
على بيت يعقوب الى الابد ولا يكون لملكه انقضاء قلت
اما قوله وابن العلي يدعى فيحتمل وجهين احدهما ما سبق الدليل عليه
من ان المراد بالابن العبد والثاني ان يكون تشنيعا على من
يعتقد فيه البنوة بغير معنى العبودية ويكون المقدر انه لعظمة
قدره وشهرته وارتفاع محله يفتتن به بعض العالم حتى
يدعوه ابن الله تعالى هذا الكلام لا في هذا الفصل ما هو لك
مع ما في الانجيل من صلب اليهود للمسيح واهانتهم له فان ملكه
على بيت يعقوب الى الابد ان اريد بذلك حقيقته فهو مكابرة
للحس فان المسيح الان عند الله سبحانه وبنو يعقوب منهم
اليهود والنصارى وبينهم الحروب والملك يجب ان يكون دولته
ساكنة رعيته مسعفة وان اريد بان اسمه في النبوة باق
الى الابد فهذا يشاركه فيه جميع الانبياء ولذلك ان اريد
به ان له ملة وشريعة باقية على زعم اصحابها الى الابد
وقوله يعطيه الرب كرسي داود ابيه مناف لما سبق
من انكار المسيح ابوة داود حيث احتج بقوله قال الرب
لربي ثم ان اريد بكرسي داود ملكه فالمسيح لم يملك
وانما كان فقيرا سائحا يدعو الى طريق الحق واليهود من
الكهنة والكتبة والفريسيين يعاندونه وهو يفر منهم
من مكان الى مكان حتى صلبوه في اخر الامر ويقربوا التقلب
الى الله على زعمكم وان اريد بكرسي داود مسكنه ودار
مملكته فتلك بيت المقدس والنصارى عنها معزولون وان
اريد بكرسيه ارض الروم والافرنج ودار مملكة النصارى
قسطنطينية ونحوها فليس ذلك كرسيا لداود ولا
هو ولا على ملك المسيح حتى يصح لهم هذا الخبر فهذا الكلام
منتحل لا اصل له والنصارى استقروا من ملك النصارى

في الروم ليس لاجل المسيح وانما هو باخبار اسحق ودعائه بان
ذلك يكون بان ولده العيص الذي هو ابو الروم كما ذكر في التوراة
ومن ذلك قوله في الفصل الثاني حكاية عن ملك
الرب انه قال للرعاة ابشروا فقد ولد لكم اليوم مخلص الذي
هو المسيح الرب انتهى قلت وقد بينا غير مرة ان الرب
لفظ مشترك في لسانهم بين الاله والسيد المعظم فقوله
المسيح الرب يعني السيد انتهى وقول الرعاة امضوا
بنا الى بيت لحم لننظر الكلام الذي اعلمنا به الرب يعني ملاك
الرب وهو رسول الاله وقد قال بعض الفضلاء اكثر اختلاف
العلماء باشتراك الاسماء فاذا كان باشتراك الاسماء مورثا
في اذهان العلماء حتى يختلفوا فاحرى ان يورث في اذهان الجهال
حتى يضلوا انتهى ومن ذلك في هذا الفصل قال ان
سمعان راى في الرؤيا بان روح القدس انه لا يرى الموت حتى
يعاين المسيح الرب فدخل بالروح الى الهيكل عندما جاء
بالطفل يسوع ابواه يعني مريم ويوسف خطيبها قلت
شعري اذا جعلوا المسيح ابن يوسف مجازا للعلاقة بتلبسه
مع اهله يوسف للولادة الحقيقية فما المانع ان يجعلوه
ابن الله مجازا بمعنى عبد الله وتتجرد اذا هذه العبارة الشنيعة
التي غرتهم بها هذه الاناجيل المختلفة المخترعة وفي هذه
التكلة رد على بعض النصارى حيث انكر اخبار محمد عليه السلام
بان ابوي يوسف لما اجتمعا به سجدا له فقال ام يوسف
ماتت قبل ذلك بحين وانما كانت امراة ابيه لا امه
فقال له هذا الجاهل قد سمى يوسف ابن داود ابا المسيح
وقال في الفصل الرابع وكان ابواه يمضيان الى اورشليم
كل سنة فتخلف عنهما مرة فرجعا فوجداه في الهيكل فقالت
له امه يا بني ما صنعت بنا انا وابوك يعني يوسف زوجها
جهدنا في طلبك وليس اباه بالاجماع بل لما كان زوج
امه سماه اباه مجازا فكذلك لما كانت زوجة
ابيه سماها امه مجازا انتهى

113

وطعن هذا المصنف بعينه فيما تضمنه القران من قوله تعالى في قصة
زكريا حيث بشره الملك بيحيى آيتك ان لا تكلم الناس ثلاثة ايام
الا رمزا بوجهين احدهما ان صمات زكريا لم يكن على سبيل
الاية والعلامة بل على جهة العقوبة حيث لم يبادر الى
الايمان بالبشرى الى حين ولادة يحيى واورد عليه ما ذكر
في انجيل لوقا في مقدمته قال زكريا للملك كيف اعلم
هذا وانا شيخ وامراتي قد طعنت في ايامها فقال الملك انا جبرائيل
الواقف قدام الله ارسلت اليك ابشرك بهذا وانت
الان تكون صامتا لا تقدر تتكلم الى اليوم الذي يكون هذا لانك
لم تؤمن بكلامي الذي سيتم في اوانه انتهى والجواب
عن الاول ان صماته على جهة العقوبة لا ينافي كونه على جهة
الاية والعلامة اذ لا يجوز ان يجعل عقوبته علما
على حادث يتجدد له خصوصا وحين بلا اجابة بذلك في
سياق قوله كيف اعلم هذا وانا شيخ فدل على انه ذكر
له العلامة ثم هذا ينتقض بمريم فانها لما بشرت بالولد
قالت انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر نص على ذلك
الانجيل في هذه المقدمة بعينها فهلا عوقبت كما عوقب
زكريا انتهى والجواب عن الثاني بعدم المنافاة ايضا
لانه اخبر ببعض مدة صماته والقران انما اتى بجملات
فقضايا الاول او بعضها لا ينافي ما صح في الانجيل
زيادة مقبولة على انا لا نجد فيه ولا هو عندنا بمعتمد
خصوصا وقد بينا وقوع التخليط فيه والتناقض ودنانا
عندنا اوثق منه ومن يقدح في نبوة نبينا بمثل هذا انما
يحصل له غرض بل المرجع الى ادلة النبوات وبراهينها ه
ومن ذلك في الفصل الرابع ان المسيح لما تخلف
عن ابويه باورشليم رجعا فوجداه في الهيكل جالسا
بين العلماء يسمع منهم ويسالهم وكانوا مبهوتين من علمه
واجاباته لهم قلت فظاهر سماعه منهم و
سواله لهم انه كان على جهة الاستفادة وهذا ما يوجب
السخرية من عقول النصارى لانه يكون الها ملك

[illegible]

العلم والقدرة او ان الاله مطلعا على اسرار ابيه اي حاجة
له الى السماع من العلماء والسوال لهم قلت ولهذا ان
يحتجوا عن هذا بجوابين احدهما لا نسلم انه كان سوال استفادة
بل سوال امتحان وافادة فانه يحب المعلم للتلامذة بمطارحتهم
والقاء المسايل عليهم يدل لذلك قوله وكانوا مبهوتين من علمه
واجابته لهم اذ المستفيد لا يبهت له مفيده ان الثاني
سلمنا ذلك لكنه سالهم في صورة مستفيد ليسن لهم
الادب والتواضع وعدم استكبار العالم ان يتعلم ممن دونه
فا اعلمهم يخفى على المهتدي وقد كان نبينا محمد اصحابه وهو
اعلم منهم عندكم . والجواب عن الاول ان ما ذكر من سماعه
منهم وسواله لهم ظاهر في الاستفادة واما قولهم بهتوا
منه فهو دليل دال زائد لما يستفيده فان يعجب المعلم من الصبي
الذكي وسرعة فهمه وقد النجابة اول ما تراه لذكائه وجودة
فهمه . وعن الثاني ان حمل سواله لهم على الادب ونشر
التواضع انما يصح بعد ثبوت انهم كانوا يعرفونه بالفضل والرياسة
وليس الامر كذلك بل انما كانوا يرونه صبيا متعلما
ولو عرفوه لما بهتوا وتعجبوا منه اذ الفضيلة لا تنكر لاهلها
وبهذا يظهر الفرق بين سواله للعلماء وبين يوحنا
ومشاورة محمد لاصحابه لان يوحنا كان يعرف المسيح
بالرياسة والفضل وهذا قال والذي ياتي بعدي اقوى
مني ولا استحق ان احل سيور حذائه واصحاب محمد كانوا
قد تابعوه وامنوا به وعرفوا منصبه وقدرته وهذه
القصة كانت قبل ان يعمد وينزل عليه روح القدس واما
اعتقدوه معلما بعد نزول الروح عليه في جسد حمامة
ومن ذلك في الفصل الثامن انه كان يخرج
الشياطين من الناس فكانت الشياطين تصرخ وتقول
انت هو المسيح ابن الله وكان ينهرهم ولا يدعهم ينطقون
بهذا لانهم يعرفون انه المسيح قلت الا بتخصص
الحق وتبين لنا ان الشياطين هم الذين ادعوا النصارى ان المسيح

ابن الله ليضلوهم والشيطان ليس بمامون على الدين حتى يصدق فيه
ويحتج بقوله وهم ايضا وضعوا على المسيح النطق بلفظ الاب
والابن وما تصرف منها والا فالذي تقتضيه العلم ان المسيح
لم ينطق بشيء من ذلك ولم يدع غير العبودية والدليل عليه
انه نهى الشياطين ان ينطقوا بهذا او انى لا ينهى عن قول الحق من
صدر فضلا عن الله او ابنه عندهم . ومن ذلك
في الفصل التاسع عشر ان يسوع احيى ميتا كان محمولا على
جنازة وكان وحيد امه فخاف القوم ومجدوا الله قائلين
لقد قام فينا نبي عظيم وتعاهد الله شعبه بصلاح قلت
هذا هو الكلام الذي لا لبس فيه وهو ان القوم كانوا يعتقدونه
نبيا ويقرهم هو عليه وبه يتبين ان مخاطبتهم له بالرب
وابن الله ونحوه الفاظ تعظيم وكان من عادة الله سبحانه
في بني اسرائيل ان يتعاهدهم بعد كل فترة بنبي يصلح شانهم
وتعاهدهم بالمسيح فهموا انه من جنس الانبياء الذين سبقوا
ومن ذلك انه ذكر في الفصل الرابع والعشرين
ان المسيح اخرج الشياطين من انسان وامرهم ان يدخلوا في
قطيع خنازير فدخلوا بها ووثب القطيع في البحر فغرقوا وان
الرجل اراد ان يتبع المسيح فلحق معه فقال له ارجع الى بيتك
واخبر بالذي صنع الله بك فذهب الرجل ينادي بذلك في
المدينة وذكر في مواضع متعددة من الاناجيل ان
المسيح كان اذا ابرأ احدا من عاهة او شفى مريضا يقول له
لا تخبر احدا بهذا . ومن ذلك في الفصل الخامس
والعشرين من هذا الانجيل انه لما احيا بنت رئيس الجماعة
امر ابويها ان لا يخبرا احدا بما كان وهذا تناقض لا تظهر له
حكمة الا ان يقول لبعضهم اخبر بما رايت ولبعضهم لا تخبر على
ان للانبياء اسرارا وفروقا وحكما لا نطلع عليها لكن حكاية
هذا عن المسيح مع انه كان يبسط الكلام ويضرب الامثال
ويبني على الامور بلا ريبة لا شك وما بينهم هذا
الاختلاف النصارى وكذبهم على الله ورسوله المسيح

صلوات الله عليه ❊ ومن ذلك في الفصل التاسع والعشرين
قال لتلاميذه ماذا تقول الناس اني انا قالوا يوحنا المعمداني
واخرون ايليا واخرون نبي من الاولين قال فماذا تقولون
انتم قال بطرس انت المسيح ابن الله فامرهم ان لا يقولوا هذا
لاحد قلت قد دل هذا الكلام على ان احداث اهل
عصر المسيح لم يذهب وهمه الى انه الله ولا ابن الله بل انما
ظنوه سائر الانبيا يوحنا او غيره ولو كان هذا صحيحا
لذهب اليه بعض اهل العصر لان المسيح يقول في غير موضع
ما من مكتوم الا سيظهر ولا خفي الا سيعلن فاما
قول بطرس انت المسيح ابن الله ولا سيما اذ لو ثبت
انه قال ذلك لم يكن المسيح يامرهم بكتمه لانه اما باطل
فلا يقره عليه او حق فالمسيح انما ارسل ليظهر الحق على
الباطل ويجاهد نفسه ومن تبعه ولا يخاف احدا مع الله
كيف وقد كان ينكر عليهم ضعف ايمانهم ويقينهم ثم انه
قد صرح قبل هذا الوقت بانه ابن الله مرارا كثيرة على
ما نقلتم عنه فما فائدة الامر بالكتمان بعد الاعلان ثم ان فائدة
كتم الامر التمكن من اظهاره بعد احكامه ولو كان المسيح ابن الله
ما نراه الا خاملا بين اليهود والمسلمين وطوائف من النصرانية
وليس يقول به الا شرذمة قليلة منهم فصار الامر
بكتمانه عبثا وبهذا يظهر الفرق بين هذه القضية وبين
كل من كتم امره من نبي وملك لان اولئك انما كتموا امورهم
حتى احكمت وظهرت وهذا ليس كذلك على ان قول بطرس
انت المسيح ابن الله يحتمل ان معناه انت عبد الله ورسوله ❊
قد سماه ربا وبل البنوة على العبودية ولعل بطرس قد
اخبار بعض اقوال الناس التي تنازعوها وانما امره
المسيح بكتمان ذلك لانه اقر برسالته وصدق بنبوته
وفي الناس من كان يكذبه في ذلك ولا يومن به فكتم امره
حتى يشهر حاله ولا جرم ان سنته ما خالفها الا اليهود

عليهم لعنة الله اجمعين ❊ ومن ذلك في الفصل الثاني والثلثين
قال يوحنا للمسيح يا معلم رأينا انسانا يخرج الشياطين
باسمك فمنعناه لانه لم يتبعنا فقال لا تمنعوه لان كل من ليس
عليكم فهو معكم وذكر هذه القصة في السابع والعشرين
من انجيل مرقس وقال فيها كل من ليس هو معنا فهو علينا
ومن العبارة تربعون بعيد فان لم يكن هذا التناقض من قلم
النساخ والا فهو قادح لانه تناقض وتقريره ان كل
واحد من الناس اما ان يكون معك او عليك او لا معك
ولا عليك فالطرفان حكمهما معلوم ❊ واما الواسطة
الذي لا لك ولا عليك فانها على لفظ لوقا تكون لك لانها ليس
عليك وعلى لفظ مرقس تكون عليك لانها ليست معك فيلزم
من هذا ان يكون بعض الناس في قضية واحدة من وجه واحد
لك وعليك ولفظ لوقا اشبه بسياق القضية ❊ فاما
قوله في الفصل التاسع والثلاثين من لم يكن معي فهو علي
ومن لا يجمع معي فهو يفرق فهو كلام صحيح مناسب لما في
سياقه من القضية وهي غير هذه ومن ذلك
قوله في الثالث والخمسين اذا صنعت وليمة فلا تدع احبابك
والاغنيا جيرانك لانهم ربما كافوك ولكن ادع الضعفا
والمساكين الذين لا قدرة لهم على مكافاتك لتكون مكافاتك
في قيامة الصديقين فسمع بعض الحاضرين ذلك فقال طوبى
لمن ياكل خبزا في ملكوت الله ❊ قلت فقد اقره
المسيح على هذا ولم ينكره فدل على ان الناس ياكلون
في الاخرة وهذا يناقض ما ذكر في سوال الزنادقة له
عن سبعة الاخوة الذين تزوجوا امراة واحدة تباعا
لمن يكون منهم في الاخرة فقال ان الناس هناك
كالملائكة لا يتزوجون لان من ياكل الخبز لا يكون كالملائكة
واذا فارق الملائكة بالنكاح والتزوج فالملائكة لا تاكل الخبز جاز ان يفارقهم
فهذا تناقض ظاهر ❊ ومن ذلك
في الفصل الخامس والسبعين قوله وحينئذ ينظرون

ابن الانسان اتيا في السحاب بقوات ومجد عظيم فاذا ابدت
هذه تكون انظروا الى فوق وارفعوا رؤوسكم فان خلاصكم قد دنا
قلت ـــــ قد سبقت حكايتنا لصعود المسيح على غمامة وقد اشار
هو ههنا الى انه ياتي فيها او في مثلها وهذا اشارة منه الى
نزوله في اخر الزمان لقتل الدجال وكسر الصليب وقتل الخنزير
ووضع الجزية على اليهود والنصارى كما سبق ذكره وكما وعد به
محمد صلى الله عليه وسلم واما قوله فان خلاصكم قد دنا فهذا
خطاب منه لمن يكون في زمنه ممن كان على ملته من توحيد الله والتصديق
بمحمد عليه السلام بعد ظهوره فاما هؤلاء الذين بدلوا وحرفوا
وثلثوا وخالفوا وصية المسيح وغيره في الايمان بمحمد عليه السلام
فان خلاصهم اضلالهم وقد دنا لكن في الجحيم اعاذنا الله منها
ومن ذلك ـــــ قوله في الفصل الثاني والثلاثين ان مريم
المجدلانية ومريم ام يعقوب ومن معها لما اخبرن بان المسيح
قام من قبره بعد ثلاث جئن واخبرن الرسل التلاميذ
وكان هذا الكلام عندهم كالهزء ولم يصدقوه وقام بطرس
الى القبر فراى الثياب موضوعة فقط ولذلك ذكر
في انجيل مرقس ان مريم لما اخبرت التلاميذ بقيام الرب
لم يصدقوا قلت ـــــ ما رايت ولا سمعت باجهل
من النصارى ولا اقل من عقولهم كيف يصدقون مثل هذا
فلعن الله من نسب مثل هذا الى احاد الامم فضلا عن التلاميذ
والرسل المعصومين كان المسيح صلوات الله عليه تقدم
فانذرهم قبل ان يفعل به اليهود ما فعلوا مما سلكوا منه
ومنهم غير مرة وقد شاهدوا منه الايات والمعجزات
وتيقنوا صدقه فكيف ينسبون بعد ذلك الى انهم يخبرون
بوقوع امر وعدهم بوقوعه غير مرة فيتخذونه هزوا
ولا يصدقونه وهل الشاك او المتردد في صدق
ما يخبر به الصادق من الله او رسله الا كافر خصوصا
والمخبر عندهم اله والمخبرون به رسل فعظمت الرزية
من الطرفين اذ نسبوا الرسل المعصومين الى كذب

الا انه فتح الله هذه العقول التي قدمت على هذه الفضائح
نحوا الف سنة من علمائهم وملوكهم وسوقتهم ما كان فيهم من يصبر
يتدبرها فيستر عوارها ويزري لها ولكن قوم استخفوا بدين
الله فاستخف الله بهم وجعلهم هزءة للمستهزئين وسخرية للساخرين
وكانوا احق بها واهلها ولا يقال ان يريد التلاميذ لم يسمعوا فيما
اخبرهم به المسيح من قيامه الا من باب نسيان الذي اخبر به
عنه من تبعهم والشيء قد يعلم حقيقة وجوده ويجهل زمنه
لانا نقول ان المسيح اخبرهم بقيامه بعد ثلاثة ايام واخبار
مريم لهم بذلك بعد ثلاثة ايام فالزمن معين وقد كذبوا
به على ما نقله عنهم فلزم المحذور ومن ذلك ـــــ
الفصل الثالث والثلاثين ان التلاميذ لما بلغهم قيام المسيح قام
اثنان منهم يسيران الى عمواس وهما يتحدثان فيما كان من
امر المسيح اذ صار المسيح معهما ماشيا واخذ بابصارهما
عن معرفته وقال لهما فيما تتحدثان قالا له في امر يسوع
الناصري كان رجلا نبيا قويا بالاعمال والكلام قدام الله
وجميع الشعب فاسلموه لحكم الموت ـــــ قلت
وكان المخاطب للمسيح سمعان بطرس وقد سماه نبيا والنبوة
تنافي الالهية وقد دل على انه لم يكن وكانوا يعتقدونه الها
ولا ابنا للاله لانا علمنا انا لا نسمع في الشام ان احدا من
الانبياء لم يكن كذلك والا سمعنا في الشام بعد العلم فيلزم
هذا ان النصارى ليسوا على دين المسيح ولا اعتقاد التلاميذ
بل هم همج بلا راعي ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون
انهم يحسنون صنعا ـــــ هذا اخر التعليق على انجيل لوقا
ولنشرع في التعليق على انجيل يوحنا بن زبدي
فمن ذلك ـــــ قوله في فاتحته في البدء كان الكلمة والكلمة
كان عند الله والله هو الكلمة كان هذا قديما عند الله كل
به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان ـــــ قلت
هذا الكلام سجع النصارى التي يعتمدون عليها وهو كلام بعضه

صحيح وبعضد فاشد منها فت وحدير تعقولهم ان يحبوا مثله
فان عقولهم دون عقول الصبيان ما ان الصحيح فقوله
في البدء كان الكلمة فان كلام الله سبحانه صفة من صفاته وهو
عند المتكلم قديم بقدمه هو قوله والكلمة كان عند الله
صحيح ايضا لان الكلمة صفته والصفة قائمة بالموصوف وصحيح
ان يطلق عليها لفظ العندية وقوله كان هذا قديما
عند الله هو معنى ما ذكرناه وقوله كل به كان وبغيره
لم يكن شي مما كان صحيح ايضا لان الاشيا موجودة بارادة الله
وعلمه وقدرته وامره فالارادة مخصص والقدرة مع الامر
مؤثرة وفي القران المقدس انما امره اذا اراد شيا
ان يقول له كن فيكون فالكلمة عندما هي كن وهي امر كان
يكون وبها كان المسيح وانما سمي كلمة لانه اوجد بالكلمة فكان
احق بهذه التسمية من غيره لان تاثير القدرة كان فيه اظهر
لكونه من غير بشر فاما قولهم ان كلمة الله تجسدت
فصارت لحما ودما فلا نقول به ولا يمكن في العقل ان تجسد
الكلام وقدرة الله انما تؤثر في الممكنات لا في غيرها فكيف
تجوز ان الكلمة تجسدت حتى تصير انسانا فليجوزوا انها تجسدت حتى
تصير جمادا وحيوانا ثورا وحمارا وفرسا وكلبا وسبعا
وغيرها من انواع الحيوان ثم تكون الحيوانات والجمادات
الهة او ابنا اله لانها وجدت بكلمة الله وكلمة الله تجسدت
فيها سبحانك اللهم واما ابطالها فقوله والكلمة
كان عند الله والله هو الكلمة وذلك لوجهين
احدهما ان الكلمة ليست هي الله ودعوى انها هي
مكابرة وسفسطة فان الكلمة صفة المتكلم والصفة غير
الموصوف فالكلمة غير الله الثاني ان هذا الكلام
جمع فيه بين التغاير والاتحاد في قضية واحدة من جهة
واحدة وهو تناقض محال والوجهان اللذان قررناهما
الباطلة في التحقيق واحد او متلازمان ومن ذلك
قوله الله لم يره احد قط الا الابن الوحيد الذي هو في

حضن ابيه هو خبر واظن هذا من كلام يوحنا المعمداني الذي هو يحيى بن
زكريا قلت فقوله الابن وحيدا فيما سبق ان المراد به العبد
مجازا ووصفه بالوحدة ليس معناه انه ليس لله ابن غيره
بل معناه انه وحيد في الرسالة الى الناس اي لا رسول
معه في عصره مثله سواه وقوله الذي هو في
حضن ابيه اي في رعايته وحياطته من الاعدا الى الوقت
المعلوم وهو الذي يؤيده بالقوى والمعجزات فكل هذا
يصلح ان يعبر عنه بالحضانة لان الله تعالى يتولى رسله
ما يتولى الحاضن ولده وكذلك قول يوحنا عن
المسيح انه ياتي بعدي وهو قبلي كان ليس المراد به انه
بل بالقوة في علم الله وسابق الارادة الازلية المتقدمة
قال نبينا محمد عليه السلام كنت نبيا وادم بين الما
والطين وقوله بعد هذا يشهد ان هذا هو
ابن الله قد سبق بيان ان المراد به معنى العبودية والرسالة
وقوله هذا حمل الله هذه اضافة خلق اي الحمل المخلوق
لله وكان عيسى احق بهذه الاضافة من غيره من الناس لان
اثر القدرة فيه كان اظهر اذ كان بلا اب وغيره لم يعتبر
ومن ذلك في الفصل الثالث قال لنيقوديموس
اني اعلمكم بالارضيات فلا تؤمنون فكيف ان اعلمكم
بالسماويات تصدقون وما صعد احد الى السما الا الذي
نزل من السما ابن البشر الذي هو في السما قلت
الخطب في هذا يسير فان ارواح الناس كلها تفيض عليهم
من العالم العلوي لكن الفرق بين المسيح وغيره حيث علم ما في
السماوات دون غيره من وجوه احدها الالهام
من الله كسائر الانبيا الذين اطلعهم الله على ملكوت السماوات
الثاني ان روح المسيح كانت روحا خاصة ذات خصوصية
عقلت كيفيات السماوات حال تجردها وحفظت ذلك
حتى اخبرت به بعد نزولها في الهيكل الجسماني وروح
غيره لم تكن لها تلك القوة ولهذا كان المسيح لقوة نفسه

وما فيها من الخصوصيات الالهية اذا ابرا داعا هذه احسن خرجت
منه لا اختياره لذلك لما لمست المراة التي كانت تنزف الدم
توبه الثالث ان ادوليح سائر الناس لما ينقص عليهم اذا
كان لهم حملا اربعة اشهر ويمضى عليهم الاطوار اربعين يوما
نطفه ثم اربعين علقه ثم اربعين مضغه فحينئذ ينفخ فيه الروح
والمسيح كان نفخ روحه على بدنه مقارنا لتكونه فلعل
لهذا تاثيرا فيما ذكره ويقال ان المسيح في الحقيقة ملك
ظهر في صوره البشر كما ظهر جبريل في صوره دحيه وهو
محقق لقوله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وقال
بعد هذا احب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكيلا يهلك
بل يكون له حياة الابد قلت وقد بينا معنى الابن الوحيد
وحيث يكون ذلك كسائر الانبيا لان الله تعالى بذلهم وجيدين
في اعصارهم ليهدوا العالم وينقذوه من كيد الشيطان ومكره
ومن ذلك في الفصل السابع قال وكان اليهود
يريدون قتل يسوع لانه كان ينقض السبت عليه ما تراه
المرضى فيه ولانه كان يقول ان ابي الله ويعادل نفسه
بالله قلت هذا الذي على المسيح انه كان يزعم انه
يعادل الله لانه مناقض لقوله لما يطلبوه ليصلبوه الهي
عني هذا الكاس وليس كما اراد بل كما اراد ولو
كان عديله لعادلت ارادته ارادته فلما علمت
ارادة الله ارادته دل على بطلان هذا النقل عنه
ثم ان هذا يخلط منهم فان هولا يزعمون انه الله ومعادل
الله لا يكون هو هو بل غيره واما زعمه انه ابنه فان
ثلث عندنا وبينه نسق ولذلك قوله ان الاعمال
التي يعملها الاب يعمل الابن مثلها يقتضي العموم والاستغراق
فيلزم منه اما انحصار افعال الله فيما كان يعمله المسيح
او عمل المسيح مثل جميع ما عمل الله سبحانه وهو باطل
وان ادعيتموه منعتموه وان زعمتم ان اللام في الاعمال
ليست للاستغراق بل اراد الاعمال من احيا الموتى

ونحوه فهو خلاف ظاهر اللفظ ثم لا ينبغي فيه حجة لان سائر الانبيا
عملوا بعض اعمال الله بقدرته وكذلك قوله ليس الاب يدين
احدا بل اعطى الحكم كله للابن لتكرم الابن جميع الناس كما يكرمون
الاب فانه مناقض لاستقالته من الصلب فلم يقل لان
جعل له الحكم كله كيف لم يملك لنفسه الخلاص مما يكرهه ولكن
هذه خرافات كلها وانا احلف ولا استثني ان المسيح لم يقل
شيئا من هذا ولا من الصلب ولا استقال منه بل لعله
كان اكثر عنده من البقا لعلمه بما يصير اليه من كرامة الله له
على سلامه لعصاته وقدرته وصبره على الاذى ولا
جرم ان الله سبحانه نظره الى نفسه فخلصه واوقع اليهود
والنصارى في الضلال واختلاق المحالات ومن ذلك
قوله في هذا الفصل انه ستاتي ساعه وهي الان حاضره
تسمع فيها الاموات صوت ابن الله والذين يسمعونه يحيون
لانه كما ان الاب له الحياة في ذاته كذلك اعطى الابن ان تكون
الحياه فيه واعطاه سلطانا ان يكون حكما لانه ابن البشر
قلت هذا الكلام جمع محالا وتناقضا وفساد تعليل
اما المحال فقوله انه ستاتي ساعه قد يريد بها
ساعه القيامه حين ياتي لبعث الناس ودينونتهم
فقوله وهي الان حاضره اذ ساعتنا هذه مثلا ليست
ساعه القيامه ولا يصح هذا الكلام الا بتاويل بعيد جدا
وهو ان يقال بقدرته ان القدره التي يحيي بها الموتى في ساعه
القيامه هي موجوده الان هذا الذي يظهر لي في تصحيحه
فان كان له تاويل اخر اقرب من هذا فالله اعلم سبحانه
واما التناقض فقوله كما ان الحياة في ذات الاب
كذلك اعطى الابن ان تكون الحياه فيه فان هذا مع
ما سبق من انه يعادل نفسه بالله وان الاعمال التي
يعملها الاب يعمل الابن مثلها يقتضي ان حياته ذاتيه
كحياة ذات ابيه ولو كان كذلك لم يتطرق عليه
الموت كما لا يتطرق على ابيه وليس كذلك بل
متفقه على انه لما صلب صاح واسلم الروح ثم مات

من الاموات بعد ثلث وتضمنت الاناجيل ايضا انه اخبرهم بانه
يصلب ويقوم من الاموات بعد ثلث فان قيل معنى موته
ان الروح فارقه والروح لم يمت فلما ظهر ودبر وبيلاطس
ورؤسا الكهنة الذين لم يتوا في صلبه بفرعون وهامان
وقارون بلما ما توا هكذا اجرا لهم اما فارقهم ارواحهم ولم
يمت وكذلك جميع الناس فان قال قايل ان المسيح هو الله
فلا يرد هذا التناقض بيان العادة بن جانه وجباه اسه
قلت فيكون الله سبحانه قد مات لما صلب المسيح ثلثة ايام
وبقي الوجود في تلك الايام بلا اله وقد علم ان قرية من قرى
الدنيا اذا خلت من سلطانها لحظة واحدة خربت فكيف كل
الوجود حتى بقي ثلثة ايام بلا مدبر وهذا لازم لمن
ادعى ذلك فان ادعى مدع ان المسيح هو الله او ابن الله ولما
صلب لم يصلب الله معه فان ذلك من الهذيان الذي لا جواب
له الا السكوت لما رشتان والله المستعان ۞ واما فساد
التعليل فقوله واعطاه سلطانا ان يكون حكما لانه ابن البشر
فان هذا فاسد الوضع لانه علق على العلة بعض ما يعضه لان
البشرية والبشرية التي ضعيفة فلا تناسب اعطا السلطان
لاجلها واما المناسب ان يقول اعطاه سلطانا لانه ابن الله
لان الالهية هي التي تناسب اعطا السلطان لاجلها ثم لو كان
اعطاه السلطان لانه ابن البشر وان ثبت البشرية انما تناسب
اعطا السلطان لكان غير المسيح احق بذلك لانه ابن بشر
واحد وغيره ابن بشرين اثنين فعلة اعطا السلطان فيه
اقوى واكمل ولا يظهر لي تصحيح هذا الكلام على جهة
الانصاف الا ان يقدر انه اعطاه سلطان الحكم وجعله
حاكما على البشر لانه بشر من جنسهم فهو له اشد الفا
وانقيادا من الملائكة الذين ليسوا من جنسهم فان كان
تاويله هذا فهو قريب والله اعلم بانه ومن ذلك
قوله لا تظنوا اني اشكوكم عند الاب ان لكم من يشكوكم
موسى الذي عليه تتوكلون فلو تثقوا بموسى آمنتم بي

لانه لك كتب اعلي قلت هذه محاجة حج بها المسيح لليهود
وحاصلها ان موسى بشرني وبعث مقدمة بين يدي فلما لم تومنوا
بي لم تومنوا بموسى لانه من جملة ما جاكم به الايمان بي واليهود
كانوا يقولون عيسى في هذه الدعوى وينكرون معرفته ولا
يعرفونه الا يسوع بن يوسف النجار والنصارى عندهم
ان هذه حجة فلج فيها المسيح على اليهود فكذلك محمد صلى الله
عليه وسلم اذا احتج النصارى بما احتج به المسيح اليهود فلج عليهم
لان الصورة والدعوى واحدة فان محمدا قال للنصارى ان
عيسى بشر بي وبعث مقدمة بين يدي فلما لم تومنوا بي لم
تومنوا بالمسيح لان من جملة ما جاكم به الايمان بي مع ان النصارى
كذبوا محمدا في هذه الدعوى وانكروا ان له عندهم اسما او يعلمون
له علما فلو لم يفلج فيها على النصارى فلج المسيح في دعواه
على اليهود والا يلزم ان المسيح لم يحج اليهود في هذه الدعوى
فلو كان ذا فيها والى ذلك لانه لا اصل لا يصلح ان يكون عدة
فضلا عن رسول بل عن الله او ابنه على زعمهم فان سلموا
لليهود دون المسيح سلمنا لهم مثله في محمد وحينئذ يلزم احد
امرين اما التسوية بين محمد والمسيح في اثبات الرسالة او نفيها
والنفي لا يقولون به في المسيح فيلزم الاثبات فان قيل
هذا غير لازم لان المسيح فلج على اليهود بحجة دون محمد على
النصارى والفرق بينهما ظهور المعجز على يد المسيح دون محمد
قلنا هذا ممنوع بل قد احكمنا فيما سبق في جواب
من احتج بمعجزة اطعام المسيح الاربعة الالاف رجل من
خمس خبزات وحوتين ... ولزمكم ما تكرهون
ومن ذلك في الفصل الثامن ان المسيح لما اشبع
خمسة الف رجل من خمسة ارغفة وسمكتين قال الناس حقا
ان هذا هو النبي الاتي الى العالم قلت وهذا نص
لا يحتمل التاويل في ان الناس اعتقدوه نبيا وان الانبيا قبله بشروا
به على ايدي قال ولما علم من ايضا انه وهؤلاء لا يحملوا يجي
تعالى لا ياتي كونه نبيا والها ومن ذلك

في الفصل التاسع ان الناس لما اكلوا الخبز الذي اطعمهم تعودوا
كثيرة ناجوه فقال ما جيتموني الا للخبز فاعملوا لا للطعام البايد
بل للطعام الباقي للحياة المؤبدة يعطيكموه ابن البشر لان هذا الله
الرب قد حكمه او ختمه قالوا له ما نصنع حتى نعمل اعمال الله
قال هذا هو عمل الله فامنوا بمن ارسله ه قلت
فهذا اعتراف منه بانه رسول يعمل ما يحمله بالتاييد
الالهي لا انه هو الله والا لقال لهم انا الله وهذا محمل
لانه وقت البشارة وباخره عرف الحاجة لا يجوز والصا
قوله لان هذا الرب قد حكمه فقد اعترف بالربوبية لله
فيكون هو عبده قوله هذا هو عمل الله فامنوا بمن ارسله
يعني نفسه فاعترف بانه مفعول مخلوق ومرسل لله سبحانه
وذكر بعد ذلك انهم قالوا ان اباءنا اكلوا المن في البرية
وكان هو خبز السما فارنا انت اية واعطنا في كل حين هذا
الخبز فقال ان موسى لم يعطكم الخبز السماوي وانما اعطاكموه
اي لان خبز الله هو الذي نزل من السما ويهب الحياة
للعالم وانا خبز الحياة من يقبل الي لا يجوع ومن يومن بي لا يعطش
الى الابد ثم ذكر بعد ذلك ان اليهود يتذمروا عليه
لانه قال انا الخبز الذي نزل من السما وقالوا اليس هذا
يسوع بن يوسف نعرف اباه وامه فكيف يقول نزلت
من السما قلت ... يوهم هذا ان عيسى نفسه خبز
فهو محجوب وانما معناه ان بسببي بقا الانسان الدائم في
الاخرة كما ان بسبب الخبز بقاه في الدنيا كما قال لما قيل له
ان امك واخوتك يطلبونك فقال هولا امي واخوتي
يعني التلاميذ وعن هو المسيح ... كما قال له رجل
ائذن لي ادفن ابي فقال دع الموتى يدفنون موتاهم فهذا
مجاز ظاهر وانما تغلط عليه اليهود لدعواه انه نزل من
السما فاما قول اليهود بعد هذا كيف يقدر هذا على
ان يعطينا جسده لنا كله وجوابه لهم ان لم تاكلوا جسد ابن
البشر وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم فقال

جسدي وشرب دمي فله الحياة الدائمة لان جسدي ماكول حقا ودمي
مشروب حقا من ياكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وانا
ايضا فيه فانه لم يحمل على مجاز شايع فلا اعلم ما هو وجه
ذلك قوله في هذا الفصل انا اتكلم بالذي رايت
عند الاب وانتم تعملون ما رايتم عند ابيكم قالوا ابونا
هو ابرهيم قال لهم لو كنتم بني ابرهيم لعملتم عمل ابرهيم ولكنكم
تعملون اعمال ابيكم ابليس وشهوة ابيكم تهوون الذي هو من
البدء قتال للناس ه قلت في هذا الكلام قد اضاف
اليهود بالبنوة الى الله والى ابرهيم والى ابليس فمما يدل على
ان لفظ البنوة والابوة تارة يراد بها حقيقتها كاضافتهم
بها الى ابرهيم وتارة مجازها كاضافتهم الى الله والى ابليس
~~فمما يدل على ان لفظ البنوة والابوة تارة يراد بها~~
~~حقيقتها كاضافتهم~~ لعلاقة الطاعة كما يطيع الابن اباه
ويرحم الاب ابنه وكذلك هي في حق المسيح بالنسبة الى
الله سبحانه والا وجب ان يكون اليهود ابنا الله بعد ...
للمسيح بل وللنصارى وساير العالم ولا قايل به ه ومن
ذلك قوله في الفصل الخامس عشر وغيره
انا وابي واحد من راني فقد راى الذي ارسلني وقد يتوهم بهذا
انهما واحد كما يقول النصارى وليس كذلك لانه قد صرح
في غير موضع وهو في الارض ان اباه في السما والاتحاد
مع ذلك محال لا يعقل وانما مجاز هذا الكلام ان افعالي
تشبه افعال الذي ارسلني وانا امر بامره وانهى
بنهيه فمن راني كانما قد راه لانه لا يرى الا من امره
ونهاه مثل ما امره به وانهاه وهذا كما يقول
الشخص احب ان ارى زيدا فانظر اخاه مع التشبه الذي
بينهما ه ومن ذلك قوله في السادس عشر اذ
السابع عشر لتلاميذه لا تضطرب قلوبكم امنوا بالله
وامنوا بي وهذا يدل على تغايرهما والنصارى يقولون
المسيح هو الله ه ومن ذلك
ان قلتم فلـ...

يا سيدنا أرنا الاب وحسبنا قال له يسوع انا معكم كل هذا الزمان
ولم تعرفني يا فيلبس من رآني فقد رأى الاب فكيف تقول انت
ارنا الاب اما تؤمن اني في الاب والاب فيّ وهذا الذي اكلمكم به ليس
من عندي بل ابي الذي هو حال فيّ هو يفعل هذه الافعال آمنوا
اني في الاب والاب فيّ وهذا الذي اكلمكم به ليس من عندي
بل ابي الذي لا نزاع فيه وحاشا منه المسلمون اجمعون لوجب تأويله
اذ ظاهره محال لانه لا يمكن ان يكون شيئان كل منهما في الاخر الا على
ان يكون كل منهما على الاخر ومن يعتقد ظاهر هذا الكلام وحقيقته
فليس من العقلاء فيحتاج الى تأويل واذا اوجب تأويله فاقرب التأويلات
اليه ما ذكرناه قبل هذا الفصل واحد وهو ان ثم قوة الهية
من الله سبحانه يفعل بها الخوارق ومن اسطها استجاز ان يقول
ان الاب فيّ اي سر الاب وتأييده واني في الاب اي مستمد
من سره منطو عليه متضمن له ولذلك قوله بل ابي الذي هو
حال فيّ هو يفعل هذا اي سر ابي وتأييده حال فيّ فيكون
من باب حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وهو
مجاز مشهور فان قيل على ما ذكرتموه اسولة احدها
انا لا نسلم استحالة [illegible] واحد منهما في الاخر ولا استحالة
حلول الاله في المسيح ما الدليل عليه سلمنا انه محال لكن لا
ان عقول البشر لا [illegible] قدرة الخالق وطوره الخارج عن دائرة
طور العقل سلمناه لكن المجاز الذي حملتم عليه هذا الكلام
بعيد جدا فلعل هناك مجازا اقرب منه يحصل مقصودنا دونكم
فلم حصرتموه في هذا المجاز المعين قلنا الجواب
عن الاول ان العقل ميزان يعرف به المحال من غيره
والعقل شاهد بحكم باستحالة ذلك عند كل من يعرض عليه
من العقلاء ولسنا من السوفسطائية الذين جحدوا البديهيات كالممرور
الذي لا يجد حلاوة العسل والاعمى الذي لا يدري ضوء الشمس
واما استحالة حلول الاله في المسيح فلان المسيح قد
وصف نفسه بما يدل على انه انسان وانه بشر في عدة
مواضع من الانجيل وان البشر لا يكون الها
هذا مع ان المسيح قد وصف نفسه بانه يشهد ويعوض
بحقيقة البشر وصفات البشر من الاعضاء والجوارح

والاكل والشرب واللذة والالم ومع الحس لا حاجة الى غيره في
ذلك واذا ثبت انه انسان وبشر فلو حل الباري سبحانه فيه كان
الامر منافيا لقانونه سبحانه على حقيقته وصفته قبل الحلول او مع استحالته
عن حقيقته قبل الحلول والاول يوجب التغير القديم واستحالته
وهو ايضا باطل لما ثبت في الادلة الكلامية من استحالة تغير القديم
وتنقله في الاحوال وما قررناه بعض منها ان الله سبحانه
لما اراد انقاذ الخلق باشرهم وظهر في مظهر بشري كلهم وان
الله سبحانه له مظاهر يظهر فيها تارة في صورة بشر وتارة
في صورة نار كنار العليقة التي كلم فيها موسى وتارة في صورة
ملك او بشر لا ظهر لابشر اليك وصارعه فهذه خرافات
لو طولبوا باثباتها لتعذر عليهم الشبهة عليها فضلا عن الحجة
فان قيل لا نسلم ان ابن البشر يكون بشرا مطلقا بل اذا كان
ابن البشر الطرفين يكون بشرا محضا مطلقا اما من احد الطرفين
فلا يكون كذلك وحينئذ يجوز حلول الباري في الجهة التي
هو فيها بشر قلنا الجواب من وجهين احدهما ان الجهة
التي ليس هو فيها بشرا عندكم هي حلول الباري فيه او يكون
هو الله فلو كان حلول الله فيه من هذه الجهة لزم ان يقال ان حلول
الله فيه من جهة حلول الله فيه او من جهة انه الله وهذا كلام
لا حاصل له ولا يعقله الناس الثاني ان ما ذكرتم يوجب ان المسيح
مركب من الالهية والبشرية فيقال لكم اما ان تعتمدوا
في هذه الدعوى على الحس والمشاهدة والعادة المتعارفة
في الوجود او على قدرة الله الازلية التي لا تدركها العقول
التي لا تدرك كنهها ولا تعرف مبادئها واسراره
الله سبحانه وتعالى فان اعتمدتم على الاول فانتم تقولون
الاقدس لا يدرك فكانوا يقولون قد وطئ مريم واحبلها فاحال
لانا لا نرى في الموجودات حتى صار عيسى مركبا من الاله والبشر
اوتوعن الاعوطئ والاحال في الموجودات المحسوسة مولودا من كالحمار
الحمار والفرس والشمع والعسل في البغل المولد من
الذئب والضبع وان اعتمدتم على الباري المولد من حسن
ورأيهم الفلاسفة الشنيعة فقد اعتمدتم السفه
تدعونهم التعاون فانا قلنا ان المسيح مؤيد بقوة الهية والمعاونة لمهلكم وما
الله

سبحانه يفعل بها الخوارق كسائر الناس قبله وان كان هو ارجح منهم
في ذلك لفضل عناية الله به واسندنا ذلك الى القدرة الازلية
التي لا يعجزها شي واستبعاد الشناعات والبشاعات مما اطبق
عليه العالم من الضلال لكم والتقديم لعقولكم ✽ وعن الثاني
من وجهين احدهما ان العالم اجمعوا على ان المحال لا يدخل تحت
المقدور وهذا تاولوا قوله تعالى ان الله على كل شي قدير على
ان المراد به الاشياء الممكنة ومع هذا فقولكم محال بالاضافة
الى عقول البشر لا الى قدرة الخالق لا معنى له ولا طائل فيه ايضا
فنحن انما نخاطبون من جهة الباري سبحانه بمقتضى ما تدركه
عقولنا اما الطور الخارج عن دائرة العقول البشرية فلم
نكلف ادراكه والبنا عليه بل كلفنا الايمان بما جا منه
اذا لم نجد عنه منه وجه فتكليفنا ادراك ما خرج عن دائرة
عقولنا تكليف ما لا يطاق وانتم لا تقولون به الثاني
ان هذا فاتح باب السفسطة لانه يسوغ لكل احد دعوى
المحال ويقول هذا ممكن بالاضافة الى قدرة الله والطور
الخارج عن عقول البشر ويلزم من هذا ان لا يبدي الناس لو جاونا
فقال احدهم انا موسى بن عمران والاخر انا عيسى بن مريم والاخر
انا محمد بن عبد الله نحن رسل الله بعثنا الله لصلاح هذه
الامم وجمع كلمتها فقلنا لهم ان ارسال هاولا بعد انقضا
عصرهم وحلول الوقت المعلوم لا رسالهم واحيا الميت منهم
محال فلا نصدقكم فيقولون هذا محال بالاضافة الى عقول
البشر لا الى قدرة الله سبحانه فامنوا بنا لما كان لنا حجة تدفعهم
... فتحكم لهذا الباب ✽ وعن الثالث علكم بانه
المجاز الاول لسطوته و[لا] نحن لم نحصر اسواما ذكرنا
والله اعلم بالصواب ✽ ومما يوجب تاويل الكلام المذكور
قوله بعد اني سوف احييكم عن قليل والعالم ليس يروني
انتم وانتم احيا في ذلك اليوم تعلمون اني في ابي وانتم
في وانا فيكم فانه ان تاول لزم من هذا ان نصير كلنا
في ذلك اليوم هو لنفسه مضروبه ولا حاجة لنا الى التطويل
ومن ذلك قوله اني منطلق وعائد اليكم لو كنتم

تحبوني لكنتم تفرحون بمضي الى الاب لانه اعظم مني فقوله اعظم مني يدل
على تغايرهما لان افعل التفضيل لا يكون الا بين اثنين فصاعدا ولا يكون
الشي اعظم من نفسه وهذا يبطل قولهم ان المسيح هو الله ومن ذلك
قوله اثبتوا في وانا فيكم كما ان الغصن لا يطيق ان ياتي بالثمار
من عنده ان لم يثبت في الكرمة كذلك انتم لا تقدرون ان لم
تثبتوا في انا هو الكرمة وانتم الاغصان من يثبت في وانا فيه
فهو ياتي بثمار كثيرة وبغيري لستم تقدرون ان تعملوا شيا
قلت قد يشهد لهذا الكلام بالتاويل قوله قبله اني في
ابي وانتم في وانا فيكم وان معناه ان ما ياتي فيما افعله
ابي وما ياتيكم مني ولهذا نقول انا الكرمة الحق وابي الغارس
وانتم الاغصان وهذا كلام صحيح كان المسيح استمد القوة
الله بواسطة روح القدس وكان يمد به التلاميذ ويبثهم
في البلاد يظهرون الخوارق والمعجزات ثم قال بعد ذلك
ان لم يثبت احد في طرح خارجا مثل الغصن الذي يجف فياخذونه
ويطرحونه في النار ومعناه ان من قصد الله منكم بغير طريقي
وجعل ما ياتيه عن غيري هلك ثم ذكر بعد هذا كلاما
ازال به اللبس تركت نقله لطوله ومن ذلك
انه ذكر الفارقليط في مواضع وابين ما ذكره حيث يقول
والفارقليط روح القدس الذي يرسله ابي باسمي هو يعلمكم
كل شي وهو يذكركم كلما قلت لكم وحيث يقول انه خير لكم
ان انطلق لاني ان لم اذهب لم ياتكم الفارقليط فان انطلقت
ارسلته اليكم واذا جا ذلك فهو يوبخ العالم على الخطيئة
وعلى الحكم اما على الخطيئة فلانهم لم يومنوا بي واما على الحكم
فلان ... هذا العالم قد دان ثم قال اذا جا روح الحق
ذلك فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه ليس ينطق من عنده
بل يتكلم بكلما يسمع ويخبركم بما ياتي وهو يمجدني لانه ياخذ مما
هو لي ويخبركم قلت ... فقد ... الخصم بهذا
الكلام وان هذا اشارة من المسيح الى محمد عليه السلام لانه لم
يات بعد المسيح من ادعى النبوة ومجد عيسى وبالغ في
تمجيده وصدقه في نبوته ووبخ العالم على خطيئة الكفر

وقبل اليهود وعذرهم على تكذيب عيسى وعبادة الاوثان واخبر
ان الناس يدانون بعد الغمامة ويحاسبون وعلم الناس حسن
الاداب ومكارم الاخلاق وظهرت ناموسه واشتهر في
البدو والحضر لظهور نواميس الانبياء قبله الا محمد صلى الله عليه
وسلم وان لم يكن هو الذي اشار اليه المسيح لزم القدح في
صدق وعده لانه من المحال عادة ان يجي احد تظهر بما ظهر
به محمد ويتم له ذلك لكونه اخبر بانه خاتم النبيين ولا
نبي بعده الا مدعي كذاب ولو افترا عنه وعلو كلمته
ادعى ذلك اخمدت جمرته وكسرت سورته فمن ضرورة
اثبات صدق المسيح القول بنبوة محمد عليه السلام
وقد شهد له بانه روح الحق وانه يرشدكم الى جميع الحق
وان ما يخبر به هو عن الله لا من عنده وانه يمجد ولهذا
كان محمد عليه السلام اشد الناس تمجيدا للمسيح وكان اذا ادعى
الناس بابن مريم انه لم يكن بيني وبينه نبي في احاديث غير ذلك
كثيرة فان قيل ليس الفارقليط الذي اشار اليه المسيح
ما ذكرتم بدليل قوله ان كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي
وانا اطلب من الاب ان يعطيكم فارقليطا اخر ليثبت معكم
الى الابد روح الحق الذي لن يطيق العالم ان يقبلوه لانهم
لم يروه ولم يعرفوه لانه مقيم عندكم وهو فيكم والسبب
هذه صفات محمد لان العالم قد انكروه وهم كانوا على قتله
ولهذا جرح وكسرت رباعيته يوم احد وضرب في
اول الاسلام ولما هذا اشارة الى ما ايد به التلاميذ
بعد صعود المسيح من روح القدس على خرق العادات
واظهار المعجزات به قلنا الجواب من وجهين
احدهما انه لا يصح حمله على ما ايد به التلاميذ لان المعلوم
عندكم ان التلاميذ اعطاهم ذلك المسيح في حال حياته قبل
صعوده وهو بينهم وهو هاهنا يقول ان لم اذهب لم ياتكم
الفارقليط فكيف يصح ان يقال ان الفارقليط اتاهم قبل صعود
المسيح ولم ياتهم الا بعده هذا تناقض واما قوله ليست هذه
صفات محمد قلنا هي صفات جبريل وهو روح القدس

الذي بشر زكريا بيوحنا كما نص عليه الانجيل فان العالم لا يروه ولا يعرفون
عن قتله ولم يدع احد انه نزل عليه جبريل وقام له امره وظهرت ناموسه
الا محمد فيلزم من ذلك صدقه لمقتضى وعد المسيح وضرورة صدقه
فان قيل هذه وان كانت صفاته لكن قوله ليثبت معكم الى الابد ليس
من صفاته لان جبريل ليس معنا الى الابد وكذلك قوله لانه
مقيم عندكم وهو فيكم قلنا وكذلك روح القدس ليس مع
التلاميذ الى الابد وهو معتقد النصارى ثم هذا اشارة الى بقاء
الناموس الذي جاء به جبريل الى محمد او الى بقاء محمد مقبورا في
اهل الارض فانه كذلك الى يوم القيامة ثم يكون حيا بين امته
الى الابد وذلك بخلاف المسيح فانه صعد الى ابيه وجلس عن يمينه
الوجه الثاني ان كلما دل الانجيل عندكم هو صدق
ويجب الاعتماد دليلنا عليه الا نظرنا الا انه لم يكن والانجيل غيره
كثيرة على المطلوب واذا عرف هذا فاعلم ما في الانجيل ان
ما ذكرتموه وذكرناه من ذكر المسيح للفارقليط لا يمكن الجمع بينهم
لان الواجب العمل بالكلام الحق ولا يبلغ منه شي ما امكن السبيل
الى ذلك فالواجب لمقتضى هذه القاعدة ان يحكم باشتراك الفارقليط
بين محمد عليه السلام وبين ما ذكرتموه مما ايد به التلاميذ فيكون
ما ذكرناه دالا على نبوة محمد وما ذكرتموه دالا على ما ايد
التلاميذ ويحصل لنا المقصود وان ابيتم هذا دخلتم في ابواب
العناد والبغي لانا ما تركنا لكم حجة ولا علة والله اعلم
ومن ذلك ______ قوله في الفصل السابع عشر انك انت
الاله الحق وحدك والذي ارسلت يسوع المسيح انا مجدتك على
الارض قلت ______ فقد وحد الله في هذا الكلام فيما ابدى
للارض والاله في السما ووجب ان يكون الاله وحده الاله كله
في السما وان المسيح ليس هو هو ولا اقنوما منه بخلاف
لما يقوله النصارى ويدس هذا البحث وانما اثبت المسيح
لنفسه الرسالة واما ما ادعاه من البنوة ان صح عنه
فتاويله ذكرناه غير موضع ومن ذلك ______ في الفصل
التاسع عشر ان المسيح لما قام من القبر قال لمريم المجدلانية
امضي الى اخوتي وقولي لهم اني صاعد الى ابي وابيكم والهي والهكم
قلت ______ فقوله ابي وابيكم يدل على ان الابوة كناية عن
الربوبية ليشترك فيها بين نفسه وبين التلاميذ فيها وقوله
والهي والهكم يفيد ذلك ايضا لان الاله هو الرب والمالك

ولم يعد أحد إيليا الملك ابنه ملكا حقيقيا ٥ ومن ذلك أن توما
أحد الأنبياء عشر أو غاب عن البلد منذ ظهر لهم المسيح بعد قيامته
من الأموات فلما كانوا أخبروه بظهور المسيح لهم فقال
إن لم أبصر في يديه أثر المسامير وأجعل إصبعي في موضع
المسامير وأترك يدي في جنبه لا أومن ثم ظهر له المسيح
بعد ذلك فأراه منه ما أراد وقال له لا تكن مؤمنا ولا تكن
غير مؤمن قلت وقد بينا في هذا نسبة الأنبياء
إلى عدم تصديق المسيح الصادق فيما كان وعدهم به من عوده
إليهم واستوفينا الكلام عليه وهذا آخر التعليق على إنجيل
يوحنا بن زبدي وتمامه تم التعليق على الأناجيل الأربعة
ولنختم ذلك ببيان البرهان على صحة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم إذ كان هؤلاء الجهال الضلال ينكرونها ولكن جديرة
بعقول تصدق بالباطل أن تنكر الحق ولنا على ذلك براهين
ولكن نقتصر ها هنا على برهان واحد واضح للخاص والعام
قريب إلى أذهان العلماء والعوام وتقريره أن نقول إن محمدا
صلى الله عليه وسلم لا يخلو إما أن يكون ملكا ماحقا كما زعمت
اليهود والنصارى حيث قالوا جاء بالسيف بلا حجة إلهية
أو نبيا صادقا لكنه ليس ملكا ماحقا فلزم أن يكون نبيا صادقا
وإنما قلنا إنه ليس ملكا ماحقا لأنا نقول كل ملك ماحق
لم تبق دولته وناموسه الذي أقامه بالسيف بعد موته
بل انقرضت دولهم ونواميسهم بموتهم ومحمد صلى الله
عليه وسلم لم ينقرض ناموسه بموته بل له اليوم ستمائة
سنة وسبع سنين وهو كل حين في ظهور وانتشار وهو
كذلك إن شاء الله إلى الساعة ينتج أن محمدا صلى الله
عليه وسلم ليس ملكا ماحقا وإنما قلنا إن كل ملك ماحق
انقرضت دولته بموته بالاستقراء التام وهو مفيد العلم
القاطع فإن ملوك الدنيا منذ طوفان آدم إلى يومنا هذا لم يبق
ملك منهم إلا وانقرض ناموسه بموته كالضحاك وأفريدون
ومن كان في زمانهما وقبلهما وبعدهما وكالإسكندر وملوك
الطوائف والأكاسرة الفرس والقياصرة الروم وتبابعة
اليمن ونجاشي الحبشة وملوك العرب كجذيمة الأبرش
والنعمان بن المنذر وآبائه وعمرو بن هند وغيرهما

من ملوك المغرب والمشرق ممن لا يحصى كثرة وإنما قلنا إن محمدا إلى
لم ينقرض ناموسه بموته فلمشاهدة العيان الذي لا يحتاج إلى إقامة
برهان فإن قيل ما ذكرتموه صحيح في جهة الطرد لكنه
في جهة العكس فإن لنا نبيا من انقرض ناموسه وليس
بملك قلنا ذاك في جهة نسخ الشرائع لا في جهة الانقراض
بالموت ٥ والله أعلم بالصواب ٥
أشعيا
٥ التعليق على مصحف أشعيا النبي عليه السلام ٥
فمما يدل على أن الله تعالى له ولد قوله تعالى ربيت أبناء
وهم عندي ربوا وقوله أيها النسل الفاسد والأبناء
المفسدون أجبتم الرب وأغضبتم قدوس إسرائيل ووجه
دلالته أنه سمى عسكره بني المسيح وهو طويل أبناء له وليس
لله تعالى ابن خاص عند النصارى إلا المسيح وإنما هذا توبيخ
الله لهم بقوله إن بنيكم تربيه الأبناء وتبارزوني مبارزة
الأعداء ٥ قال في آخر الإصحاح السابع قال أشعيا
حكاية عن الرب أنه قال بعد كلام طويل هذه الفكرة
التي فكرت في الأرض كلها ثم قال أشعيا الرب القوي
فكر فمن يقدر يبطل فكرته قلت إطلاق هذه
العبارة على الله تعالى على مجاري عرف الناس لا يصح لأن الفكر
هو حركة النفس لاستعلام مجهول والله سبحانه لا
يخفى عليه شيء فالواجب أن يحمل الفكرة في حقه على العلم
لأن الفكرة سبب العلم فهو من باب إطلاق السبب على
المسبب ٥ وذكر في آخر الإصحاح الثامن عشر
أن الله سبحانه رد الشمس إلى خلفها عشر درجات علامة
لحزقيا ملك بني إسرائيل على أنه يعيش بعد عمره خمس
عشرة سنة بعد أن حضره الموت والقصة مشهورة
قلت فالذي انتهى إلينا أن الشمس إنما ردت لليلة
ليوشع بن نون في قتال الجبابرة وحرقنا هذا التصديق لأشعيا
لأنه يقول كان النبي وحزقيا الملك ولعلي كرم الله وجهه لما فاته
صلاة العصر حين نام النبي صلى الله عليه وسلم على فخذه فلم يوقظه
وبعض المتعصبة ضعف هذا الحديث وحكم بأنه موضوع
ولا معنى لذلك فإن أبا جعفر الطحاوي والقاضي عياضا
حكما بصحة هذا الحديث وإن ذلك على سبيل في العباس

فاعدم الخوارق له وهما اماما ان لا يجهل مقدارهما في العلم والقضا
فان رد الشمس انما كان في الحقيقة معجزا للرسول عليه السلام
ولكونه تسبب على كرامة له والنبي عليه السلام لا يستكثر له رد
الشمس اذ قد ردت لمن هو دونه وهما يوشع واشعيا وليس رد
الشمس باعظم من انشقاق القمر فصل في ذكر الاصحاح
الثامن عشر اما علمت ان الله رب دائم الى الابد وهو الذي
خلق اقطار الارض لا يلغب ولا يعيى قلت هذا موافق
لما في القران في قوله سبحانه ولقد خلقنا السموات والارض
وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب وقوله اولم
يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على
ان يحيي الموتى ويرد على اليهود قولهم ان الله لما خلق السموات
والارض ثم استراح يوم السبت وفي ذلك انزل الله الاية
الاولى ردا عليهم وذكر في الاصحاح الثاني والعشرين
حكاية عن الله مخاطبا ليعقوب اسرائيل لا تخف فاني
معك اني ابذر نسلك من المشرق واجمعك من المغرب اقول
للشمال لا تحبسن عندك ولا تمنعهن الخروج ايتيني بنيّ من بعيد
وبناتي من اقطار الارض كل من يدعوا باسمي انما خلقته وجعلته
لكرامتي قلت فهذا حكاية عن الله انه اضاف الى
نفسه بنين وبنات وهو يدل على عدم الهية المسيح وعدم
بنوته لان الله الواحد الذي سوى بقدرته عن مره فصل
ذكر في الاصحاح الثاني والعشرين حكاية عن الرب
سبحانه مخاطبا ليعقوب انا الرب الذي خلق كل شي
ومددت السما وحدي وثبتت الارض مني والي بلا عون
احد وانا الذي ابطل ايات العرافين واجهل بعزيمتهم
ارد الحكما الى خلفهم واصير علمهم جهلا واثبت كلام عبدي
واتم به رسلي قلت فهذه شهادة من الله
سبحانه بان الانبيا فيما يخبرون به صادقون وانهم ليسوا من
الكهان والمنجمين ونحوهم ممن يتعاطى علم الغيب والسبب في ذلك
ان اخبار الانبيا هو اخبار الله فهو يصدقه واخبار اولئك
من اجتهادهم فهو تارة يصدقه وتارة يكذبه ليعلم

ان لا عالم على الحقيقة والكمال الا الله سبحانه وقال فيه بيان
حكاية عن الرب سبحانه انه قال الويل للذي يخاصم خالقه وهو خالقه
خزف من اخزاف الارض لعل يقول الطين للفاخراني ما
الذي تصنع لي لست من عملك ولا صنع يديك الويل للذي يقول
للرب ما الذي تولد وللمرأة لماذا انت حبلى هكذا يقول
الرب طهر اسرائيل ومخلصه اسمه الرب القوي مروني
بالايات التي ستاتي ان اصنعها بنيّ وعلموني ما الذي اصنع في
عمل يدي انا الذي خلقت الارض والناس عليها قلت
فقد سمى الناس بنيه واخبر انهم عمل يديه ومخلوقون له
فلم يبق في قوله للمسيح انت ابني دلالة على بنوة خاصة
بل كبنوة سائر الناس الا ما خص به من غير هذه الجهة
من اظهار المعجزات فصل في ذكر الاصحاح
الخامس والعشرين حكاية عن الرب القوي انه قال البسي
ابهى ملابسك يا صهيون والتي المجد يا اورشليم القرية الطاهرة
لانه لا يعود يدخلك الاغلف ولا نجس قلت الاغلف
الاقلف الذي لم يختتن وقد جعل عدم دخول الغلف اليها
طهارة لها ومجدا والنصارى جلهم قلف فدل ذلك
على وهن مذهبهم وشؤمهم فهم تحت قول اليهود يحتجون
عليكم على ميثاق ما ذكرتم ان تكونوا على حق وانتم لا تقولون
به قلت صلا لهم بذلك اخره فصل
ذكر في هذا الاصحاح ترجمة البنوة في المسيح وصلبه
مع الاثمة واحتماله للذنوب واولها ان عبدي يفهم
ويرتفع ويتعظم ويتعالى جدا حتى يتعجب منه كثير من الناس
لان في وجهه متغيرة من روية الرجل ومستقبله ابهى
من مستقبل الناس هذا يطهر شعوبا كثيرة وعليه
بسببه تمسك الملوك افواهها ويعظمون لانهم عاينوا ما لم
يقال لهم وفهموا ما لم يسمعوا له قلت هذه صفات
المسيح صلى الله عليه وسلم والترجمة مختصة به وقد سماه الله
سبحانه عبدا وهو يرد ما ادعاه النصارى من الهيته او بنوته
اذ العبودية تنافيهما والعجب من النصارى واليهود كيف
لم يحرفوا هذه اللفظة في القصة وبدلوها مع ما بدلوا

من كتب النبوات ولكن تركهم لتغييرها اما بمنع او شيطنة لنوال
لو حرفوا نسخ الكتب لحرفوا هذه ثم انهم فيما يتركون ويتأولون
ويمنعون دلالتها على ما ينافي رأيهم وفيها ان الحق معهم و
هنا قضايا بان واشتهر وصار اشتهره القمر وقد سبق
جملة ذلك في التعليق على الاناجيل ولما ثبت تحريفهم وتبديلهم
قال لنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اذا حدثكم اهل الكتاب فلا
تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل
اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون فان من المعلوم انهم
لم يبدلوا كلما انزل اليهم بل بعضه وهو ما عليهم في بقائه
ضرر كالبشارة بمحمد ونحوها فلذلك قال عليه السلام
لا تصدقوهم لانهم بتبديل البعض صاروا فسقة غير مأمونين
وقال ولا تكذبوهم لجواز ان ما اخبروكم به ليس مما
بدلوه وقال قولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل
اليكم لان الذي انزل اليهم جميعه هو التوراة والانجيل
الذي انزل على عيسى وسائر الكتب المنزلة على الانبيا
وانما حدث التبديل بعد التنزيل بدهر طويل وانما
النزاع فيما بايديهم الان مع تطاول الزمان وتعدد كتاب
نساخات ونقله من لغة الى لغة ولو لم يكن على عدل محمد وامانته
وصدقه غير هذا التعليم الذي علمه امته لكان كافيا لذوي
الالباب في الايمان به والدخول في دينه لانه استعمل الحزم
في عدم تصديقهم والعدل عدم تكذيبهم ولو كان رجلا
على الشرائع كما يقولون مدعيا لما لم يؤته ملكا محتالا لما طالب
لقال لا تصدقوهم اصلا فانه قطاع عبدة امة غير خائف
من اهل الكتاب حتى يحابيهم بل ولا اهل الارض منهم ولم
يقبل منهم الجزية لئلا يتشكك امته في دينه بعد كذبهم
فلما اقرهم بالجزية وامر بان لا يكذبوا مع علمه بقدحهم
في دينه وطعنهم فيما جاء به دل ذلك على انه على حق عند الله
لم يبال معه ببقائهم ولا طعنهم وان ذلك منهم لم يمنعه
من العدل فيهم والحكم بما جاء من الله في امرهم وهذا
من البراهين القاطعة في الباب فتأمله فلت
ثم ذكر ... ان اذى اليهود للمسيح قوله وهو

المضروب في ذات الله المتواضع في اصلها يقتل من اجل اثمنا ومتواضع
من اجل اثمنا وعليه ادب سلامتنا لان بجراحاته تبرأنا الى
ان كان دنا متواضعا ولم يفتح فاه وسيق مثل الحمل للذبح
وكان صامتا كالنعجة قدام جازرها ولم يفتح فاه فلت
هذه الالفاظ كلها لا دلالة فيها على ازهاق نفس المسيح بل انما
تدل على انه ضرب لان قوله المضروب في ذات الله صريح
في الضرب ولا يدل على الازهاق وقوله يقتل من اجل
اثمنا وان كان ظاهرا في ازهاق النفس اذ لا يجهل ولا يكون
نصا في الازهاق والناس يطلقون القتل على ما دون المزهق
للنفس كضرب العصا والسوط كثيرا مشهورا في زمننا هذا
فلعل هذا قد كان ايضا عندهم وقوله لان بجراحاته
برئنا كلنا ظاهر في المجاز لكن على ان ثبت انه حقيقة
فلا يلزم من الجرح الزهوق وقوله وسيق مثل الحمل
للذبح وكان صامتا كالنعجة قدام جازرها لا يدل ايضا
على الزهوق لانا لا نسلم انه سيق كالحمل للذبح وصمت
كالنعجة قدام الجازر لانهم ربطوه على الخشبة ليصلبوه
بعد ان ربطوه وبصقوا عليه وسخروا به ولقي منهم العنا
عليهم وعلى النصارى ما يستحقونه لكن اظلمت الارض
ساعات فيها نزلت الملائكة فخلصته ونجاه والطعنة
والقى شبهه على الذي دل عليه يهود الا سخريوطي او
غيره من اعدائه وصلب كما به نعم كان في تمام هذا
الكلام ودفنا معه قوم من ائمة شعبي واذن المنافق بدفنه
والدفن ملزوم للقتل المزهق عادة ووجود الملزوم يدل
على وجود اللازم والجواب من وجهين احدهما ان يقال
ليس هذا الكلام الا ما نتوهم منه وهو لا يدل على القتل والاذن
المنافق في دفنه وهو لا يستلزم وقوع الدفن اذ الاذن
لا يستلزم وقوع المأذون فيه وغايته الثاني ان يقال هذا
الكلام عادة يقتضي وقوع القتل الا انه ما وقع ثم يقال
لهم هذه النبوة قد اشتملت على النص على عبودية المسيح
وما يدل على قتله المزهق فاما ان يثبتوا الامرين
او ينفوهما او يثبتوا احدهما وينفوا الاخر فان اثبتوهما
نقضتم رأيكم بعبودية المسيح فان قالوا هو عبد من جهة

ناسوتيته فقد سبق جوابه بما يغني عن اعادته وان بعثتموها بقضيته
ان يحكم في عدم صلبه واختار شعيا به فهو عمدتكم فيه وان
انتم اخذتموها من العبودية وحدها فهو اشد عليكم واما
الصلب وحده فهو تحكم وترجيح بلا مرجح على انا قد قدمنا في
الطعن في صلب المسيح ما يثلج له قلب العاقل الرجيح
فائدة ذكر في [illegible] الاصحاح [illegible] حكاية عن الله سبحانه انه
قال ان السما كرسي والارض موطا خلقي اي بيت تبنون لي
قلت وقد سبق في الانجيل ان الارض موطا قدميه فلعل
هذا شان لذاك ويكون قد سمى الخلق قدما لعلاقة ما مجازية
وعلى هذا تاول بعض المسلمين قوله عليه السلام يضع الجبار
فيها قدمه يعني النار فتقول قط قط قال القدم قوم
من العالم يقدمهم الى النار فتمتلي بهم والمشهور عند الجمهور
ان المراد غير ذلك وان القدم صفة لله على ما يليق بجلاله
وكذلك رايهم في سائر ايات الصفات واحاديثها
فائدة وذكر في هذا الاصحاح ايضا [illegible] والوعد
لان الرب يحاكمهم بالنار وبها يبلوا كل ذي لحم ويكثر قتلى
الرب ويتقدسون ويتطهرون في الجنان ويتبع بعضهم
بعضا [illegible] وسط الشجرة قلت هذا نص على اثبات الاخرة
جنة ونارا وهو يرد قول منكري الجسم من النصارى
وقد سبق تقرير هذا عند سؤال الزنادقة ليسوع
عن سبعة اخوة تزوجوا امراة نبا على التعليق
من صحف هوشع نبي ذكر في الاصحاح الرابع
منه حكاية عن الرب سبحانه انه قال لي [illegible] قد احببت
اسرائيل في صغره ودعوته لمصر ابني قلت
وبين ان تسمية الله عبده مالوه ابنا [illegible] فلذلك
المسيح لا تدل لفظة البنوة فيه على اكثر من العبودية
نعم هذه اللفظة تفيد خصوصية في العبودية كما سبق
تقريره وذكر فيه ايضا حكاية عن الرب سبحانه انه
قال اني انا [illegible] لاني اله ولست انا انسانا سبحانه
قلت فدل هذا على ان الالهية تنافي الانسانية والالهية
لا يجتمعان وقد اجتمعا على المسيح اسباب ناسوته وليس

هوشع

ولزم انه ليس الها وان قيل انما يمتنع اجتماع الامرين من جهة
واحدة لا جهتين والمسيح كانت له جهتان لاهوتيته وناسوتيته
قلنا سبق جوابه هذا في التعليق على الاناجيل التعليق
من نبوة يونان وهو يونس بن متى صاحب نينوى ذكر فيها
انه لما خرج من بطن الحوت امر ان ياتي نينوى فينذرهم العذاب
ان لم يتوبوا فاتاهم فانذرهم ان نينوى تنقلب بعد اربعين يوما
وتعالى بلبث ايام ثم خرج الى شرقي المدينة واتخذ ظلة وقعد
ينظر ما يجري لاهلها فامنوا وصدقوا فاستحيى يونس
من تكذيبهم فسال الموت فانبت الله عليه شجرة اليقطين
فوقه من حر الشمس ففرح بها ثم سلط الله عليها الدود فاكل
عروقها ثم ارسل الريح فايبسها فحزن لذلك يونس فقال
الله له تحزن لهلاك شجرة لم تعملها ولا تريد ان اهلك اهل
نينوى وكانت مدينة عظيمة مسيرة ثلثة ايام قلت
والذي في القران من هذا هو قوله تعالى فنبذناه بالعراء وهو سقيم
وانبتنا عليه شجرة من يقطين لا ياتي هذا الى علما المسلمين من
المفسرين والقصاص من ذكروا ان انبات شجرة اليقطين عليه كان
عند خروجه من بطن الحوت كالفرخ الممعوط الذي ليس
عليه ريش وكان في اليقطين حكمتان احداهما اظلاله من الشمس والثاني
منع الذباب ان يسقط عليه وذلك من خواص اليقطين
فالثاني يشهد للنبوة وبين ما ذكر المفسرون لا بينهما [illegible]
لظاهر القران له التعليق من نبوة حبقوق النبي عليه
السلام ذكر في صلواته يا رب سمعت باسمك ففزعت
يا رب اظهر [illegible] في سني الحياة لتعرف بها هذه
السنين اذكر رحمتك ايام الغضب لان الله اتانا من
التيمن حيث ظهر لنا واستعلن لنا الطاهر من جبال فاران
وتغشت السماء شعاع المحمود وامتلات الارض من
محامده لان شعاعه يصير نورا ويصير عزه في [illegible]
تظهر قوته في رجفتها الموت يستتر امامه وتخرج الطير
لوطي قدميه فاقام فمسح الارض ونظر بعصبه فاجفلت
نحوه الشعوب وتقرقعت الجبال العالية وتداولت
الدهور واتضعت الاكام التي لم تزل ثابتة مذ قدم

حبقوق

لان الشيء القديم قوله قلت ايها الناظر في هذا الكتاب اعلم
اولا ان ابتدا الكلام اجمالا كلام الله سبحانه لخلقه وافق به الى التصريح
والنصوصية والتفصيل القران المقدس والاجمال الذي
بيّنه النبي صلى الله عليه وسلم امتثالا لقوله تعالى لتبين للناس
ما نزل اليهم فكنت اولا واليك اشد اجمالا ورموز القران حتى
ان معانيها المرادة منها لا تلوح الا خيالا او ايماء او لماعا
كلمع البرق في الغسق او كلمع الدينار في جنح مُلك وللخطرات
الالهية على قلوب السالكين في ابتداء امرهم الوصول والمعرفة
فاذا عرفت هذا فاعلم ان هذا الكلام الذي حكيناه عن حبقوق
النبي عليه السلام ليبشر به في احدى البشر لكنه احرى ان
يكون محمد صلى الله عليه وسلم وبيان ذلك بفك رموزه وفتح
مقفل كنوزه وتطبيق تنزيله بتاويله فنقول وبالله العصمة
قوله يا رب اظهر اعمالك في سنين الحياة لتعرف في
هذه السنين اقول المراد بسنين الحياة سنين الحياة
الدنيا لانها من الحياة الفانية ومن المعلوم ان للعالم حياتين
فانية وباقية فالحياة الدنيا هي الفانية وهي المشار اليها بقوله
لتعرف في هذه السنين وهي اشارة جيدة اي لتعرف في سني
الحياة وذلك لان فائدة ايجاد الخلق وارسال الرسل تعريف
الله نعمته لخلقه ودعاهم الى عبادته وتوحيده ولهذا
ورد في بعض الاثار حكاية عن الله سبحانه انه قال كنت كنزا
لا اعرف فخلقت خلقا لاعرف فهذا في الحقيقة شفقة من
النبي حبقوق على خلق الله الآتين بعده ليعرفوا الله فيفوزوا
بالسعادة وحذرا منه عليهم ان يجهلوه ويكفروا به فيقعوا
في الشقاوة وقوله واذكر رحمتك ايام الغضب معناه
ان الله سبحانه اذا غضب على قوم اخفى عنهم رشدهم ومعرفته
وغيرها فيضلوا فيهلكهم بضلالهم كما قال في القران الكريم واذا
اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها
القول فدمرناها تدميرا اي امرناهم بالطاعة ثم قضينا
عليهم بالفسق ثم دمرناهم بفسقهم وهذا على راي المعترفين
بالقدرة وهو الصواب فالنبي حبقوق عليه السلام دعا

الله سبحانه ان لا يستغرق خلقه بالغضب بل اذا غضب على قوم
في زمن تدارك اخرين بان يذكر رحمته فيسعدهم بها ولذلك
كان الامر فان الله سبحانه لما غضب على اهل الفترة بين عيسى ومحمد
تداركهم بعدهم بمحمد عليه السلام فارشدهم الى الحق وصدهم عن
الباطل كما قال سبحانه فيما يؤثر عنه سبقت رحمتي غضبي وكما
قال في القران المقدس وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
وقوله لان الله اتانا من التيمن حيث ظهر لنا اي اتانا
امره وبركته وهداه على لسان رسله وهو اشارة الى

قوله واستعلن لنا من جبال فاران اي ظهر لنا لان الاستعلان
الظهور وهو ضد الستر اي استعلن لنا امره وحكمه وبركته
وجبال فاران جبال مكة والحجاز فيما يتعارفه الناس
وهذه اللفظة محكية عن التوراة ولم تظهر ما يصلح ان يكون
امرا وبركة من الله وناموسا ونبوة مستقرة الا دين محمد عليه السلام
قوله وتغشت السماء من شعاع المحمود وامتلات الارض
من محامده فيه اشارتان ظاهرتان في المقصود احداهما
الاشارة الى انشقاقها لمحمد في السماء ليلة المعراج او الى
حراسة السماء بالشهب لاجل مبعثه فانه تعالى لم يحرس
السماء بالشهب الا لمبعثه وما كان منها قبله فهو نزر يسير على
جهة الانذار لمبعثه وتعالى ان الشياطين كانت تخترق السموات
السبع حتى بعث المسيح عليه السلام فمنعت من ثلث سموات
فلما بعث محمد عليه السلام منعت من الباقي ولعل هذا هو
كان السبب لكثرة الكهان في الدهور الاول لان مادتهم استراق
الشياطين السمع وقد كانوا مفوضين على علم الملكوت فلما حجبوا
قلت مادة الكهان بل عدمت فلهذا كان محمد عليه السلام
انقطعت الكهانة بحراسة السماء بالشهب هي تغشيتها
شعاع المحمود المذكور هاهنا واما امتلاء الارض من محامده
فظاهر فان اهل الشرق والغرب والسهل والجبل
يثنون عليه اما مع المتابعة كالمسلمين او مع عدم المتابعة

فالعلا شفه واصحاب الملك فان احدا منهم لا يبلغ في حكمته وعلو همته
وحسن سياسته للناموس واقامته ن الاشارة الثالثة
قوله من شعاع المحمود وقوله من محامده فان هذين لفظان
مشتقان من مادة اسم محمد واحمد وهما اسما نبينا عليه السلام
فهو اشارة الى انه المراد من هذه الصفات وهذا يقول
حسان بن ثابت في مدحه ن فذو العرش محمود وهذا محمد ه
وقوله لان شعاعه يصير نورا اي ينتشر ويكثر ويعلو
ويظهر ولذلك كان دينه عليه السلام خفيا ثم ظهر حتى ملا
الوجود ه وقوله ويصير عزه في قرنته وتظهر قوته
في رحبته قرنته هي مدينته يثرب وفيها ظهر عزه وقوته
ومنها الصارة وفيها حل الوحي والدين وتمت النعمة الالهية
على اهل دين الحنيفية كما قال الله سبحانه في القران اليوم اكملت
لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام
دينا وقوله الموت يسير امامه هذه صفة محمد عليه السلام
في غزواته فان كتائب المهاجرين والانصار دون انضمامهم
مسلمة الى دينه كانوا ينقدمونه وفيهم الموت العاجل لمن
لم يبادر ويتساهل ويبطي بالاجابة ولا يعاجل وفيه ايضا
اشارة الى قوله عليه السلام نصرت بالرعب مسيرة شهر
اي كان يرعب منه من بينه وبينه مسيرة شهر فكان الرعب
جنده يسير امامه والرعب من اسباب الموت
وقوله ويجمع الطير لوطء قدميه اي يتبعه حيث سار
لياكل لحوم القتلى في المعارك وهذا معنى قول الشاعر ه
ن قد عوّد الطير عادات وثقن بها ه حتى سعته في كل مرتحل ه
ه وقول الاخر ه وترى الطير على آثارنا راي عين ثقة ان ستمار ه
وقول النابغة
ه اذا ما سرى بالجيش حلق فوقه عصائب طير تهتدي بعصائب ه
ه جوانح قد ايقن ان قبيله اذا ما التقى الجمعان اول غالب ه
ولا نعلم احدا ممن اشتغل بامر الله كان على هذه الصفة الا
محمدا عليه السلام لان الانبياء قسمين احدهما لم يخرجه الله
الى الجهاد ببدنه بل كان يتعمل له بالامور السماوية كالطوفان

نوح والريح العقيم لهود والصاعقة لصالح ن والثاني من اخرجه
الى الجهاد بذلك كابراهيم وموسى ويوشع وسليمن ولم يشتهر منهم
مثل محمد عليه السلام فان اشد الانبياء قبله جهادا موسى ويوشع
وداود ولم يتجاوز جهادهم ارض الشام واما سليمن فلم يكن
جهاده جهادا في الحقيقة لان الجهاد بذل الجهد وسليمن عليه السلام
كان يركب على البساط ويسير في الهواء والجن والشياطين بعض
الاشغال وكان جهاده ازوج منه جاهدا لشام سنة فاما
محمد عليه السلام فاقتحمت خيله على قلة عسكره اقصى اليمن واقصى
الشام الى حدود ارض الروم ووصلت الى البحرين اصحابه
من بعده بلغوا اقصى خراسان وارض المغرب وفتحوا قسطنطينية
وكثيرا من تخوم الروم ولهذا كان عليه السلام سمي نبي الملاحم
اي الوقائع والغزوات وقوله قام فمسح الارض اي سار
فيها كاسحا ونظر بغضبه يعني لله سبحانه وللتوحيد فاجمعت
نحوه الشعوب يعني شعوب العرب على الاسلام وتفرغت
الجبال يعني من العرب لانهم كانوا يسكنون الجبال في الجاهلية
فلما جا الاسلام نزلوها ودخلوا القرى لاجل الجهاد ولجميع
كلمتهم وانضعت الاكام التي لم تزل بايديه منذ دهر اشارة
الى احداموزا ما الى وطء خيله جبال العرب وجهول
غيرهم حتى ذلت وانضعت له وانقادت لحكمه او الى قهر
جبابرة الكفار من العرب وغيرهم وليس عنهم بالاكام لجامع
صعوبة المرتقى ووعورة المسلك او الى رفض الحروب
والتكبر والتفاخر بالاحتساب الذي كان يفعله اهل الجاهلية
بقوله عليه السلام كلكم من ادم وادم من تراب ونحوه
وقوله كل ماثرة كانت في الجاهلية فهي تحت قدمي هذا
ونحو ذلك وقوله لان الشي القديم هو له اي هذا الناموس
كان مذخورا له لم يعدم ليأتي فيقيمه واعلم انه من انصف
راى بمشيرنا بهذا الكلام مستقيما ورأى محمدا عليه السلام
احق الخلق بهذه الاوصاف واعتقد ان هذه علامات
له بشر بها الانبياء الاوائل والله اعلم به وذكر
في الكتب مما اوحى الى النبي عليه السلام حكاية عن الرب سبحانه

انه قال لبني اسرائيل قد يعلمون ان الابن يكرم اباه والعبد مولاه
فان كنت لكم ابا فلما لا تكرموني وان كنت لكم مولى فلما لا تهابوني
قلت وهذا يدل على ان الله سبحانه يستعمل لفظ الابوه والبنوه
لله وفي خلقه على جهة المجاز وضرب المثل فلا يكون في استعمالها
لله وفي المسيح دلالة على امر اخص من العبوديه
ومن العجب [illegible] على نبوة ابن مريم [illegible] النبي عليه السلام ارميا
حكاية عن الرب سبحانه توبيخ بني اسرائيل على عبادة الاصنام
قال لهم قالوا للخشبة انت ابونا وقالوا للحجارة ولدتنا
قلت ومن المعلوم ان احدا من عبدة الاصنام ونحوها لم يعتقد
انها والدته ولا انها ابوه وانما هو توبيخ لهم حيث سووا
الاصنام وهذا يدل على ان نسبة الله خلقه الى نفسه بالابوه
والولاده انما هو كناية عن الربوبيه والخلق اي اني ربكم
وانا خلقتكم وكذلك الامر في عيسى عليه السلام ومنه
قوله في الاصحاح الخامس حكاية عن الرب سبحانه انه قال
موبخا لبني اسرائيل اما ترى ما يصنعون في قرى يهودا واسواق
اورشليم ان الابناء يلتقطون حطبا والاباء يججون نارا
والنساء يعجن العجين ليعملن قرابين لنجوم السماء ويقربون القربان للالهه
الاخرى ليسخطوني وانما يسخطون انفسهم ويخزون وجوههم
قال بعض مفسري هذا الكلام كانت قرابينهم هذه شبه
خشكنانج يخبزونها ثم يعجنونها بالدهن والسكر للنجم الذي
يسمى الزهره قلت وهذا يدل على ان ما تعاناه بعض
الناس من خدمة الكواكب والتقرب اليها لفوايده يسخط
للرب سبحانه وقد صنف فخر الدين الرازي كتابا سماه
السر المكتوم في هذا المعنى وفيه الكفر الصراح والسحر
البواح نعرف ذلك من طرفه وحكى في اوله حكايات
بسبب نشا عنه الروحانيات لخدام الكواكب على ما يريدون
من غيبا في ذلك وهو انما كذب اقرار ذلك انه الحصه
مضاف بالاستقلال الى قدرته لا الى الروحانيات
لكنه وافق تلك الخدمه فظن ابدا انها من اثرها جهلا
ومنه قول الرب سبحانه في اخر هذا الاصحاح لا يفتخر

الحكيم

الحكيم بحكمته ولا يفتخر الجبار بجبروته ولا يفتخر الغني بغناه ولكن يفتخر
الذي يفتخر بهذا اذا علم وفهم اني انا الرب الذي يظهر العدل
والبر في الارض وبهذه اسر قلت حاصله ان الذي
يرضي الله عنه معرفته وتوحيده واعطاه في الالهيه حقه
الحكمه والجبروت والغنى له الاولى الكبرياء دانه
والساوي من يزاحمه له في صفات ذاته والسيد انما يرضى
عبده بالخدمه لا بالمزاحمه ولهذا يتنبه العارفون العاملون
العالمين والمقابلة ها هنا انما هي ان العارف المجرد والعالم
المجرد عن تلك المعرفه الخاصه اذ لا بد لهذا العالم من

معرفة تحصل بها التوحيد اما من عارف او عالم
سابق لم يتصف الا باحدى الصفتين والله اعلم ومن ذلك
الرب سبحانه بعد هذا هذه ايام يحكم اسرايها بعقاب
جميع الذين يختتنون من اهل مصر واليهود والادوميين
وبني عمون والامواببن وجميع محلقي الشوارب الذين يسكنون
البر ان في جميع الشعوب غلفتهم في مذاكرهم وجميع
بني اسرائيل غلفهم في قلوبهم قلت هذه شهادة من
الرب سبحانه على اليهود والنصارى بالبلاده وضعف الادراك
وقلة العقل وهذا انما يستدل به على نبوة محمد عليه السلام
استدلالا لا استقلالا تنبيها لان ها هنا لان الحق يعرف تارة بالبرهان
وتارة بالحس والاكثار عليه وتارة بتخلف البلد عنه
وها لا تخلفوا عن دين محمد وقد شهد الله عليهم بالبلاده
فهم جديرا ان يصيبوا لم لا تهم الباطل ويخطئوا الحق
وقوله محلقي الشوارب ذم للجوالقيه ونحوهم
ممن يحلق لحيته وشاربه ويغير خلق الله ومنه
في الاصحاح السابع قال الرب مستاذ ذم عبدة
الاصنام اما الرب فخلق الارض بقوته واصلح البلاد
بحكمته ومد الارض بمواتيه وهو الذي يصير صوت الرعد
في الماء في السما ويرفع اقطار الارض ويظهر البرق
وتسير الماطر وهو الذي يخرج الرياح من خزاينها وقد جهد

كل الناس ولم يتبصروا العلة وفي الاصحاح الثاني والثلثين ذكر
هذا بعينه وقال جهل كل انسان عن ادراك علمه قلت
هذا يدل على بطلان ما وجه به الحكما والفلاسفة تكون الحوادث
السماوية كالرعد والبرق والبرد والصواعق والمطر والصقيع
والضباب وغيرها مما ابدوه واودعوه في كتبهم واعادوا الا ان الله
سبحانه اخبر عن هذه الاشيا انه يفعلها لحكمة وان العالم
اجتهدوا فلم يعلموا علمها مع ان ما يقوله الفلاسفة في ذلك
وقعا في النفوس وانجاها في المعقول فالله اعلم به
ومنه في الاصحاح التاسع يخاطب الرب عصاة بني
اسرائيل قال كما لا يقدر الهندي ان يغير سواد جلده و
النمر تنقيطه كذلك انتم لا تقدرون على الاحسان والخير
لانكم قد تعودتم الشر ه قلت هذا الكلام اذا تامله
العاقل كشف عن حقيقة القدر وتخصيصه ان الباري سبحانه
ركز في طباع العالم وجبلاتهم الميل الى افعال من خير
وشر كما ركز الحرارة في طبيعة النار والاغراق في
طبيعة الما وكما وضع السواد في الجسم والتنقيط في النمر
والفهد والغراب الابقع والسم في الحية والحطم والاستعلا
في طبع السبع لكنه اجرى فعل تلك الطبايع على كسب اهلها
فعلى الكسب يترتب الجزا وعلى ما ركز الفعل في الطبع وتحريك
الداعي له وهو خلقه المنسوب الى الله سبحانه يترتب التسليم
والله بكل شي عليم ه ومنه في الاصحاح التاسع عشر
قال ارميا في اثنا كلام هكذا يقول الرب الذي صير
الشمس نورا للنهار وتدبير القمر والنجوم لنور الليل الذي
يزجر البحر فتسكن امواجه قلت لعل هذا ما غر
النصارى حيث زعموا ان المسيح اله لكونهم نقلوا عنه انه
زجر البحر فسكنت امواجه والريح المهيجة له وذلك
وهم منهم قبيح لان سكون البحر بالزجر اعم من الالهية فكل
اله يزجر البحر فيسكن موجه وليس كل من زجر البحر فسكن
موجه الها اذ لا يلزم من وجود الاعم وجود الاخص واعاك

حزقيال

ذلك ان صح عنه نبا بعد من الله سبحانه كتبناه معجزاته ومعجزات
الانبيا كما سبق ه ومن التعليق من كتاب حزقيال في
الاصحاح السابع عشر قل لبني اسرائيل لماذا تقولون الابا
اكلوا الحصرم واسنان الابنا تضرس وانما النفس التي
تجرم هي تعاقب ه قلت هذا معنى قوله تعالى ولا تزر
وازرة وزر اخرى ه ومعنى قوله وان اساتم فلها ه ومعنى
قوله افتهلكنا بما فعل المبطلون وهي قضية عقلية بديهية
ان احدا لا يعاقب بجرم احد وقال النبي صلى الله عليه
وسلم لرجل معه ابنه اما انه لا يجني عليك ولا تجني عليه
قال الرب سبحانه والرجل ان كان برا يعمل بالبر
والعدل ولا ياكل على الجبال ذبائح الاصنام ولم يرفع عينيه
الى اصنام بني اسرائيل ولا ينجس بامراة غيره ولم يدن
من المراة وهي حائض ولم يظلم ولم يخسر احدا ورد الرهن
على صاحبه وبذل طعامه للجائع وكسى العريان ولم يقرض
بالربا ولم يعط بالعينة ورد يده عن الاثم وانصف
الرجل وصاحبه ولزم وصاياي وعمل بها وحفظ
احكامي وعمل بالحق فان هذا فعله فهو بر يحيى ويبقى
قال في تمام هذا كلاما طويلا ملخصه ان لا يدان ولد
بفعل ابيه الخاطئ ه وحكمه حكم ابيه لخطاياه وان عمل
بالبر فلا اسى عليه ام الله له قلت فجميع هذه الخصال
سمعناها في دين الاسلام على وفق ما في كتب الاولين وغرضنا
بهذا الرد على بعض النصارى حيث قدح فيما جاء به محمد من الشرع
وقال انه غير موافق لشرع من قبله ولا لمصالح العالم
ومنه في الاصحاح الثامن عشر في النبوة على ملك
صور قال له الرب قل اي اله لعلك تقدر ان
تقول بين يدي قاتليك اني اله ستعلم انك انسان اذا
وقعت في ايدي قاتليك وانك لست الها ه قلت
قد صرح الله سبحانه بان من لا يقدر ان يخلص نفسه من قاتليه
ليس باله وان من قتل انه انسان ليس باله والنصارى
سلموا بموجب ما اتفق عليه اناجيلهم ان المسيح صلبته

اليهود وانه جهد ان يخلص نفسه فلم يستطع وبين انه كان انسانا
لان خواص الانسانية كانت ظاهرة عليه من الاكل والشرب حتى
في الاخرة حيث قال ما عدت اشرب الخمر الا في مجد ابي
فثبت ان المسيح انسان وانه ليس باله والله اعلم ومنه
في اخر الاصحاح الخامس والعشرين منه ان الرب سبحانه قال
لحزقيال قل لال اسرائيل البيت المسخط اما يكفون بكل
نجاساتكم يا بني اسرائيل حتى ياتوا بالغرباء غلف القلوب والمذاكير
لينجسوا بيتي ويقربون على مذبحي وقال بعده كل غريب
اغلف القلب والمذاكير لا يدخل مقدسي قلت وهذا
ذم لغلف المذاكير وهم الذين لا يختتنون والنصارى كذلك
فهم مذمومون على السنة الرسل فان قيل انما ذم من
اتصف بكونه اغلف القلب والمذاكير جميعا وربما انتفى الله
وصف الغربة ثم ان لكم لم تزل اوصاف الغلفة حاصلة
في النصارى حتى يكونوا مذمومين قلنا اما كونهم غلف
القلوب فلما بينا قبل بلادتهم حتى سلكوا في دينهم اوعر الطرق
واما الغربة فيمكن اثباتها فيهم باعتبار زمننا او غيره
ثم هب ان الوصف فقد فيهم اليس اغلف المذاكير فلعله
فيهم فالذم بقدر ما حصل فيهم من اوصافه فهم مذمومون
على السنة الرسل في الجملة ه ومن التعليق كتاب
دانيال ان بختنصر الملك ببابل راى رؤيا وقال لما دانيال
نعلمها ويلها الا من علم صورتها فلم يعلمها الا دانيال
وكان من سبي بيت المقدس واولاد الانبياء فقال ايها
الملك رايت حذاك تمثالا عظيما حسن المنظر
ومنظره مفزع مخوف راسه من ذهب جيد وصدره
وذراعاه من فضة خالصة وبطنه وفخذاه من نحاس
وساقاه من حديد وقدماه بعضها حديد وبعضها
خزف ورايت قد قطع حجر من الجبل بلا ايدي وضرب
التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف ودقها
وطحطحها جدا وطحطح الحديد والنحاس والفخار

والفضة والذهب جميعا وصارت كلها كالهشيم الذي يذرى
في بيادر الصيف وحملتها الريح العاصف ولم يوجد لها
اثر والحجر الذي وقع على التمثال صار جبلا عظيما وامتلأت
منه الارض كلها هذه رؤياك ثم عبرها بملوك ياتون
بعد بختنصر مختلفين بالقوة والضعف على حسب اختلاف جواهر
اجزاء التمثال ثم بعد ذلك يقيم اله السماء ملكا لا يتغير الى
الابد قلت ____ فزعم بعض مفسري اهل الكتاب ان هذا
الحجر الذي صار جبلا عظيما هم القوم الذين قواهم الله على
مملكة الرومانيين قلت ____ وهو سوء تصرف في التاويل بل حمله
على محمد عليه السلام اولى لوجهين احدهما انه ذكر ان الحجر
قطع بلا ايدي وهو اشارة الى ظهور محمد عليه السلام فريدا
وحيدا بغير ظهير ولا قوة ثم استوسق امره حتى
الى ما ترى والذين ملكوا ارض الرومانيين ليسوا كذلك
بل كانوا رجالا وهم في منعة وقوة وغلبة الثاني انه ذكر
ان الحجر صار جبلا عظيما وامتلأت منه الارض كلها وهذه
صفة دين محمد حيث طبق اكثر الارض شرقا وغربا وسهلا
وجبلا برا وبحرا انسا وجنا اما الذين ملكوا الرومانيين
فاختص ملكهم بتلك الارض وهي رقعة من الدنيا والله اعلم
ومنه في الاصحاح التاسع قال دانيال فاذا جبريل
الرجل الذي رايته في الرؤيا قبل ذلك قد طار ونزل اليّ
من السماء ودنا مني في وقت قربان المساء تعال يا دانيال
افهمك الرؤيا سيأتي على شعبك وقرية قدسك سبعون
اسبوعا ليقضي الذنوب وتفنى الخطايا وللغفران الاثم
وليؤتى بالحق الذي لم يزل قبل العالمين ولتتم الرؤيا
ووحي الانبياء وتصير قدس القدس للمسيح والى مجي الملك
المسيح تسعة سوابيع واثنان وستون اسبوعا
تعود كمثل اوراشليم وبعد اثنين وستين اسبوعا يقتل
المسيح ولا يكون لها ثبات قلت حكاه دانيال ان
جبريل قال له وتصير قدس القدس للمسيح لصدق مقالة

المسلمين ان المسيح نبي لا اله ويبطل قول النصارى في انه الله
وقوله ليوتا الحق الذي لم يزل قبل العالمين ان حمل
على ما جاء به المسيح من الحكمة والنبوة فلا شك انه قبل العالمين
لان علم الله تعالى تعلق به حينئذ وان حمل على نفس المسيح
فالمراد به روح القدس الذي ايد به وهو الذي كان نفخه
جبريل في جيب مريم كان بشرا سويا المعصوم ورد ان
الله تعالى خلق الارواح قبل الاجساد بالفي عام وكان
روح عيسى في تلك الارواح وايضا قوله الى يحيى الملك
المسيح يدل على انه ليس الها ولا ربا بالمعنى الذي يريد النصارى
لان حقيقة الملك غير فان غير حقيقة الاله والرب وان كان
من صفات الرب الملك الا ان المراد هنا ليس ذلك بل يعني الكلام
في قوله يقتل المسيح هو ظاهر في ازهاق النفس وشرع
الاسلام ورد بانه لم يصلب ولم يقتل فيعتبر حمله على ما
حصل له من القتل غير المزهق او يقدح في صحة هذه اللفظة
والا فما اعلم عنه جوابا غير هذين الا ان يتاول على معنى
يقصد قتله ويعزم عليه او يقتل على زعمهم وهو في الحقيقة
انسان التي عليه شبهه وقد سبق الكلام في قتل
المسيح مستوفى والله اعلم فان قيل ذكر في الاصحاح
العاشر من كتاب اشعيا في النبوة على اهل البرية القريبة
من البحر قال تشرع العفو به من البرية مثل العاصف
من اليمن ويقدم من ارض بعيدة من اينا منتظر افظيعا
لما لم تظلم وتنتهب تنتهب اصعد يا اهل الاهواز
وحيال ماه لاني قد ابطلت زفراتها كلها ثم قال
قال لي الرب انطلق واقم ديدبانا ليخبر بما يرى فراى
الربيئة فارسين راكبين احدهما راكب حمارا والاخر
راكب جملا قلت زعم بعض مفسري اهل الكتاب
ان صاحب الحمار رئيس ماه وصاحب الجمل رئيس الاهواز
لانه قد تقدم ذكرها ولانه يقول بعد ذلك واذا
قد تقدم رجل من الفارسين وهتف وقال سقطت سقطت بابل
سقطت بابل وهذا كان بعد ما من الزمان وبعض المسلمين

اشعيا

يقول صاحب الحمار هو المسيح فانه في الانجيل انه ركب الحمار
تصديقا لهذا الكلام وصاحب الجمل محمد عليه السلام لانه عربي
وكان يركب الابل كثيرا واما اهل الكتاب في تفسيرهم له
برئيسي الاهواز وقالوا الفهم انهم من جهل بالمراد وحسد
وعناد لا يكم ان لم تعلموا مراده هنا الى اشعيا بصاحب
الجمل فقد جهلتم وان علمتم وحرفتم فقد عاندتم قلت
والانصاف ان الكلام مجمل محتمل ولا خصوصية له على احد من
الوطن وذكر ماه والاهواز قرينة تدل على تفسير اهل
الكتاب وذكر الجمل الغالب من مراكب العرب وكون
ترجمة النبوة في اهل البرية القريبة من البحر يدل على
ما قاله بعض المسلمين فان الحجاز خصوصا مكة على ساحل البحر
والله اعلم له العلق من سفر الخليقة وهو السفر
الاول من التوراة فمن ذلك وقال الله نخلق بشرا
على شبهنا قد رسمنا فضله ليكون صورتنا ومثالنا
واسلطه على سمك البحار وطير السما الى ان قال وخلق
الله ادم بصورته بصورة الله خلقه ذكرا وانثى خلقهما
الله وبارك عليهما قلت هذا مما لا تشنيع فيه على
اهل الكتاب لانه قد ثبت في دين الاسلام مثله حيث قال
النبي صلى الله عليه وسلم لا تقبحوا الوجه فان الله خلق ادم على صورته
وفي لفظ على صورة الرحمن واما لفظ شبهنا ومثالنا
فلا اعلم في الاسلام ورودهما الا ان ابا حامد الغزالي
رضي الله عنه قال في جواب فتيا سئل فيها عمن يرى الله سبحانه
في المنام ما ذا يرى قال يرى مثال الله قال والله سبحانه
له مثال لكن لا مثل له وفرق بين المثل والمثال نعم الفرق
بين اليهود والمسلمين في هذا ان اليهود يعتقدون ان الله سبحانه
جسما يصرحون بذلك عملا بظواهر ما عندهم هذا وغيره
وكذلك النصارى اما المسلمون فهم في النصوص الواردة
في هذا الباب من الكتاب والسنة على ثلث فرق طرفين
ووسط ففرقة سموا المنزهة تلك النصوص عندهم
هنا متشابه وما لا يتوجه لهم عليه صحته تاولوه بل لو
ما يقبل التاويل فلان وعنه قالوا وقوله تعالى ليس كمثله شيء

سفر الخليقة

وفرقه تسموا بالمشبهة اعتقدوا ظواهر النصوص على ما تشاهد
فقالوا في البارئ سبحانه مقالة اليهود من عندهم قوله تعالى وهو
السميع البصير وفرقة تسموا باهل الوسط والسنة والجماعة
فنزهوا الله سبحانه عن مشابهة مخلوقاته ومماثلتها عملا بقوله ليس
كمثله شيء واثبتوا له بتلك النصوص صفات تليق بذاته عملا
بقوله سبحانه وهو السميع البصير وغيرها من الآيات الاحاديث
والله اعلم ثم قال بعد ذلك ورأى الله جميع خلقه
فرآه حسنا وكان صباح اليوم السادس يوم الجمعة قلت
هذا مناف لما في صحيح مسلم وغيره من ان خلق ادم كان يوم
الجمعة في اخر الخلق في اخر ساعة منه ما بين العصر الى الليل
واعتمادنا على ما عندنا لان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا حدثكم
اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم في شيء وهذا من
اهل الكتاب ثم قال واكمل الله اعماله في اليوم السادس
واستراح في اليوم السابع من جميع اعماله التي عمل وبارك
عليه وقدسه لانه فيه استراح من جميع اعماله وفرغ
خلقه الذي خلق قلت على هذا الكلام وقع الرد في القرآن
بقوله تعالى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة
ايام وما مسنا من لغوب اي تعب لان قولهم استراح
من اعماله يشعر بلحوق التعب له بل يستلزمه اذ لا راحة
الا عن تعب ولحوق التعب من امارات العلاج والعجز
والله لا يفعل الاشياء على وجه يلحقه عجز ولا تعب بل انما
امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وانما خلق
الى ان في ستة ايام لحكم ذكرها العلماء ولا عجب من اليهود
في اطلاق الاستراحة على الله سبحانه فانهم يعتقدونه جسما
والتعب والراحة من لواحق الاجسام والله اعلم
ثم ذكر ان الله غرس فردوسا في عدن وانبت شجرة
الحياة في وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشر
وكان النهر يخرج من عدن يسقي الفردوس ثم يقسم هناك
اربعة اقسام احدها اسمه فيشون وهو المحيط بارض
الهند وثم اجود الذهب وهناك الفيروزج وحجارة

البلورة والثاني جيحان وهو المحيط بارض كوش الحبشة والثالث
الدجلة وهو الذي يذهب قبلي الموصل والرابع النهر الفرات
قلت بعض هذا موافق لما جاء به شرعنا وهو ان من انهار
الجنة جيحان والفرات وبعضه مخالف وهو ان منها دجلة
وفيشون ان لم يرد به سيحون فان شرعنا لم يذكرهما
والوارد في السنة النبوية انه عليه السلام قال رأيت
سدرة المنتهى واذا يخرج من اصلها اربعة انهار سيحان وجيحان
والنيل والفرات واما توجيه كون هذه الانهار في اصل
سدرة المنتهى وفي الارض او تاويله فموضعه غير هاهنا
وقد تكلم عليه النووي في صحيح مسلم والله اعلم ثم ذكر
ان الله سبحانه جمع لادم جميع حيوان البر وطير السماء وجاء
بهم الى ادم ليسميهم فسماهم باسماء صارت اسماءهم قلت
هذا موافق لقوله تعالى وعلم ادم الاسماء كلها ولم يذكر
في التوراة انه عرضهم على الملائكة ثم ذكر ان الله
سبحانه خلق من ضلع ادم امراة وقربها اليه وقال

ادم هذه المراة لانها اخذت من المرء قلت وهذا
موافق لما ورد في السنة ثم ذكر ان ادم وامراته
كانا كلاهما عريانين لا يستحيان وان الله سبحانه اذن
لهما ان ياكلا من جميع شجر الجنة الا شجرة معرفة الخير
والشر فانك يوم تاكل منها تموت موتا قلت
التوراة والقرآن اطلقت فيها الشجرة فلم تسم ولم يعين
جنسها ولا نوعها غير ان التوراة وصفها بانها شجرة
معرفة الخير والشر ثم اختلف مفسرو القرآن
في عينها فقيل هي السنبلة وقيل شجرة التين وهذا
قال معبرو الرؤيا من راى انه ياكل التين اصابه
حزن لان ادم لما اكلها اصابه الحزن بخروجه من الجنة
وذكر بعد هذا في التوراة ان الحية قالت
للمراة انكما لا تاكلان من شجرة الفردوس فقالت [illegible]
فقالت الحية انكما لا تموتان من اكلها ولكن الله علم انكما يوم

فالآن مهما تنفتح أعينكما وتكونان كالآلهة تعرفان الخير والشر
فأكلت المرأة وأطعمت بعلها فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان
فأخذا من ورق التين وجعلا يوصلان مآزر لهما
هذا الكلام يخالف القرآن في البعض دون البعض أما قوله
إن الحية هي أغوت المرأة في الأكل فهو بالظاهر يخالف
لأن القرآن نص على أن المغوي لهما إبليس لكن الجمع ممكن بأن إبليس
دخل الجنة في فم الحية فنسب الإغواء في التوراة إليها
لأنها محل للشيطان المغوي ونسبه القرآن إلى الشيطان اعتبارا
بحقيقة المتكلم وهو أولى بالصواب والخوض العقل
وأما قوله إن الحية قالت يوم تأكلان منها تكونان كالآلهة
فهو موافق لما في القرآن من قوله تعالى حكاية عن إبليس ما
نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من
الخالدين أي لئلا تكونا كذلك أو كراهة أن تكونا كذلك
وذكر في التوراة بعد هذا أن الله سبحانه قال ليزيان
آدم قد صار كأحدنا يعلم الخير والشر لعله الآن يمد يده
فيأخذ أيضا من شجرة الحياة ويأكل منها فيحيا للدهر فأخرجه
الرب من فردوس عدن ليحرث الأرض وذكر
عبد الرزاق في تفسيره أن عمر بن عبد العزيز قال سمعت وهب
بن منبه يقول لما أسكن الله آدم وزوجته الجنة ونهاه
عن الشجرة وكانت شجرة غصونها متشعب بعضها في بعض
وكان لها ثمر تأكلها الملائكة لخلدهم وساق القصة إلى أن
قال قلت لوهب هل كانت الملائكة تأكل فقال يفعل الله
ما يشاء قلت هذا أسهل مما ذكر في التوراة فإن فيه
محذورين أحدهما أنه مشعر بأن الظاهر أن الله سبحانه
إنما كان حيا خالدا عالما بالخير والشر لكونه أكل من الشجرة
الثاني أن يزيان مثل الله سبحانه في ذلك لقوله
قد صار كأحدنا وفيه تجسيم وثالثها أنه يشعر
بأن الله لم يعلم أن آدم يأكل من الشجرة ولا أنه أكل
منها حين أكل حتى أخبره على ما صرح به أو أشار إليه

صاحب التأويلات القاشاني

قبل على ما سيأتي وكل هذا قبيح نزي يحل سوقه المحمول إن
يحكوه عن أنفسهم فضلا عن الخالق وقوله وكانا عريانين
وعلما أنهما عريانان ينافي بظاهره قوله سبحانه فأكلا منها
فبدت لهما سوآتهما لأن بدو الشيء يستدعي استتاره
لكن قد يقال الاستتار تارة يكون بمعنى في المرئي وتارة
بمعنى في الرائي لكن حمل الأمر على أنهما كانا مستترين أنسب
بحكمة الله ولطفه وكرامة آدم ويدل عليه أن في التوراة
أن الله سبحانه صنع لهما بعد المعصية سرابيل من الجلود
وألبسهما فإذا كان بعد المعصية لا يجعلهما عريانين فما
الظن فيما قبلها حين الكرامة وقوله فأخذا من
ورق التين وجعلا يوصلان مآزر موافق لقوله تعالى
وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وفيه تنبيه على أن
الشجرة كانت شجرة التين كما حكي عن بعض المفسرين ره
وذكر أن آدم وامرأته سمعا صوت الرب ماشيا في
الفردوس فاستترا من بين يدي الله الرب في شجر
الفردوس ونادى الله آدم فقال آدم أين أنت فقال سمعت
صوتك ماشيا في الفردوس ورأيت أني عريان فاستترت
فقال الله الرب ومن أوراك أنك عريان لعلك
أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها وساق القصة وهذا
الكلام فيه تشانيع منها صفة الله بالمشي في الجنة
وهو تجسيم وقد تعالى الله عما صح عنه في دين الإسلام
من صفة النزول والجواب مشترك لكن مع التحقيق
يلزم اليهود التشنيع دون المسلمين لأن المسلمين إما متأول
أو ساكت واليهود ليسوا كذلك الثاني قوله لآدم
أين أنت الثالث قوله ومن أوراك أنك عريان لعلك
أكلت من الشجرة فإن هذا ظاهر في أنه تعالى لم يعلم
أين آدم حتى أخبره ولم يعلم أنه أكل حتى استدل عليه
بالعري وهذا افتراء عظيم على الله يدل على أن هذه
التوراة ليست التي أنزلت على موسى كما سيعرفه
في الإنجيل ومن نظر ببصره وعقله في القرآن والتوراة
فعلم بعد الإنصاف أن القرآن أشبه بالحكمة والصواب

من التوراة فانها تشبه خرافات الصبيان وما سبب ذلك الا
تقادم العهد واستيلاء التحريف فيه وذكر فيها ان الله لما
يطرق بشجرة الحياة ملكا لئلا ويأخذ به يحرسها قلت
فانه يريد ان آدم او غيره لئلا يأكل منها فيصير مثل الله
سبحانه وهذه عقول سخيفة. وذكر ان آدم سمى زوجته
حواء لانها ام كل حي قلت هذا قريب وهو من باب
الاشتقاق كتسميته اياها امرأة لانها من المرء فالمرأة اسم
لجنسها او نوعها وحواء اسم لشخصها ويقال سميت حواء
لانها حوت غلبته لما نزلا الى الارض وقيل ذلك اي
اجتمعت معه والفته وقد تسمى المرأة حواء من الحوة
وهي حمرة الى السمرة والله اعلم وذكر قصة قابيل
وهابيل مبسوطة وهي غير منافية لما في القرآن الكريم
وبينهما تفاوت في الزيادة والنقص وليس ذلك موجبا
للتنافي. وذكر ان آدم عاش تسعمائة سنة وثلاثين سنة
ثمانمائة بعد ان ولد شيثا ومائة وثلاثين قبلها وهذا مخالف
لما صحت به السنة النبوية من ان آدم وهب داود
من عمره وهو الف سنة اربعين سنة فبقي تسعمائة وستون
سنة على ان محمد بن سعد ذكر ان الله اكمل لآدم الف سنة
ولداود مائة في القصة المشهورة في السنة. وذكر
ان اخنوخ وهو ادريس عليه السلام رفع الى الفردوس بعد
ثلثمائة وخمس وستين سنة وهذا لا ينافي القرآن. وذكر
بعد ذلك مولد نوح ان الرب سبحانه قال لا تسكن روحي
في البشر الى الدهر من اجل انهم لحم ولكن ايام الانسان
مائة وعشرين سنة قلت التوراة عند النصارى حجة
لهم وعليهم وهذه التوراة نطقت بان روح الله لا تحل
في البشر لكونه لحما وبالاتفاق ان المسيح كان لحما ودما بشرا
سويا وروح الله هي الله تدل لك قوله في اول هذا السفر
من التوراة وكانت روح الله ترف على الماء فدل ذلك على
ان الله لم يحل في المسيح كما قالت النصارى وقد ذكر في انجيلهم

واما قوله لكن ايام الانسان مائة وعشرين سنة فهذا ان كان
فهو تقدير الهي لعمر الانسان غير معلول العلة وقد اعتبره
اهل العلم في ميراث المفقود ونحوها من المسائل وكلام اهل
الطب في توجيهه وسألت بعض افاضلهم عنه فقال لم يأتوا
فيه بمقنع غير انهم زعموا ان الانسان لا يزال في نمو الى
الاربعين ثم يقف اربعين ثم يأخذ في الانحطاط والضعف
اربعين قلت وهذا ينظر الى قوله تعالى الله الذي خلقكم
من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا
وشيبة لكن التقدير بأربعين اربعين في كل طور لا نص عليه
ولا وقفنا على دليل. ثم قوله لكن ايام الانسان مائة وعشرين سنة
ان اريد ان كل انسان يبلغها فهو باطل بالمشاهدة وان
اريد ان كل انسان لا يتجاوزها فباطل ايضا بالمشاهدة
فان كثيرا من الناس يتجاوزها وان اريد ان بعضهم يبلغها
وبعضهم لا يتجاوزها فان اريد به بعض اكثر الناس او شطرهم
فباطل ايضا بالمشاهدة وان اريد اقلهم فالوحي الالهي لا
يتصدى لمثل هذه الفائدة القليلة. وذكر ان الشر
لما كثر في زمن نوح اسف الرب وحزن قلبه على خلقه
لآدم في الارض وعزم على اهلاك من في الارض كلهم من
ذرية الا نوحا فانه وجد نعمة بين يدي الرب قلت
هذا من وضع اليهود وكذبهم على الله حيث نسبوه الى الجهل
والاستدراك احتاج الى الاستدراك بالبداء ونسبوه
الى الاسف وحزن القلب بما عاينه في الجسم تعالى
الله عما يقولون علوا كبيرا. والصواب في هذا وغيره
ما عليه العقلاء من ان الله سبحانه يتصرف في ملكه بمقتضى
حكمته وان علمه تعلق في الازل بان بقاء هذا الشيء مصلحة
في وقت كذا مفسدة في وقت كذا فيبقيه في وقت المصلحة
ويهلكه في وقت المفسدة ثم تلك المصلحة والمفسدة قد
تكون ظاهرة للناس وقد تقصر عقولهم عن ادراكها
والحكيم الخبير لا يبينهم وبهذا قرر المسلمون جواز النسخ

في الشرائع والاحكام وخلوا النظرة الطبيب حيث يصف للمريض
اليوم شيئا ثم نهاه عنه غدا بحسب مصلحة مزاجه وتدبيره
واختلاف الازمنة والامكنة والامزجة والله اعلم
وذكر ان الله سبحانه امر نوحا ان يصنع الفلك طوله ثلثمائة
ذراع وعرضه خمسون ذراعا وارتفاعه ثلثون وهذا
لم يرد في شريعة الاسلام له تقدير ولا في التصديق تحديد
وذكر ان الماء لما اخذ في النضوب ارسل نوح الغراب
ليكشف له خبر الارض هل ظهرت فذهب فلم يرجع
ثم ارسل الحمامة فلم تجد لرجليها مستقرا فعادت ثم ارسلها
بعد سبعة ايام فعادت وفي فمها ورقة زيتون فعلم ان
الماء قد قل ثم ارسلها بعد سبعة ايام فذهبت ولم تعد
قلت فلعل هذا سبب استيحاش الغراب واستيناس
الحمامة حيث رجعت ولم يرجع وكانه ابعد في المذهب
حتى وجد مستقرا نادرا فاقام به او بقي طائرا حتى وجد
مستقرا ه وذكر ان الله لما اهلك العالم بالطوفان
قال في قلبه لا اعود ابيد الارض لموضع الانسان لان ضمير قلب
الانسان ميال الى الشر منذ حداثته ولا اعود اهلك كل حي
كالذي فعلت قلت فانه عذر الانسان لكونه مطبوعا
على الشر فندم على اهلاك العالم وتاب عن ذلك فنسبوه
الى الجهل بخلق الخلق واهلاكه تعالى الله عما يقولون فان
هذا من تحريف اليهود والله اعلم ٥ وذكر ان الله سبحانه
اطلق لنوح وبنيه اكل كل شي من حيوان وخضر قال غير
اني انهاكم عن اكل لحم فيه دم نفسه جامد فلا تاكلوا الدم
فاني استقصي الدم من الرجل واخيه ومن يهريق دم انسان
فيه الانسان يهراق دمه من اجل انه على صورة خلق آدم الله
قلت قد مر الكلام على الصورة وفي هذا الكلام
اشارة الى ان القصاص حق لله تعالى ولهذا منع من قبلنا من
قبول الدية وانما احلت لنا رخصة وتحلة وليس في دين
الاسلام ما ينافي هذا وقد قررته في الفوائد واما
الدم فانه في دين الاسلام الا ما يشق اجتنابه كالذي في عر

اللحم ونحوه واليهود يتتبعون ما في عروق اللحم منه فهو الان صار
من اصرهم التي عليهم وخففت عنا ٥ وذكر ان الله سبحانه اعطى نوحا
وبنيه ومن بعدهم ميثاقا ان لا يهلك احدا بالطوفان العام
بعد ذلك وجعل علامة ذلك ظهور القوس في السحاب
قلت فهو المسمى بقوس قزح ولهذا جاء عن بعض السلف
انه قال قوس قزح امان من الغرق وبلغنا عن بعض المنجمين
والفلاسفة انه يزعم انه لا بد للارض من طوفان من كل
عنصر من عناصر العالم فقد مضى طوفان الماء ولا بد من طوفان
الارض وهو رمل تسفه الريح حتى يطم الارض ومن طوفان
الهواء يهدم كل ما على وجه الارض ومن طوفان النار يحرق
كل ما على وجه الارض قلت وهذا لا ينافي الامان من
طوفان الماء لكن يظهر منه انه من الخرافات الواردة عن
الاقيسة الفاسدة ٥ وذكر ان نوحا غرس كرما وشرب
من خمره فانكشفت عورته من نشوته فابصرها حام ابو
كنعان فاخبر اخويه فاخذ سام ويافث رداء او ثيابا
على عواتقهما ومشيا على اعقابهما لئلا ينظرا عورة ابيهما
حتى وارياها فلما صحا نوح وعلم ما كان من ذلك دعا لسام
ويافث وقال ملعون كنعان وعبد العبيد يكون
لاخوته قلت هكذا وجدته في نسخة من اصح النسخ
بالتوراة ان الناظر الى عورة ابيه حام ابو كنعان وان
دعاء نوح كان على كنعان وهذا جور لا تليق نسبته الى
نوح بل في اعوام الناس ان رجلا يجني ادبه تعليه قد دعا
على ابنه وقد قال الله سبحانه في القران الكريم ولا تزر
وازرة وزر اخرى خصوصا على مذهب اليهود
في القدر وان لا يعاقب الا من اذنب فان قيل
فلو لم يصرح بلعن كنعان للحقه شوم اللعنة بطريق التلقي
عن ابيه حام فلا فرق قلنا الا فرق بين ان لحقته
شومها عن غير قصد وبين ان يقصد بالعقوبة غير المذنب
ولو جاز هذا لجاز ان يعذب الله جميع بني ادم بذنب

اسمه ادم واسم لا يعولون به .. وذكر ان الطوفان كان لستمايه
سنه من عمر نوح وانه عاش بعده بثلثمايه سنه وخمسين سنه
ومات قلت هو موافق لما في القران في قوله تعالى
فلبث فيهم الف سنه الا خمسين عاما .. وذكر ان الارض
كانت كلها بعد نوح وكثره ولده لسانا واحدا سريانيا
فان كانوا من المشرق الى بقعه من الارض فجعل الرجل منهم
يقول لصاحبه هلموا فلنضرب لبنا ونحرقه بالنار
فنصنع حجاره فنبني برجا وصرحا راسه في السما فقال
الرب هذا شعب واحد ولسان واحد فهلم نهبط فنقسم
هناك السنتهم لئلا يفهم احدهم كلام صاحبه ففعل الرب ذلك
فتفرقوا وتركوا بنا الصرح ولذلك سميت البقعه بابل لان
ثم تبلبلت الالسن ومن هناك افترقوا في الارض قلت
لان الحكمه في اختلاف السنتهم ان يتفرقوا فيعمروا الدنيا ولا
يلزموا مكانا واحدا هذا محمل قريب اما ان يكون ان الله
حذر من ان لا يتقوا الله اذكره هذا كما سبق من حكايته انه
وكل بالشجره كروبيا يحرسها لئلا ياكل منها ادم
او غيره فيصير الها فهذا من الخرافات .. وذكر
ان ابرهيم ولوطا بعد ان عادا من مصر سكنا ارض كنعان وكان
رعاتهما يقتتلون فاتفقا على ان يفترقا فاقام ابرهيم بكنعان
وشرق لوط الى ارض سدوم فلما فارق لوط قال الله
لابرهيم ارفع عينيك وانظر المكان الذي انت فيه الى الشمال
والجنوب والى المشرق والمغرب فان جميع الارض التي
ترى كلها لك اعطيها ولنسلك الى ابد الابد واكثر ذريتك
مثل تراب الارض قلت فنظرنا فاذا اهلك بني
اسرائيل ان يقع على ارض كنعان غربها وشرقها
وجملة من شمالها وغالب جنوبها بظهور محمد عليه السلام
وصارت للعرب فمقتضى وعد الله الصادق لخليله ابرهيم
عليه السلام وذلك يدل على فضيلة العرب وصحة النبوه
فيهم لانهم من بني ابرهيم وغالب بني اسرائيل ...

بيان فهلم

الذل والصغار والخزي والعار بكفرهم وفجورهم والله اعلم
وذكر ان ابرهيم سال ربه ولدا يرثه ويرث ارضه
فوعده بذلك فسال له اية على ذلك فقال له خذ عجلا
ثلاثيا وعنزا ثلاثيا وكبشا ثلاثيا ويمامة وفرخ حمام
فقطعهم على الاستوا واجعل كل عضو منهم بازا صاحبه
ولا تقطع الطير واجعله ... فاذا وقع على تلك الاجساد
قلت هذا مخالف لما في القران في الصوره والسبب
اما الصوره فان في القران فخذ اربعة من الطير ولم يذكر
سباع ذوات الاربع .. واما في السبب فلانه
قال ارني كيف تحيي الموتى وها هنا ذكر انه ساله
علامه على حصول الولد وما في القران اشبه بالحكمة
والصواب وحال ابرهيم فان ابرهيم كان بمقامه ومقام
لا يفكر الا في امر الاخره والنظر في عجايب حكمة الله
في ملك الارض واثرها بعده واذا كان النبي في حياته
لا يلتفت الى الدنيا فما ظنك به بعد موته لكن هذا المذكور
في التوراة يقدح في قول من قال ان زكريا انما امسك
عن الكلام حين بشر بيحيى عقوبه له حيث سال العلامه
ولم يبادر بالايمان لان العقوبات تتزايد بزيادة المقامات
والاحوال وابرهيم اعلى مقاما واقوى حالا من زكريا
وقد سال الاية ان الله سبحانه لا ان حزنك ... هذا المعاقب
شي فهذا يقدح فيما في الانجيل في ذلك وقد سبق اعتراضه
وذكر ان الله سبحانه قال لابرهيم ان نسلك يكون سكانا
في غير ارضهم ويتعاورونها ويستعبدون ويستذلوا
اربعمايه سنه والشعب الذي يستعبدهم انتقم منه انا
وانهم يخرجون من بعد ذلك بملك عظيم قلت هذا اشاره
الى بني اسرائيل لكانوا في مصر بعد يعقوب ويوسف وكان
فرعون استعبدهم حتى ارسل موسى فخلصهم واغرق الله
فرعون وقومه يخرجون من بعد ذلك بملك عظيم ذلك
على ان موسى بعد اغراق فرعون عاد الى مصر بنفسه او
بنايبه ... وغالب على خلاف ذكره اهل القصص الي

بمصر فملك ارض فرعون ونعمه وان الارض المذكوره في قوله تعالى
واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها
التي باركنا فيها هي ارض مصر وقد نص على ذلك القران حيث يقول
كذلك واورثناها بني اسرائيل قوما اخرين والله اعلم وذكر
ان ساره امراة ابرهيم لم تلد له ولدا وكان لها امه مصريه اسمها
هاجر فقالت ساره لابرهيم ادخل على هاجر عسى الله ان يرزقني
منها ولدا نتعزا به فدخل على هاجر فحملت فهانت مولاتها في عينها
فسمتها ساره فهربت هاجر فلقاها ملاك الرب فقال
ارجعي الى مولاتك فلوي تحت يدها لكثر الله نسلك اكثار لا يحصى
عدده وقال لها انك حبلى وستلدين غلاما اسمه اسمعيل لان
الله قد سمع بعبدك وهو يكون بدويا يد جميع الادميين وبارك فيه
يده على الكل ويد الكل به وعلى حذا جميع اخوته ينزل وكان
ابرهيم حين ولاده اسمعيل ابن ست وثمانين سنه قلت وقد نطق
الوحي الالهي بان اسمعيل مبارك فيه ومكون على الكل اي على كل ولد
ابرهيم وانه ينزل على حذا اخوته اي يترأس ويعلو عليهم ولم يظهر
بركه اسمعيل وعزه ورفعته على بقيه بني ابرهيم الا بظهور
محمد عليه السلام وهذا دليل على نبوته من التوراه وثبت بهذا
ان بكر ابرهيم هو اسمعيل وذكر ان الله سبحانه اشتعلن
لابرهيم بعد ذلك فوعده باشيا منها ان قال اعطيك وذريتك
من بعدك ارض مسكنك جميع ارض كنعان ميراثا الى الابد
واكون لهم الاها فقد بينا فيما سبق ان ارض كنعان خرجت من ايدي
بني اسحق وصارت لبني اسمعيل محمد وامته وهو يدل على صحه
نبوه محمد اذ من المحال ان يمتن الله على اسمعيل بان يورثه ارضه
الكفار الكذابين على الله سبحانه. وذكر ان الله سبحانه عاهد
ابرهيم عهدا ان يختتن هو ونسله ومن يتبعهم من غيرهم كالعبيد
ونحوهم قال يكون عهدي بيني وبينك ميثاقا مخلوقا الى الدهر
قال واي ذكر لم يختن اغرل ولا يختتن فتهلك تلك النفس من
شعبها اذ اضاعت ميثاقي قلت فهذا فيه وجوب
الختان على الرجال دون النسا وهو مذهب جماعة من المسلمين وقال
قوم بالطرف في الوجوب عليها وفي عدمه وقد تفضل النصارى

لانهم تركوا الختان مع ان الله اوجبه على ابرهيم ونسله الى الدهر فيلزمهم
اما الضلال او انهم ليسوا من نسل ابرهيم لان ينسبوا احكام التوراه
في هذا بنسخ عندهم وربما استروح النصارى في ترك الختان
الى ان المحذور من الغرله انما هو احتقان البول فيها لكن ذلك
ليس محذورا عندنا لقول المسيح النجس ما خرج من الفم لا ما
خرج من الفرج او الى قوله لخلفائه ما ربطتموه في الارض فهو
مربوط في السما وما حللتموه في الارض فهو محلول في السما وقد
حكم خلفاوه بعدم وجوب الختان لكن هذه خرافات اذا
نوقشوا فيها يتعذر عليهم الفتا من حصرها. وذكر ان الله
بشر ابرهيم باسحق من ساره وابرهيم يومئذ ابن تسع وتسعين سنه
وساره لها تسعون سنه فقال الله لابرهيم حين استبعد ذلك
حقا ان زوجتك ساره تلد لك غلاما وتدعا اسمه اسحاق
واقيم معه ميثاقا الى الابد ولخلفه من بعده وعلى اسمعيل فقد
سمعتك وقد باركت عليه ولاكثرنه كثيرا جدا ويولد له اثنا عشر
شريفا واجعله لشعب عظيم قلت ففي هذا دليلان
على صحه نبوه محمد عليه السلام احدهما قوله يولد لاسمعيل اثنا
عشر شريفا وصفهم الله بالشرف والكفار ليسوا عند الله
اشرافا وعباد الاصنام كفار فلا يكونوا اشرافا ولم يعلم
من بني اسمعيل من ظهر بما يناسب الناموس الايماني والدين
التوحيدي الجاري على عاده الانبيا المتقدمين الا محمد عليه السلام
والاثنا عشر شريفا هو واصحابه الذين قطع لهم بالجنه
وسبطاه او عماه حمزه وعباس فهولا نظرا نقبا موسى الاثني
عشر شريفا وحواري عيسى الاثني عشر ومن انكر ان هولا
هم المشار اليهم بهذا الخطاب فعليه ان يبين لنا من بني اسمعيل
من هو احق منهم بذلك. الدليل الثاني قوله واجعله
لشعب عظيم وصف الله سبحانه هذا الشعب بكونه عظيما
وهو شعب العرب والله لا يعظم عنده الا الخير الفاضل
اذ الشر اهون عليه من الذره ولا يرد علينا من مات في
الفتره قبل النبوه لان اولئك ملحقون في الاخره كالمبحث

الاطفال وقد جاء في ذلك حديث ذكره وثمة في اواخر القصص ولا
من كفر من النبوة لانهم فليلوذ بالنسبة الى العرب فان اعتبارا بالاكثر
واذا ثبت ان شعب العرب عظيم عند الله وجب ان لا يخلو من رسول
لشعب اسمعيل حيث كان الله نبه عنايته لم يخلهم من الرسل ولم يظهر
من العرب من ادعى الرسالة وظهر باتو بسده في طبق الارض
شرقا وغربا الا محمد عليه السلام فوجب ان يكون هو النبي الحق
الذي عظم الله به شعب اسمعيل والله اعلم وذكر ان ابرهيم لما
تجلى عند خطاب الرب عاد ذكر ذلك فاختتن هو ابن تسع وتسعين
سنه وختن اسمعيل وهو يومئذ ابن ثلث عشره سنه ووجب
كل ذكر كان في بيته من تلاد او مستفاد واسحق لم يكن ولد
بعد بل قد بشر به في العام القابل قلت قوله اختتن ابرهيم
وهو ابن تسع وتسعين يخالف لما جاءت به السنة النبوية انه
اختتن وهو ابن ثمانين سنه بالقدوم والسنة عندنا اولى
وذكر قصة ضيف ابرهيم وضيافته لهم بالعجل وبشرى
سارة بالولد ومجادلة ابرهيم في قوم لوط على وجه لا ينافي
القران غير انه ذكر ان امراة ~~غير انه ذكر ان امراة لوط~~
خرجت معه في جملة اهله فالتفتت ورآها فصارت قامة
ملح وان الله سبحانه امطر على قوم لوط كبريتا ونارا ه
قلت فالمطر مذكور في القران لكن ذكر انه حجارة من سجيل
منضود وزاد مع ذلك انه خسف بها فجعل عاليها سافلها
ولا تنافي لجواز انه عذبها بجميع هذه الانواع من العذاب
واما خروج امراة لوط معه فخلاف فيه اهل الاسلام
تبعا لما دلت عليه قراءة الرفع والنصب في امراتك قوله
تعالى فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا
امراتك فمن رفع وجعله استثناء متصلا قال هي بدل من احد
فتقديره لا يلتفت منكم الا امراتك فدل على انها كانت
من لوط واهله السائرين ومن نصب جعله مستثنى من اسر
فتقديره اسر باهلك الا امراتك ولا تسر بها [illegible]
القران فاما ما دل على التفاتها من البحث [illegible]

والحجر

والحجر والشعراء والنمل والعنكبوت وجمع بعضهم بين القراءتين
بانها سرت معهم وان لوطا لم يشعر بها قلت والذي دلت
عليه القصص والقراءتين انها سرت معهم فيحمل الامر اما على
تاويل هذا المتاول المذكور او على حمل الاستثناء في قراءة الرفع
منقطعا فتقديره لكن امراتك مصيبها ما اصابهم واما جعل
امراته قامة من ملح فهو على جهة المسخ وقد علم انه اصابهم
مسخ فيكون قد اصابها ما اصابهم حيث المسخ ان صح هذا
المذكور في التوراة والا فالذي ذكره المسلمون انها التفتت
فاصابها حجر فقتلها والله اعلم وذكر ان لوطا بعد هلاك
قومه سكن بمغارة ومعه ابنتاه فقالت الكبرى للصغرى
ان ابانا قد شاخ وليس على وجه الارض من يغشانا كسبيل
جميع اهل الدنيا فهلمي فلنسق ابانا خمرا ونضاجعه و
نقيم من ابينا خلفا ونسلا وانهما سقتاه الخمر وضاجعتاه
في ليلتين فواقعهما ولم يعلم فاحبلهما فولدت الكبرى ابنا سمته
موآب فهو ابو الموابيين وولدت الصغرى غلاما سمته
بن عام وهو ابو بني عمون الى يومنا هذا قلت لعن الله اليهود
فان هذا من اكاذيبهم على الله ورسله اما شرب الخمر فقد كان
مباحا لهم واما وطء البنات فلم يعلمه جائزا في شرع ادم ومن بعده
بعقد النكاح مع انه قد كان يجوز فيه نكاح الاخوات فليت شعري
انسبه به رسل الكرام المحفوظين بقيد العصمة حتى يوقعهم
فيما لم يجز قط بالنكاح سفاحا وزنا وقد كان يحفظهم ويحرسهم
مما هو ايسر من هذا الكثير كما عصم يوسف من امراة العزيز بعد
السحر والاكراه به وغير ذلك وذكر قصة سارة
زوجة ابرهيم حين اخذها الجبار واسمه ابيملخ وقال
ابرهيم هي اختي فلما نبه الجبار على ذلك قال حقا هي اختي
ابنة ابي ولست من امي وجعلها الله امراة قلت يحمل
انها كانت اخته ابنة الاقرب دون امه على ما عرف
من دين ادم في نكاح الاخوات وكان هذا قبل النسخ في شرع
موسى ويحتمل انه اراد انها ابنة ادم اذ بعد ادم او نوح ونبي بعد ابرهيم
ليكون في هذا الاخبار زوار ما جاء في السنة من قوله عليه السلام

لم يكذب ابرهيم الا في ثلاث ليس المراد به الكذب الحقيقي المطلق بل اما التعريض
وسماه كذبا مجازا او الكذب من وجه دون وجه اي من جهة كونها
زوجته في اختنا او في عبارة دليل الخطاب اي انه لما قال هي اختي فهم
منه انها ليست زوجته وهو مفهوم لقب وذكر ان سارة ولدت
اسحق بعد هذه القصة ولابرهيم يومئذ مائة سنة واختتن اسحق
لثمانية ايام من مولده كما عهد الله اليه وذكر ان سارة لما
ولدت اسحق رأت ابن هاجر المصرية يهزا فقالت لابرهيم اخرج عني
هذه الامة لئلا يرث ابنها مع ابني اسحق فخرج ابرهيم بهاجر وابنها
وذكر نحو القصة المشهورة في السنة في ذلك من اعوازه الماء
ومقاربته الموت من العطش ومخاطبة الملك لها واظهاره الماء
لكن في القصة في التوراة تحريفات لا يخفى على عاقل منها انه ذكر
ان الغلام سكن في برية فاران وتعلم الرمي فيها لانه سيرته
فاران بها برية بئر سبع واهل بلاد الشام يخصون صاحب البئر الذي
حوالى القصة المذكورة ايضا مع سارة والصحيح ان فاران انما هي مكة
ومنها انه قال واتخذت امه يعني اسمعيل من اهل مصر امرأة
والصواب انه انما تزوج من جرهم قوم وردوا عليه بمكة من
العرب اليمانية ومنها وهو ادلها على الكذب انه قال
يعني لما اراد ابرهيم ان يعتزل بالغلام كما قالت سارة فابتكر
ابرهيم بالغداة واخذ خبزا وسقاء ملوا ماء اودعه الى هاجر
ووضع الغلام على عاتقها وارسلها فمضت فتاهت في برية بئر
سبع وفني الماء من السقاء ورمت الغلام تحت اصل شيح
ومضت فجلست بازائه ترمية سهم لئلا تراه حين يموت
وبيان الكذب الصريح في هذا الكلام انه قد سبق ان اسماعيل
ولد لابرهيم وعمر ابرهيم ست وثمانون سنة وان اسحاق ولد له
وعمره مائة سنة وان هذه القصة كانت بعد ولادة اسحاق
لان سارة خشيت ان يرث اسمعيل مع ابنها اسحاق وهذا لا يكون
الا بعد ولادته اذ قبلها هو معدوم وكانت هي آيسة من الولد
واذا عرف هذا تبين ان اسمعيل كان له حين فقد سارة وامه
اربع عشرة سنة وذلك بين ستة وثمانين عمر ابرهيم
الى سنة مائة عمره ومن يكون في هذا السن يكون حمله بالغا

امتنع الاستعمال وهو يحكي في التوراة ان الله كان مع الغلام فشب ثم هو مع
ذلك يحكي ان اسمعيل كان على عاتق هاجر مع سقاء حلو ماء ومع خبز
الزوادة وانها لما فني الماء رمته تحت اصل شيح وهذه صفات الاطفال
المراضيع لا صفات الرجال البلغ او الغلمان المراهقين فهذا يوجب
اما تناقض ما في التوراة من هذه الحكاية على ما وصفنا او بطلان احد
النقيضين المذكورين فاما ان يكون اسمعيل له حينئذ اربع عشرة سنة
او يكون هاجر حملته على عاتقها او ان هاجر لم تكن ادمية بل ثنية
جبل تحملها الروح حتى حملت زوادتها خبزا وسقاء حلو ماء
وانسانا عمره اربع عشرة سنة الى برية فاران فان تكلف متكلف
وادعى ان اسمعيل لم يكن على عاتقها بل على عاتق ابرهيم وعلى عاتقها
في الماء والزاد وانما ذكرناه اولا تحريف فلعله من بعض النساخ
قلنا له لا يصح ذلك ايضا لان العادة انما جرت بحمل الاطفال
لا بحمل من له اربع عشرة سنة خصوصا وابرهيم يومئذ له مائة
سنة شيخ كبير كيف يطيق على حمل رجل مثله على عاتقه مسافة
طويلة واذ قد ثبت ما ذكرناه من التحريف والتناقض في التوراة
سقط احتجاج اليهود والنصارى بها لجواز وقوع التحريف في كل
ما يحتجون به منها لكن يصح لنا ان نحتج عليهم بما فيها الزاما وجدلا
لانهم يعتقدون انها حجة وبهذا اسقط احتجاج بعض النصارى
على الطعن في صدق محمد عليه السلام بالقدح في صحة اخباره عن
زواج موسى بنت شعيب على رعاية غنم ابيها ثماني حجج وان
القصة التبست عليه بتزوج يعقوب براحيل ابنة خاله
لابان على رعاية الغنم في زواجه كانت لا في زواج موسى وبيان
القصة ان شاء الله تعالى في ذلك ثم قال ومن بعد هذه
الخطوب ابتلى الله ابرهيم فقال له خذ ابنك وحيدك اسحاق
الذي تحبه وامض به الى ارض كذا فاجعله لي قربانا على بعض
الجبال وذكر قصة الذبح وفداءه بالكبش الى ان
قال وناداه ملك الرب فقال يقول الله لك اني اقسمت
حيث انك لم تبخل علي بابنك وحيدك لاباركن عليك ولاكثرن نسلك
كنجوم السماء ومثل الرمل الذي على ساحل البحر ويرث نسلك
ارض اعدائهم وتتبرك بنسلك سائر الشعوب الذين على الارض
قلت اعلم ان المسلمين اختلفوا في الذبيح من ولدي ابرهيم

بأذن موسى فأخذ برجله وأراد أن يلقيه في البحر ولما فر الحجر بثوبه
يعدوا وطفق يضربه بالعصا حتى أثر فيه آثارا ولما قذفه
قارون وأمر الله الأرض بطاعة موسى أمرها فأخذته فجعل قارون
يستغيث به ولا يعرج عليه حتى عاتبه الله فيه وقال يستغيث
بك فلا تجيره لو استغاث بي لأجرته ومحمد عليه السلام يقول
لو سمعت شعرها قبل هذا يعني قتيلة لما قتلته يعني أخاها
النضر بن الحارث ولما قيل له إن هذه قسمة لم يرد بها
وجه الله قال قد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر
ولما قال له الأنصاري أن كان ابن عمتك في قصة شراج
الحرة غضب ولم يفعل غير أن استوفى للزبير حقه في
صريح الحكم وكان يبالغ الكفار في أذاه وهو يقول اللهم
اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون وضرب يوم أحد فشج وجهه
فجعل يمسح الدم ويقول كيف يفلح قوم أدموا وجه نبيهم
وهو يدعوهم إلى الله هذا مع أن موسى صلوات الله عليه
إنما كان غضبا لله وفي الله لكنها كانت تخرجه في بعض
الأوقات عن حال مثله ومحمد عليه السلام لم يخرج عن حاله
مع أن غضبه لله كان هو ما هو وأيضا لم يزل حلم حلماء
العرب المشهورين كقيس بن عاصم والأحنف بن قيس
وخلفاء النبي الأربعة وولاتهم وقبلها وأهل البيت
وما حكي عنهم من الحلم ومعوية من سعد في بني عبد شمس
الذي يقول فيهم الشاعر حين بانت بنو أمية عنه والبهاليل
من بني عبد شمس خطباء على المنابر فرسان على الخيل
قالة غير خرس بحلوم إذا الحلوم استخفت ووجوه
مثل الدنانير ملس بحلوم أجاد بني إسرائيل لم يجد
من الحلم شبه وكذلك شجاع العرب مع شجاع بني
إسرائيل فقد بان أن من الحلم أظهر في بني إسمعيل
منها في بني إسحق والموصوف بالحلم في القرآن هو الذبيح
فدل على أن الذبيح هو إسمعيل وأما أقوال العلماء فروي
عن ابن عباس أنه قال الذبيح إسمعيل واحتج بقوله
وفديناه بذبح عظيم وبشرناه بإسحق ووجه الدلالة

من هو فقال قوم هو إسحق في التوراة وقال آخرون هو إسمعيل
والقولان روايتان عن أحمد ورجح كلا من القولين قوم والمختار الذي
دل عليه ظاهر القرآن وأقوال أكثر العلماء وهو مستفاد من
فحوى التوراة أنه إسمعيل ولكن نص التوراة محرف مبدل
في ذلك أما ظاهر القرآن فإن الله سبحانه حكى في سورة الصافات
قصة الذبيح مستوفاة ثم عقبها بقوله وبشرناه بإسحق نبيا من
الصالحين والظاهر منه أنه حكى قصته على الترتيب الواقع كما
حكي في التوراة ويدل عليه أنه ابتدأ بذكر حاله في قومه
وتكسير أصنامهم وما كادوه به من وضعهم له في النار إلى
قوله وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين ثم قال وقال
إني ذاهب إلى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين فبشرناه
بغلام حليم وساق القصة مرتبة إلى قوله وبشرناه بإسحق
وهذا ظاهر في قصد الترتيب الوجودي وإن لم تكن الواو
للترتيب وأيضا فإن الله سبحانه وصف الذبيح بأنه حليم بقوله
وبشرناه بغلام حليم ونحن إذا نظرنا بعين التحقيق وجدنا الحلم
في بني إسمعيل أغلب منه في بني إسحق وبيان ذلك أن أظهر بني
إسمعيل محمد وأظهر بني إسحق موسى كليم الله وإذا نظرنا في
سيرتهما وقوة حلمهما وجدنا بينهما بونا عظيما فمن ذلك أن
موسى لما استغاث به الإسرائيلي على القبطي بادر به فوكزه
حتى عاتبه الله على ذلك فقال إنه من عمل الشيطان إنه
عدو مضل مبين ومحمد عليه السلام مر بعمار وأمه يعذبان
في الله فقال صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة وكان قادرا
أن يبطش بمن يعذبهم من الكفار ثم يستنجد ربه فينجده بما أنجده
به حين أراد أبو جهل أن يرمي الحجر على رأسه وهو يصلي
أو يستنجد عشيرته بني هاشم أو يهرب فلا يفعل شيئا من
هذا الكل مما يقال لكنه كان أوقر وأحلم وأثبت ومن
ذلك أن موسى لما عاد من ميقات ربه ووجد
قومه عاكفين على العجل ألقى الألواح فكسرها وبادر إلى هرون
فأخذ بلحيته حتى عطفه بقوله يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا
برأسي وأبان له عذره ولما قتل الخضر الغلام

ما قررناه انفا وعن الحسن البصري انه كان لا يشك ان اسمعيل
وقال ابو جعفر عن محمد بن قيس قال دخل راس الجالوت على
عمر بن عبد العزيز فقال له عمر اي ابني ابرهيم امر ان يذبح
فقال اسحق قال ويحك اما تجدون في كتابكم ان اذبح لي
ابنك الوحداني قال بلى ولكن اليهود تحسد العرب ذكر
هذه الاثار وتتمته ابن كثير في كتاب القصص وابن الكوثر تتمته
ان احداث السلف قال هو اسحق الا كعب الاحبار وهو
اما حاك او معتقد لما في التوراة قلت ووجه
احتجاج عمر بقوله اذبح لي ابنك الوحداني هو ان هذه
الصفة لا تتصور الا في اسمعيل لانه الذي ولد له اولا وبقي
وحدانيا اربع عشرة سنة حتى ولد اسحق فبعد ولادته
لم تبق هذه الصفة تصدق على واحد منهما لان صفة الوحدة زالت
عنه بصاحبه فان قلت فلعل انه اراد الوحداني في
محبته له واثاره على صاحبه وهو اسحق قلنا هذه
دعوى تحتاج الى حجة وسياتي الكلام عليها وهذا البحث
كله مع المخالفين من المسلمين اذ اليهود لا تقوم عليهم الحجة بما
ذكرناه ومن المسلمين من احتج على ان الذبيح اسحق بقوله تعالى
واذكر عبادنا ابرهيم واسحق اولي الايدي والابصار انا
اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار ومعناه انه اخلصهم بالامتحان
بالبلاء فابرهيم بالنار واسحق بالذبح ويعقوب بفراق
يوسف وغيره والجواب ان هذا ليس نصا في المطلوب
بل اما ظاهر او محتمل وعندنا ما يعارضه ابين منه وهو
قوله سبحانه في سورة الانبياء واسمعيل وادريس وذا
الكفل كل من الصابرين فجعل اسمعيل من الصابرين والصبر
لا يليق الا على بلاء وهذا اولى ان يستدل به على انه الذبيح
لانه الوصف الذي وصف به في قصة الذبح حيث قال
ستجدني ان شاء الله من الصابرين واما المستفاد
من فحوى التوراة فقوله خذ ابنك وحيدك واسحق
لم يتصف بصفة الوحدة ذلك الوقت قط اما ذلك

اسمعيل كما سبق في توجيه اسرة لعمر بن عبد العزيز بقوله ابنك
الوحداني وقوله الذي تحبه يدل على انه اسمعيل لانه
كان بكره واول ما فرح به من الولد والعادة في طباع
الناس ان الانسان يحب من كان كذلك ويرى انه اكثر
وقد يعارض من هذا بقضية عبد المطلب حيث كان عبد الله
ابنه احب ولده اليه وكان اصغرهم لكنا نجيب عنه بانه
انما كان كذلك لما كان في وجهه من نور سيدنا نبينا محمد عليه
السلام وبهذا بعينه يترجح ان اسمعيل كان احب ولدي
ابرهيم اليه ويعلم ان لفظ التوراة كان قبل التحريف اذبح
ابنك بكرك وقد ثبت انه اسمعيل وقوله واكثر
خلفك كنجوم السماء والرمل والعرب اكثر من اسرائيل
ابن اسحق وكلما جاء في قوله والعرب في كثرة وكذلك قوله
ويرث خلفك ارض اعدائهم وهذا ايضا يساق ذكر الذبيح
فيكون خلف ابرهيم جهة الذبيح اولى بذلك والعرب بنو
اسماعيل هم الذين ورثوا ارض اليهود وكثيرا من ارض
النصارى وقوله يتبرك بخلفك سائر الشعوب وهذه
صفة العرب عمهم بركتهم شعبهم باقامة التوحيد
وسعت اسرائيل باقامة العدل فيهم واقرارهم
بالجزية والا فهم يستحقون القتل على كفرهم باكفارهم بنبوة
محمد عليه السلام وذكر ان اسحق توجه الى الباذح ملك
اهل فلسطين فترايا الله له وقال له كما قال لابرهيم حين
عزم على ذبح ولده ووعده فان صح هذا لم يناف حملنا
لما وعد به ابرهيم من ذلك على ولده اسمعيل لجواز ان يكون
البركة وتكثير العدد في ولدهما وقد انجز الله في بني اسحق
حيث اورثهم ارض فرعون والعمالقة وغيرهم وفي بني
اسمعيل حيث جعلهم بعدهم في ارضهم وغيرها الى الان
وذكر ان ابرهيم لما ماتت سارة طلب مغارة
عفرون بن صاعر ليدفنها فيها فلما اجابه عفرون الى ذلك
مع ملاطفة في الكلام سجد ابرهيم قدام شعب الارض
لله وحده قيل ذكرنا انه سجد لشعب الارض وهذا
لا يجوز فيه نبأ على ان ذلك كان تحيتهم ففعله ابرهيم

تحيه وشكرا للاحسان لا على سبيل العباده وهذا يرد على من قدح
في صدق قوله تعالى في سوره يوسف ورفع ابويه على العرش
وخروا له سجدا لان السجود اذ ذاك انه من مله ابرهيم شكرا
للمنعم فيوسف كان امتن على اخوته وابويه او ابيه وخالته
على خلاف في ذلك يعترفون على ابرهيم فهم اولى بالسجود
شكرا . وذكر ان اسمعيل ولد له اثنى عشر بشرا
نبيوت وقيذر واربل ومبسم ومشمع وذوما
وماسا وحادر وتيما ويطور ونافش وقادمه
قلت وقد سبق انه وعد ان يولد لاسمعيل اثنا عشر بشرا
لكن هاولا لم يشتهروا واشتهر محمد في الاثنى عشر المذكورين من
اصحابه مجمل الخطاب المذكور عليهم اولى . وذكر ان اسحق
لما نزل ارض ابيمالك وكانت زوجته رفقا بنت عمه جميله
فقال انها اختي وان ابيمالك اشرف يوما من طاقه فوجد
اسحق يلاعب امراته فقال له ما صنعت لقد كدت
تشنعنا تفاجع هذه المراة وهي امراتك فلم تخبرنا
ولقد كادت تلحقنا الخطيه قلت وفي هذا رد على
من قدح في طهاره محمد عليه السلام من النصارى بكونه كان
يحب النسا ويلاعبهن ويتمتع بهن فهذا اسحق خليل الله
قد لاعب امراته وسائر الانبيا كانوا يستمتعون بالنسا
وانما ذلك شهوه مباحه كاكل الطيب ولبس الناعم فلا
يقدح في الطهاره ولعل المسيح لو تزوج وولد كان خيرا
له ولكنه لما بان الامر على ان في علم الله انه ينزل في
اخر الزمان فيقتل الدجال ويتزوج ويولد له ويدفن
اذا مات بالمدينه في حجره النبي صلى الله عليه وسلم
وابرهيم واسحق تواطا في قصتهما
في اخبار كل منهما بان زوجته اخته لما خاف على نفسه
الاخبار بالزوجيه فلا يبعد ان قصه يعقوب مع موسى توافقنا
في ان كلا منهما اجر نفسه بصداق امراته حين تزوج وهذا
يرد على من قدح في صحة اخبار محمد بقوله على ان تاجرني
ثماني حجج وزعم ان ذلك خاص بيعقوب بناء على ان
التوراه لم تتضمنه وليس ذلك بشي كما يدعي تحريف التوراه

ويعد من السلف يقول التوراه لم تتضمن جميع تفاصيل ما دار في قصة موسى و
غيره فلعل هذا مما اخلت به . وذكر ان يعقوب لما قضى الاجل
الذي كان بينه وبين خاله لابان في رعاية الغنم عن مهر ابنته استاجره
ليرعى له مده اخرى وجعل يعقوب اجرته كل ابلق يولد من
المعز وكل حمل ابقع وملمع ابيض بسواد وكل املح يتناسل من غنم
لابان واخرج عن غنمه كل ما خالطه لونان وابعد يعقوب
وما معه من الغنم عن بقيه غنمه ثلثه ايام فاوحى الله الى
يعقوب ان ياخذ القضبان من الرطب من اللوز والدلب
فيقشرها حتى تظهر بياضها ويضعها في موارد الغنم حين
تاتي لتشرب ففعل يعقوب ذلك فكانت الغنم اذا اقبلت
تفزع وترجع الى ورائها فتضطرب الاجنه في بطونها
بعضها فتتكيف بكيفيه الناشي مع سوادها في انفسها فتلد
بقعا وملمحا وجلحا ومنمره حتى صار له من ذلك شي كثير
وكان اول نتاجها ليعقوب واخره لخاله لابان قلت
هذا سبب مشهور موثر في ان الجنين يلتبس بما
تراه الام وهو من الاسباب التي تاتي لها ان الاسودين
ابيض وان الابيض اسود وقد نص على ذلك الحكما وفي
بعد هذا ان يعقوب اخبر انه راى في المنام ان الفحول التي
تسفد الغنم جلح وبقع ومنمره قلت فهذا يعطل ما هنالك
لتري ليعقوب ان النتاج ياتي على الصفه التي اشترطت لنفسك
ويكون هذا من باب النسبه بالسبب على المسبب لان كون
الفحل املح سبب حتى ياتي نتاجه كذلك واما السبب الذي
جا النتاج له على ما وصف يعقوب هو ما ذكر اولا من
القضبان المقشوره ويحتمل ان الله سبحانه خلق الاملح
والبقع او قلب الوان فحول الغنم عند سفادها كذلك او
ارسل ملكا ساق فحول بقية غنم لابن التي عزلها عن
يعقوب نحوها فسفدت ويكون ذلك جزء سبب مضموما
الى القضبان المقشوره لطفا ليعقوب ومبالغه في اغاثته
ولكن ذلك مهما كان فالسبب الى قدره الله فهو سبب
وذكر ان يعقوب لما رجع في حوران ارض خاله لابان

الى كنعان ارض ابيه اسحق وجاز باهله برية بالق عرض له رجل فقاتله و
صارعه الى ان اسفر الصبح ورأى انه لا يطيقه فدنا منه ومس
خاصرته فوهنت خاصرة يعقوب ثم قال ليعقوب اطلقني فقال
لا حتى تبارك علي فقال له ما اسمك قال يعقوب قال بل انت
اسرائيل لانك قاومت الملك والرجل فاستطعته وقال
يعقوب للرجل ما اسمك فقال ما لك ولاسمي ثم بارك على
يعقوب ودعا يعقوب اسم ذلك البلد منظر الله لانه رأى
الملك وجها لوجه اه قلت ظن بعض النصارى ان المصارع
ليعقوب في هذه القصة هو الله سبحانه واحتج لذلك وبقضايا
اخرى على ان الله سبحانه له مظاهر يظهر فيها تارة رجلا وتارة
نارا وتارة كبشا وجوز لذلك ان يكون ظهر في ناسوت المسيح
وليس في هذه القصة في التوراة ما يدل على ان المصارع
له كان هو الله سبحانه كيف وقد غلبه يعقوب حتى جعل يقول
له اطلقني فقد استفز الفجر وهو يقول لا حتى تبارك علي انما
هو ملك من الملائكة اه وذكر ان يعقوب عبر من منظر
الله وهو يعرج من لمس غمزة الملك له ولذلك صار في
بني اسرائيل عرق النسا قلت ولعله السبب في كون
عرق النسا لاسرائيل حين نذر ان شفاه الله منه حرم احب
الاشياء المأكولة اليه فكان ذلك لحم الجزور فاسمع منه
كما ذكره المفسرون في قوله تعالى كل الطعام كان حلا
لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل
التوراة اه وذكر ان يعقوب سجد لاخيه العيص لما
لقاه سبع مرات الى الارض وسجد له كل من معه من ازواجه
واماية واولاده حتى يوسف وهو صبي فيوسف اذ
صار ملكا وبشرى به حزن يعقوب اولى ان يسجد له
وهذا رد على من انكر سجود يعقوب ليوسف في القرآن
وقد سبق له وذكر ان يعقوب نزل بساليم قرية
سخيم ارض كنعان وان ابا سخيم بن حمور رئيس الارض
زنا بجارية يعقوب وابنته وخطبها من يعقوب وبنيه
فغضبوا لذلك فقالوا له ان اختتنت انت وجميع ذكور
مدينتك زوجناك وكنا واياك شعبا واحدا فقبل ذلك

واختتن هو واهل قريته فدخل بنو يعقوب القرية واهلها في الم
الختان فقتلوا كل من فيها واخذوا اموالهم قلت نسبة هذا
الى يعقوب وبنوه اكرم الانبياء على الله حتى انهم سموا الله ظهير
اسرائيل اي عونه وناصره قبيح جدا اذ كيف يسلط على
ام ولد نبيه وابنته من يفجر بها وهو قادر على عصمتها منه
بما عصم به سارة من ابيمالخ ملك فلسطين واما ما حكي
عن بني يعقوب من مكرهم باهل القرية فقبيح ايضا اذ فيه
غدر ولعل قتلهم بهم قد كان لغير هذا السبب كالجهاد في
الله ونحو ذلك ولكن هذه من اكاذيب اليهود على الله ورسله
وكرامهم اه وذكر ان الله استعلن على يعقوب وهو
اذ اقبل من فدان ارام وبارك الله عليه وقال له لا يدعى
ايضا اسمك يعقوب ولكن يكون اسمك اسرائيل وقال
الله انا الله ايل اشدي اعظمك واكثرك وسائر الشعوب
معك قلت ها هنا دل ان المستعلن على يعقوب هو
الله وفي قصة الرجل الذي صارعه ذكر انه كان ملكا
وقال له اسمك اسرائيل لانك قاومت الملك والرجل
فدل على ان ذلك لم يكن هو الله كما توهم بعضهم فان ادعى
مدع ان هذه القصة حكاية عن تلك فعليه الدليل وذكر
ان راحيل ماتت في نفاسها ببنيامين وسمته ابن اوجاعي
وانها دفنت على طريق افرث وهي بيت لحم ونصب يعقوب
على قبرها نصبته في الى يومنا هذا قلت وقد بينا
ان هذا لا يقدح في صحة قوله تعالى ورفع ابويه على العرش
في قصة يوسف بناء على انه دعي خالته وهي اخت امه
ليا وزوجة ابيه اما مجازا كما كان يدعى يوسف زوج مريم
ابا للمسيح اذ اقبل جاء ابواه يطلبانه وكان مع
ابويه وقد نطق به الانجيل وقد سبق بيانه في الكلام
عليه وذكر ان روبيل بن يعقوب جامع سرية
ابيه بلها فبلغ ذلك اسرائيل ولم يذكر عنه انكار وان
كان انكره لشناعته على هذا الكلام من وجهه ان الله
لم يحصن فراش نبيه من الزنا ولم يعصم ابن نبيه منه
وان لم يكن انكر فعليه تشنيعات احدها هذا المذكور

والثاني نسبة يعقوب الى الديانة وعدم الغيرة على حرمته
وحتى يرى ان سوقيا لو عيث انثه بغير ابنته لغضب لذلك بالطبع
دع الشرع ه وذكر ان يوسف راى انه واخوته جمعوا
حزما في المزرعة وقد قامت حزمته وجاءت حزم اخوته
فسجدت لها فابغضه اخوته لذلك قلت هذه الرويا
لم يقصها علينا القران وانما قص رويا النجوم والشمس والقمر
وهي في التوراة الى القران وان يعقوب زجره لما قصها
وقال له ما هذه الرويا التي رايت اجي انا وامك واخوتك
فنسجد لك على الارض وكان يعقوب قد وعى معنى الرويا
قلت وانما اراد بذلك ان يصد عنه كيد اخوته له
باستبعاده ذلك وانكاره قلت ففي هذا فائدتان
احداهما قول يعقوب ليوسف اجي انا وامك واخوتك
ان كانت ام يوسف التي ولدته حية الان فهذا يناقض
ما سبق في التوراة من انها ماتت قبل هذا ودفنت
ببيت لحم قلت هذا طعنا على التوراة التي يحتج بها اليهود
والنصارى وان كانت قد ماتت فقد سمى يعقوب ليوسف
بعد امه اما فتلك التي سجدت له مع يعقوب عند تاويل
الرويا ويحصل به جواب القادح في قوله تعالى ورفع
ابويه على العرش الاية الثانية ان بعض النصارى
انكر ان يعقوب وبنيه سجدوا ليوسف مع ان في التوراة
لم يذكرها السجود عند التقاء بعضهم ببعض وانما اعتنقا
وبكيا وهذا لا يضرنا فان ما نطق به القران من سجودهم
له مستفاد من ها هنا وذلك لان يعقوب فهم ان تاويل
رويا يوسف ان الشمس والقمر واحد عشر كوكبا سجدوا له
سجود اخوة يوسف وابويه له وقد ثبت ان الرويا
صحت فلا بد لها خصوصا والرويا رويا نبي والتاويل
تاويل نبي ايضا فان الرويا الاخرى وهي سجود
حزمهم لحزمته تدل على ذلك لان الرويتين دلتا على
حكم واحد قلت وقد ورد القران برويا النجوم
دون رويا الحزم اوى دليل على صدق محمد عليه السلام وان
القران وحي من الله وانه انما اخبر بما اوحي اليه والله اعلم

كان يشغل ذلك من كتب الاولين لتتبعها ولظفر برويا الحزم ولذكرها
خشية ان يطعن عليه بالزيادة والنقص والله اعلم ذلك وذكر
ان يعقوب قال ليوسف ان اخوتك يرعون في ارض كذا فاذهب
فاتني بخبرهم وخبر الغنم قلت وهذا يخالف لما في القران
من ان اخوته سالوا اباهم ان يرسله معهم وهو اشبه بالصواب
لان يعقوب كان قد علم بغض اخوة يوسف وحسدهم له على الرويا
التي راى فكان احزم من ان يرسله اليهم ابتداء الا بسوال
منهم وذكر ان يهوذا وجد كنته امراة ابنه على الطريق
في هيئة زانية فصالحها على ان يزني بها بجدي من الغنم ورهنها
على الجدي خاتمه وعمامته وقضيبا كان في يده ولم يعلم انها
كنته وكانت ايما ابنه فلما ظهر حملها امر بها ان ترجم فارته
العلامة فعرفها قلت هذا في الشناعة مما لا يستجيز
عاقل ان ينسبه الى جناة السوقة فضلا عن الانبياء
وفي الشناعة فيه من وجهين احدهما نسبة يهوذا الى الزنا
والى بعض العقلاء بذل خاتمه وعمامته وعصاه في قضاء
شهوته عوضها جدي وقد صح وثبت ان حاجب بن زرارة
وهو من اجلاف الجاهلية اعار هو وسه من كسرى على
امر عظيم وحملته عزة نفسه ان وفا بما رهنها حتى
ضرب المثل بقوس حاجب وافتخرت بها بنو تميم خصوصا
والعرب عموما ه الثاني انه جاء يستحل الله
فابطله لهوى نفسه ولعل اليهود اعتمدوا على هذا افتراء
والهذيان بخ كان يهوذا اذ زنا فيهم الشريف حمموه اي سودوا
وجهه بالحمم وشهروه واذا زنى فيهم الوضيع رجموه
وذكر ان امراة الذي اشترى يوسف راودته عن
نفسه فلم يجبها فدخل ذات يوم البيت ليشغله فجلت عليه
واخذت ثوبه وقالت له ضاجعني فلم يفعل وخرج هاربا
الى السوق وترك ثوبه في يدها فلما جاء سيده قالت له
ان هذا العبراني دخل علي ليفضحني فلما رفعت صوتي
ترك ثيابه في يدي وهرب الى السوق فلما سمع سيده
اشتد غضبه وسجن يوسف في السجن الذي فيه اسرى الملك
قلت وهذا فيه نقص عما حكي في القران من شهادة

الشاهد وامرتها بالاستغفار ويوسف بالاعراض واجتماع النسوة
وتقطيع ايديهن وهو اشبه بالصواب لان يوسف كان عند سيده
بمنزلة عظيمة ووجد على وجهه بركة ويمنا وعرف منه الصدق
والامانة كما حكي في التوراة فمن المحال عادة انه كان يحبسه لقول
امرأة متهمة من غير دليل ولا بحث عن سر القضية ولذلك
كان يوسف كثيرا بما شاء الله والله معه فيبعد انه كان يسلمه لما
يصح عن صدق عن برهان برآءته ه وذكر ان روبا
الساقي والخباز والسبع البقرات والسبع السنابل كما في
القران غير انه ذكر ان السنابل اليابسات ابتلعت السنابل
الخضر وهذا لم يصرح به في القران غير ان لفظه يحتمله ه
وصرح به وبمثله في الفصول ان السنابل اليابسة اكلت
السنابل الخضر ه وذكر ان اخوة يوسف لما جاؤوا
ليمتاروا من مصر عرفهم يوسف وهم له منكرون وقال
لهم انهم جواسيس قالوا لا ولكنا نمتار لاهلنا ونحن اثنا عشر رجلا
بنو اب واحد لكن احدنا مفقود والاخر اصغرنا عند
ابيه فقال يوسف بهذا امتحن صدقكم احبسوا عندي
احدكم وخذوا ميرتكم وائتوني اذا رجعتم باخيكم الذي
عند ابيكم لاعلم انكم صدقتموني ولستم بجواسيس فاحبس
عنده شمعون وارسلهم بالميرة وجعل بضاعتهم في رحالهم
فلما رجعوا وقالوا لابيهم ارسل معنا بنيامين قال لهم ان
اخاه قد مات ولم يبق لامه غيره ولعله تصيبه مصيبة
في الطريق فانزل الى قعر الجحيم ه قلت قوله لم
يبق لامه غيره دليل على ان امه حية بعد اذ هذا ظاهر
في انه منعهم من اخذه من اجل قلبها وخاطرها وهو ينافي
كونها ماتت في النفاس به ويحتمل انه اراد انه لم يبق
من ولد امه غيره ولا يكون هنا قصدا لموتها المتقدم ذكره
وقوله فانزل الى قعر الجحيم يحتمل امرين احدهما
انه اراد تستعر في قلبي نار الحزن عليه كنار الجحيم والثاني
ان يكون اراد لعظم مصيبتي اغلب فاتسخط بالقضاء فاستحق
نار الجحيم على انه حكى بعد هذا ان يوسف لما حبس بنيامين

على الصاع قال له يهوذا اني كفلت لابي برده وقلت هذا وان
ابانا قال لنا اني اخشى ان يصيب بنيامين مصيبة في الطريق
فتهبطون شيبتي الى الجحيم واني اخشى ان رجعنا ولم نر الغلام
معنا يموت فنهبط شيبة عبدك ابينا بالوجع الى الهاوية
فاجعلني امكث عبدك بدل الغلام قلت وهذا مخالف
لظاهر قول يعقوب فانزل الى قعر الجحيم الا ان يتاول على
معنى ان تنزلوني بذلك الى الجحيم كنزول لا يكلم شيء وذكر
انهم قالوا ليوسف ان ابانا شيخا وله ابن صغير وهو ابن
كبرة ومات اخوه وهو واحد لا غير لامه وابيه
وابوه يحبه قلت وهذا يدل على ان ام بنيامين
حية الى الآن وهي ام يوسف فاحيل لان الاول الذي
يحتمل في قول يعقوب ان اخاه قد مات ولم يبق لامه غيره
لا يصح هاهنا اذ لا يصح ان يقال انه واحد لا غير ليعقوب
اذ بنو يعقوب كثير ولا يصح ان يكون الضمير في لامه وابيه
عائدا الى يوسف بعد وهو واحد لا غير لام يوسف وابيه
لانه خلاف الظاهر اذ مراده ترقيق يوسف عليه ولا
يحصل ذلك بما ذكر فتعين ان معناه هو واحد لا غير
لابويه وذلك يقتضي ان ابويه حيان ه وذكر ان
يعقوب لما حضرته ايام موته حلف يوسف ان لا يقبره
بمصر بل عند ابويه ابرهيم واسحق فحلف له وسجد اسرائيل
على راس عصاه ليوسف وسبق ان اخوة يوسف سجدوا
له في اجتماعهم به في المرة الاولى والثانية مرارا وهذا
يرد على الطاعن في قوله تعالى وخروا له سجدا لان روية
ملتقى يعقوب يوسف اولى بالسجود له هو وبنوه حتى
يظهر لاهل تاويل الحسد لاخيهم ه وذكر
ان يعقوب لما مرض جاءه يوسف وابناه منشى وافرايم
فقال له يعقوب كلاما منه ان الله استعلن عليه بارض
كنعان ووعده ان يعطي خلفه من بعده هذه الارض ميراثا
للدهر قلت وهذا كذب من اليهود على الله وعلى اسرائيل
لان ملك بني اسرائيل زال عن ارض كنعان وغيرها منذ

تعث الله المسيح فكذبوه وهموا بقتله فخرج عنهم الى الابد فان صدق
هذا الوعد ان كان من الله على لسان اسرائيل وانما كان هذا الوعد
لابرهيم في خلفه فكان ذلك في بني اسمعيل العرب فهو الى [illegible]
الابد ان شاء الله تعالى وذكر انه من جملة كلامه ليوسف
ان قال له وانا حين اقبلت من فدان ارام يعني فدومه
عندها له لاني نحو ز ان ماتت راحيل امك في ارض كنعان
في الطريق على مجرى وسبح من الدخول الى افرث فقبرتها ثم
في بيت لحم قلت هذا كالنص الاول على موت راحيل
قديما وقد ابينا في مواضع من التوراة ما يدل على اباحته
الى ما بعد ذلك وهو تهافت في التوراة فان تاولوا المواضع
الدالة على تعلقها بها وبلا صحتها لم يضرنا لان مقصودنا اجابة
الطاعن من النصارى على قوله تعالى ورفع ابويه على العرش وهو
حاصل بما قررناه عند قول يعقوب ليوسف حين راى
الرؤيا أأسجد لك انا وامك واخوتك وذكر ان يعقوب
قال ليوسف قدم ابنيك اباركهما فادناهما منه فسجدا
له على الارض وجعل يوسف ابنه افرايم عن يمينه عن يسار
اسرائيل ومنشى على يساره عن يمين اسرائيل فجعل اسرائيل
يمينه على راس افرايم وهو الاصغر وشماله على راس
منشى وخالف بين يديه من اجل ان منشى كان البكر قلت
هذا تعليل غير مناسب لان كون منشى هو البكر الاكبر يقتضي
ان يخصه بيده اليمنى التي هي اليمن والبركة لان العادة جرت
بتقديم الاولاد وكبارهم فان قيل انما خص افرايم بيمينه لصغره
جبرا له ورحمة قلت فكان ينبغي ان يذكر افرايم ويعلل
بذلك والا فمنشى لا مدخل له اذن ها هنا يقتضي ذكره
وهذا كلام فيه اختلال ينزه عنه احاد العقلاء فضلا عن
الله ورسله ولهذا قال بعد ذلك ان يوسف
وضع يده اليمنى على افرايم الاصغر والشمال على منشى
الاكبر وقال يا ابتاه هذا هو الاكبر فقال علمت يا بني
وهو يكون لشعب كبير غير ان اخاه الاصغر يعلو عليه
وذريته اوفر الشعوب قلت فاستدراك يوسف
على يعقوب يدل على فساد التعليل المتقدم ان منشى هو
الاكبر اذ هو غير مناسب وطعننا ها هنا انما هو على

هذا التعليل لا على فعل يعقوب لانه حكمة فعله ونبين ما قاله بان يوشع
ابن نون كان من ولد افرايم ولم يعلم من ولد منشى مثله ومثل سبطه
والله اعلم وذكر ان اسرائيل لما جمع بنيه واخبرهم بما يلقون كل
منهم في مستقبله تغيض على روبيل وقال له نجست فراشي
يعني لكونه وطئ سرية ابيه وقد بينا فيما سبق ان هذا صعب
القول وانه باطل وقال لا ينفد الملك والنبوه والكهنوت
من سبط يهوذا ومن يحذوه حتى ياتي من هي له واياه ينتظر
الشعوب الرابط في الشجرة جحشه ويلا العضب ابن اتانه
يحمر من الخمر عيناه واشد بياضا من اللبن اسنانه قلت
هذا فيه بيان ضلال اليهود والنصارى جميعا وكفرهم وافترائهم
على الله ورسله اما اليهود فلانهم كفروا بالمسيح واذوه
وهموا بقتله وهو الموعود به في كلام اسرائيل هذا وهذه
صفاته لانه من سبط يهوذا وله كانت تنتظر الشعوب وبه
كانت تستبشر الرسل وهو راكب الحمار وشارب الخمر
واما النصارى فلان اسرائيل اخبر ان المسيح الذي
هذه صفاته ملك نبي كاهن ولو كان الها او ابن اله لما سكت
عن بيانه مع عظم هذا العظيم فلعنة الله على الطائفتين اليهود
والنصارى فان اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون
وقال ايضا [illegible] حمار جالس بين السبل ورأى
محلته حسنه وارضه خصبه فطاطى كتفه للطاعة وادا
الجزيه قلت هذا اسرائيل صلوات الله عليه قد
انصف من المسلمين واليهود من قبل الاسلام بنحو الفي سنة
فشهد عليهم بالجزية وهو من اعظم انواع الشر وهو الذي
منعهم من الايمان بمحمد عليه السلام واوعدهم على ذلك الذل
والصغار واداء الجزيه وسيدلا رضهم الى ان يؤدون فيها
الجزيه بالحسن والخير وتلك ارض الاسلام اذ لا جزيه
على اليهود الا فيها وذكر ان يعقوب اوصى ان يدفن
عند ابيه ابرهيم فلما مات امر يوسف بتحنيطه وبكى عليه
اهل مصر سبعين يوما ثم توجه به يوسف ليدفنه حيث
اوصى قلت هذا من جملة ما اورده بعض النصارى
على صدق محمد عليه السلام فيما روي عنه انه قال لم يقبر
نبي الا حيث مات قلت والجواب عن هذا من وجوه

214

احدها انا قد بينا بهتت التوراة وتحريف اليهود والنصارى كتب
الله ولا وثوق بها البتة ثم انه قد ذكر ان يعقوب نبي بمصر
بكى عليه سبعين يوما ولو بقي ذلك القدر غير مدفون لانتن واروح
اذ هو بشر على كل حال وذلك اهانة للميت ولهذا جاء في الشرع
ان من اكرام الميت ان يبادر بدفنه فدل على انهم دفنوه في
انقضت مناحتهم عليه ثم استخرجوه فنقلوه الى ابائه ثم قال
انهم نقلوه في تابوت ساج وحينئذ لا يكون نقله منافيا لدفنه
حيث مات كان وقيل لعلهم صبروه في تلك المدة
ولم يحتج الى دفن قلنا هذا لم ينقل في التوراة ولا غيرها
وبمجرد احتماله لا يكفي في التصديق بوقوعه وما ذكر
من تحنيطه لا يدل على تصبيره اذ كل الموتى يحنطون عند الامكان
الثالث وهو المختار عندنا في الجواب عن هذا الاشكال
صحة الحديث فانا لا نعلم احدا رواه الا احمد [illegible] عبد الرزاق
منع فانه عن ابن جريج قال اخبرني ابي ان اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم لم يدروا اين يقبروه حتى قال ابو بكر سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لم يقبر نبي الا حيث يموت فاخروا
فراشه وحفروا له تحت فراشه ه قلت وفي هذا
الحديث جهالة وارسال لان ابا ابن جريج لا نعلم حاله في الرواية
وقد ارسله عن الصحابة ولا نعلم هل سمعه منهم او من غيرهم
عنهم وهاتان علتان لا يبنى على ما كانتا فيه الحديث
فرع فضلا عن ان يلتزم تسليمه والجواب عنه فيما يقدح في
اصل الشريعة وذكره ابن هشام في السيرة [illegible]

[illegible]
منع صحة اسناده علينا قد ذكر السهيلي في شرح السيرة والله

وروى الترمذي باسناده من حديث عائشة قالت لما قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم اختلفوا في دفنه فقال ابو بكر سمعت
من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ما نسيته قال ما قبض
الله نبيا الا في الموضع الذي يحب ان يدفن فيه ادفنوه في
موضع فراشه وهو حديث غريب وفي اسناده عبد الرحمن
المليكي وهو ضعيف والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد